شرح مراقي العبودية للعالم الفاضل والورع الكامل الشيخ محمد نووي الجاوي على بداية الهداية لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي نفعنا الله به وبعلومه آمين

(وبهامشه بداية الهداية المذكور)

بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم الله الرحمن الرحيم) قال الشيخ الامام العالم العلامة حجة الاسلام

(الحمد لله) الذي جل وعلا احمده لجميع الايادي والآلا وأشكره شكر من عوفي من البلا وأستغفره لي ولوالدي ولمن له حق علي وللمسلمين من كل ذنب قولا وفعلا وأتوب اليه من كل معصية توبة عبد لا يملك لنفسه هدى ولا يستطيع أن يدفع عنها ضلالا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مماثلا وأشهد أن سيدنا محمدا نبيه ورسوله ذو المقام الاعلى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي اختص الله به فضائلا وعلى آله الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا ايمانا والا وأصحابه الذين فازوا بالاقتداء بالجهاد وغيره فنالوا الدرجات العلا (اما بعد) فهذا شرح على بداية الهداية سميته مراقي العبودية أرجو به حصول بركة الشيخ المصنف ودعاء طلبة العلم ممن ينصف وليس لي في هذا الا الجمع من كلام العلماء الاجلاء محتسبا أجره على الله عليه فاذا رأيت فيه شيئا من الخلل في وهم صدر من سوء فهمي فالمطلوب ممن علم ذلك أن يصلحه فان بضاعتي من العلم والدين مزجاة واعمالي أضعف الاعمال لفقد اليقين مع ضيق الوقت وكثرة الاحزان فرحم الله امرأ رأى عيبا فستره والى الله الكريم أمد أكف الابتهال أن لا يجعله حجة علي يوم ظهور الاهوال وأن ينفع به نفسي ومثلي من الجهال انه تعالى رؤف جواد يعطي السؤال واليه التفويض والاعتماد وهو الهادي الى سبيل الرشاد آمين (بسم الله الرحمن الرحيم) كلمات البسملة أربع فيها اشارة الى اعانة الله تعالى عباده المسلمين على الشيطان فانه قال لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فأعطاهم الله تعالى هذه الكلمات الاربع لئلا يضرهم وسوسته واشارة الى أن معاصي المؤمنين في أربعة أوجه في السر والعلانية والليل والنهار فأعطاهم هذه ليغفرها لهم بها ثم ان معاني الحروف أن الباء بر الله لاهل السعادة والسين ستر الله على أهل الجهالة والميم محبته لاهل الاسلام والالف ألفته واللام لطافته والهاء هدايته والراء رضوانه على السابقين والتائبين والحاء حلمه على المذنبين والميم منته على المؤمنين والنون نور المعرفة في الدنيا ونور الطاعة في العقبى فأعطاهم العبادة المتنبرة الباعد الله أي حفظه على أهل الاسلام (قال الشيخ الامام) أي المقتدى به (العالم العلامة) أي العالم جدا والهاء للمبالغة (حجة الاسلام) فالحجة من أحاط بأكثر السنة ولم

يعتمد منها الا اليسير وأما الحافظ فهو من أحاط بمائة ألف حديث والحاكم من أحاط بثلاثة آلاف حديث
(وبركة الانام) زين الدين (ابو حامد محمد بن محمد بن محمد) ولد رضي الله عنه بطوس سنة خمسين وأربعمائة
وتوفي بها صبيحة يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة فكان عمره خمسا وخمسين سنة
(الغزالي) بتخفيف الزاي نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس (الطوسي) بضم الطاء نسبة الى طوس بلدة
من أعمال نيسابور (قدس الله روحه ونور ضريحه) أي قبره (آمين) أي استجب يا الله (الحمد لله) أي كل
حمد لله فيدخل فيه جميع المحامد التي ذكرها ملائكة العرش والكرسي وسكان أطباق السموات وجميع
المحامد التي ذكرها جميع الانبياء من آدم الى محمد عليه الصلاة والسلام وجميع المحامد التي ذكرها جميع
الاولياء والعلماء وجميع الخلق (حق حمده) أي أعمه وأنهاه بالاجمال وأما بالتفصيل فيعجز الخلق عنه
(والصلاة والسلام على خير خلقه محمد رسوله) الى كافة الخلق (وعبده) صاحب المناقب وقد نظم بعضها
بعضهم من بحر البسيط بقوله

لم يحتلم قط طه مطلقا ابدا * وما تثاءب أصلا في مدى الزمن
منه الدواب لم تهرب وما وقعت * ذبابة أبدا في جسمه الحسن
يخلفه كأمام رؤية ثبتت * ولا يرى أثر بول منه في علن
وقلبه لم ينم والعين قد نعست * ولا يرى ظله في الشمس ذو فطن
كتفاه قد علتا قوما اذا جلسوا * عند الولادة صف بادا مختتن
هذي الخصائص فاحفظها تكن أمنا * من شر نار وسراق ومن محن

(وعلى آله وصحبه من بعده اما بعد فاعلم أيها الحريص) اي المجتهد (على اقتباس العلم) أي استفادته من المعلم
وفي نسخة اقتناص العلم بالنون ثم الصاد أي اصطياد فيشتبه العلم بالصيد في كون كل يحتاج الى الحيلة
والسياسة (المظهر من نفسه) وفي نسخة من نفسك بالخطاب (صدق الرغبة) أي الاقبال (وفرط التعطش)
أي شدة الاشتياق (اليه) أي العلم (انك) معمول لاعلم (ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة) بالفاء والسين
المهملة أي الرغبة في التفرد بالعلم لانه نفيس جدا (والمباهاة) أي الافتخار الذي هو التعاظم (والتقدم على
الاقران) اي الامثال الذين يعادلونك في طلب العلم (واستمالة) أي طلب اقبال (وجوه الناس اليك وجمع
حطام الدنيا) أي متاع الدنيا الذي يصير آخره فانيا والاكرام عند السلطان (فأنت ساع) أي متصرف
(في هدم دينك واهلاك نفسك) باقبالك على غضب الله تعالى (وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك) أي عقدك
في ذلك البيع (خاسرة) أي ناقصة لان الدنيا في مقابلة ثواب الآخرة لا شيء (وتجارتك) أي تصرفك فيه (بائرة)
أي هالكة لا خير فيها وهذا كناية عن عدم النفع بذلك العلم (ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك في
خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع طريق) من بمعنى اللام (كما قال صلى الله عليه وسلم من أعان على معصية
ولو بشطر كلمة) نحو اق من اقتل (كان) أي المعين (شريكا له فيها) وفي الحديث طلب العلم فريضة على كل
مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب أي ان واضع العلم في غير موضعه ظالم
فيجب أن يكون العالم ناصحا في جميع الامور يعامل كل انسان على حسب حاله كالطبيب يعالج كل مريض بما
يناسب علته * وروي عن معروف الكرخي أنه قال لما مات أبو يوسف صاحب أبي حنيفة لم يكن من الناس
أحد حضر جنازته لانه كان يدخل في أمر السلطان فرأيته في المنام قبل أن يدفن فقلت له ما فعل الله بك قال
غفر لي ربي قلت بماذا قال بنصحي للمتعلمين فانتبهت من النوم فشهدت جنازته (وان كانت نيتك وقصدك بينك
وبين الله تعالى من طلب العلم (الهداية) بأن تنوي بتحصيله ازالة الجهل عن نفسك وعن سائر الجهال واحياء

وبركة الانام أبو حامد محمد بن
محمد بن محمد الغزالي الطوسي.
قدس الله روحه ونور
ضريحه آمين * الحمد لله
حق حمده والصلاة والسلام
على خير خلقه محمد وعلى آله
وصحبه من بعده (أما بعد)
فاعلم أيها الحريص المقبل
على اقتباس العلم المظهر من
نفسه صدق الرغبة وفرط
التعطش اليه انك ان كنت
تقصد بطلب العلم المنافسة
والمباهاة والتقدم على
الاقران واستمالة وجوه
الناس اليك وجمع حطام
الدنيا فأنت ساع في هدم
دينك واهلاك نفسك وبيع
آخرتك بدنياك فصفقتك
خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك
معين لك على عصيانك
وشريك لك في خسرانك
وهو كبائع سيف من قاطع
طريق كما قال صلى الله عليه
وسلم من أعان على معصية
ولو بشطر كلمة كان شريكا
له فيها وان كانت نيتك
وقصدك بينك وبين الله
تعالى من طلب العلم الهداية

دون مجرّد الرواية فابشر فان الملائكة تبسط لك أجنحتها اذا مشيت وحيتان البحر تستغفر لك اذا سعيت ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيء أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية وظاهر وباطن

الدين وابقاء الاسلام بالعلم والدار الآخرة ورضا الله تعالى وتنوى بذلك الشكر على نعمة العقل ونعمة صحة البدن (دون مجرّد الرواية) أى الحمل والنقل من العلماء (فابشر فان الملائكة تبسط لك) أى ترضاه بما تطلب (أجنحتها) أى تضعها لتكون وطاءك (اذا مشيت) وقيل ان الملائكة تظلل طالب العلم بأجنحتها (وحيتان البحر تستغفر لك اذا سعيت) أى ذهبت الى العالم وذلك لان صلاح العالم منوط بالعلم بتبليغه الاحكام الشرعية التى منها أن الحيوان يحرم تعذيبه كما أفاده العزيزى وعلامة ذلك القصد أن يكون بحث العلم فى الخلاء احب اليك من أن يكون فى الملاء وأن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك
* حكاية نفيسة * وقع للعلامة منحوش المغربى فى درسه اشكال وقد حضر مجلسه أئمة المذاهب الاربعة فاعترض قول الشافعى وهو اذا دخل شرط على شرط فلا يوجب الحكم الا بتقديم المؤخر نحو ان كلمت ان دخلت الدار فأنت طالق فلا يقع طلاق عنده الا بالدخول فقال ذلك الشيخ لم نر لهذا القول دليلا فى كلام العرب فقال له حمدان وهو يومئذ صغير ما قاله الامام الشافعى هو الحق فزجره الناس من كل جانب لصغره فقال الشيخ دعوه فانه ليس بيننا وبين الحق خصومة وان كان من صغير ومن خصوصيتنا قبول الحق ولو من صغير ورد الصغير على الكبير فى الحق بخلاف الامم السابقة اذا أخطأ الكبير لم يتجاسر أحد على الرد عليه فيصير خطؤه شريعة يعملون بها فيهلكون ثم التفت الشيخ الى حمدان وقال قل ما عندك فقال له ما تقول فى قول الشاعر من بحر البسيط

ان تستغيثوا بنا ان تذعروا تجدوا * منا معاقد عز زانها كرم

فان الاستغاثة انما يحتاج لها بعد الخوف لا قبله وما قاله الشافعى هو الحق ويشهد له كلام العرب فتبسم الشيخ وفرح بذلك وقال صدقت يا ولدى ودعا له قال الشيخ حمدان ولم أكن أهلا للرد الا أنى ظننت أن الامام الشافعى هو الذى حرك لسانى بالكلام وما أحسن ما قيل من بحر الطويل

وكم من صغير لاحظته عناية * من الله فاحتاجت اليه الاكابر

(ولكن ينبغى) اى يطلب (لك) العبادة مع العلم والا كان علمك هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فيجب عليك أولا أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل فى نعته فربما تعتقد فيه وفى صفاته شيأ مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا وذلك بأن تعرف أن لك الها عالما قادرا مريدا حيا متكلما سميعا بصيرا منفردا بالقدم عن كل محدث واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن النقصان والزوال ودلالات الحدوث وأنه أرسل عبده سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فهو رسوله الصادق فيما جاء به من الاحكام وفيما أخبر به من أمور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط والجنة والنار والحوض والشفاعة وغير ذلك ثم يطلب منك (أن تعلم قبل) شروع (كل شيء) أى عمل مطلوب شرعا (أن الهداية) أى سلوك الطريق الى الله تعالى (التى هى ثمرة العلم لها بداية) وهى المسماة بالشريعة والطريقة (ونهاية) وهى المسماة بالحقيقة لان حقيقة الشيء منتهاه وهى ثمرة الشريعة والطريقة معا كما قاله شيخ الاسلام وثمرة الطريقة فقط على ما قاله الصاوى (وظاهر وباطن) فان كل باطن له ظاهر وعكسه فالشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطنها وهما متلازمان معنى فشريعة بلا حقيقة عاطلة أى خالية من الثمرات وحقيقة بلا شريعة باطلة أى لاغية لا خير فيها ولا حاصل لها قال بعضهم نظما من بحر البسيط

بل التصوف أن تصفو بلا كدر * وتتبع الحق والقرآن والدينا
وان ترى خاشعا لله مكتئبا * على ذنوبك طول الدهر محزونا

قال الصاوى والشريعة هى الاحكام التى كلفنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله جل وعلا من

الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات والجائزات وقيل هي الاخذ بدين الله تعالى والقيام بالامر والنهي والطريقة هي العمل بالواجبات والمندوبات والترك للمنهيات والتخلي عن فضول المباحات والاخذ بالاحوط كالورع وبالرياضة من سهر وجوع وصمت والحقيقة فهم حقائق الاشياء كشهود الاسماء والصفات وشهود الذات وأسرار القرآن وأسرار المنع والجواز والعلوم الغيبية التي لا تكتسب من معلم وانما تفهم عن الله كما قال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى فهما فى قلوبكم تأخذونه عن ربكم من غير معلم وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله أى بغير واسطة معلم كما قال الامام مالك رضي الله عنه من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم فأفاد بهذه الكلمات الشريعة والطريقة والحقيقة فأشار بقوله علم الى الشريعة وبقوله عمل الى الطريقة وبقوله ورثه الله علم مالم يعلم الى الحقيقة انتهى (ولا وصول) لك أيها السالك (الى نهايتها) أى الهداية (الا بعد احكام) بكسر الهمزة أى اثبات (بدايتها) بأن تصح منك البداية التي هي الشريعة مع ملازمتك لها بالجد (ولا عثور) بالثاء المثلثة أى لا علم وفى نسخة لا عبور بالباء الموحدة أى لا مرور (على باطنها الا بعد الوقوف) أى المشاهدة (على ظاهرها) ومثل بعضهم الشريعة بالسفينة والطريقة بالبحر والحقيقة باللؤلؤ فلا يحصل اللؤلؤ الا من البحر ولا يتوصل الى لجة البحر الا بالسفينة ومثل بعضهم هذه الثلاثة بالنرجيل فالشريعة كالقشر الظاهر والطريقة كاللب والحقيقة كالدهن الذى فى باطن اللب فلا يحصل الدهن الا بعد دق اللب ولا يتوصل الى اللب الا بخرق القشر ويقال الشريعة عبادة والطريقة عبودية والحقيقة عبودة قال أبو على الدقاق العبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخواص وقال شيخ الاسلام فالصابر على مراد الله وهو حامل النفس على مشاق التكليف لطلب الجزاء عليه فى مقام العبادة والراضي أى المطمئن بمراده تعالى فى مقام العبودية والعارف فى مقام العبودة (وها) للتنبيه (أنا مشير عليك) أيها المريد للخير (ببداية الهداية لتجرب بها نفسك) أى الامارة أو غيرها (وتمتحن بها قلبك) ومعنى تجرب وتمتحن واحد وهو تختبر مرة بعد أخرى (فان صادفت) أى وجدت (قلبك اليها) أى بداية الهداية (مائلا) أى محبا (ونفسك) التي فى قالبك (بها) أى البداية (مطاوعة) أى منقادة (ولها قابلة) أى راضية فى أخذها (فدونك) أى خذ ذاك (التطلع) أى الارتقاء (الى النهايات والتغلغل) بالغينين وبالعاءين أى الدخول والسير (فى بحار العلوم) أى علوم الاسرار اللدنية التي كالبحار فى عمقها (وان صادفت قلبك عند مواجهتك) أى استقبالك (اياها) أى بداية الهداية وفى نسخة اياه أى القلب (بها مسوفا) بأن يقول القلب مرة بعد أخرى سوف أفعل ذلك (وبالعمل بمقتضاها) أى بمطلوبها (مماطلا) أى مؤخرا بوعد (فاعلم أيها الطالب) للعلم (ان نفسك المائلة الى طلب العلم هى النفس الامارة بالسوء وقد انتهضت) أى قامت النفس لطلب العلم (مطيعة للشيطان اللعين) أى المبعد من الخير (ليدليك) أى ليوصلك (بحبل غروره) بضم الغين أى خديعته (فيستدرجك) أى يأخذك قليلا قليلا (بمكيدته) أى حيلته (الى غمرة الهلاك) أى شدته (وقصده) أى الشيطان (أن يروج) أى يسلك (عليك الشر فى معرض الخير) أى مسلكه وطريقه (حتى يلحقك بالاخسرين أعمالا) أى الذين اتعبوا أنفسهم فى عمل يرجون به فضلا فنالوا هلاكا (الذين ضل) أى ضاع (سعيهم فى الحياة الدنيا) لاتباعهم الشيطان (وهم يحسبون) أى يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أى عملا يجازون عليه لاعتقادهم أنهم على الحق (وعند ذلك) أى قصد الشيطان تسليك الشر فى طريق الخير (يتلو عليك الشيطان فضل العلم) أى النافع (ودرجة العلماء) أى العاملين بميزان الشرع (وما ورد فيه) أى العلم (من الاخبار) وهو أقوال النبى صلى الله عليه وسلم (والآثار) وهو أقوال الصحابة والتابعين كما قال صلى الله عليه وسلم نظره الى العالم أحب الى من عبادة سنة صيامها وقيامها وقال الناس عالم ومتعلم والباقى

ولا وصول الى نهايتها الا بعد احكام بدايتها ولا عثور على باطنها الا بعد الوقوف على ظاهرها وها أنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك وتمتحن بها قلبك فان صادفت قلبك اليها مائلا ونفسك بها مطاوعة ولها قابلة فدونك التطلع الى النهايات والتغلغل فى بحار العلوم وان صادفت قلبك عند مواجهتك اياها بها مسوفا وبالعمل بمقتضاها مماطلا فاعلم أن نفسك المائلة الى طلب العلم هى النفس الامارة بالسوء وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدليك بحبل غروره فيستدرجك بمكيدته الى غمرة الهلاك وقصده أن يروج عليك الشر فى معرض الخير حتى يلحقك بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء وما ورد فيه من الاخبار والآثار

همج أي ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الحمير والغنم المهزولة وقال فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال من لم يحزن بموت العالم فهو منافق فانه لا مصيبة أعظم من موت العالم وقال ان العمل القليل مع العلم ينفع وان العمل الكثير مع الجهل لا ينفع وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم بالليل صائم بالنهار أهون من موت عالم واحد يعلم ما أحل الله وما حرم وان لم يزد على الفرائض وقال الربيع العلماء سرج الازمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل زمانه (ويلهيك) أي يحملك الشيطان قائلا (عن قوله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا و) يغفلك الشيطان أيضا (عن قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا) أي تعذيبا (يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) أي لم يعمل به رواه الطبراني وعبد الله بن عدي والبيهقي عن أبي هريرة لكن بلفظ لم ينفعه علمه (وكان صلى الله عليه وسلم يقول) كثيرا في الدعاء تعليما لامته (اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وهو ما لا يصحبه عمل أو ما لم يؤذن في تعلمه شرعا أو ما لا يهذب الاخلاق (وقلب لا يخشع) أي لذكرك ولا لسماع كلامك وهو القلب القاسي (وعمل لا يرفع) أي لا يرفع قبوله لرياء أو نحو اخلاص لكون صاحبه مغضوبا عليه (ودعاء لا يسمع) أي لا يقبله الله ولا يعتد به لكونه غير مسموع نافعا صاحبه وفي رواية لا يستجاب رواه أحمد ابن حنبل ومحمد بن حبان ومحمد بن عبد الله الحاكم عن أنس لكن باسقاط وقلب لا يخشع (و) يغفلك الشيطان أيضا (عن قوله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي) من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه) أي لا نفعله (وننهى عن الشر ونأتيه) وفي السراج المنير للسرميني روى عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب (ويلك) أي وحزن لك (يا مسكين) أي يا أيها الذليل الضعيف الذي لا تعلم ما له (أن تدعى) بضم التاء وكسر العين أي تنقاد (لتزويره) أي لتزيين الشيطان الكذب عليك (فيدليك) أي توصل وترقى بدليك (بحبل غرور) واذا كان تعلم العلم والسؤال عنه واجبا لقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر أي العلم ان كنتم لا تعلمون فالعمل بالعلم بعد العلم واجب (ف) يقال (ويل) أي عذاب وهلاك أو واد في جهنم كما قاله السرميني (للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة) في عمره كله (وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة) أي هذا لا تدل يساوي ويل العالم حيث لم يعمل بما علم سبعين مرة فقوله ألف مرة يتعلق بقوله لم يعمل وكذا قوله مرة فهو متعلق بقوله يتعلم وهو أظهر وأحسن ويجوز أن يكون كل من الظرفين متعلقا بقوله ويل في الموضعين اذا كان بمعنى عذاب أو هلاك ولا يجوز ذلك اذا كان بمعنى واد لانه اسم ذات وحينئذ يكون عذاب العالم أعظم من عذاب الجاهل نعم هو بحسب العدد فقط دون الهيئة فيمكن أن يكون العذاب الواحد أشد من الف ضعف وأيضا ان العالم اذا ترك واجبا أو فعل محرما يعذبه الله تعالى ان شاء يكون تعذيبه تعالى له تطهيرا له كذا قال بعضهم وعلى هذا المعنى ما قال الزبانية تسرع للعلماء غير العاملين قبل عبدة الاوثان كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم العالم حبيب الله ولو كان فاسقا والجاهل عدو الله ولو كان عابدا وحكي أن بعض الناس اختلف في شرف العالم الفاسق وشرف الجاهل العابد فخرج أحدهم وذهب الى صومعة العابد الجاهل فنادى يا عابد قد ادركت دعوتك وغفرت لك ذنوبك فاترك العبادة واسترح فقال العابد الهي اني رجوت هذا الوقت وشكرتك وأعبدك من زمان كذا فصار مخطئا وكفر بجهله ثم ذهب أحدهم الى العالم الفاسق وهو يشرب الخمر فقال يا عبدي اتق مني واترك أشرب ذنبك وأنت لا تستحيي مني نعذبك أو أهلكك فلما سمع العالم خرج من مكانه فقال يا ملعون

ويلهيك عن قوله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وعن قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع وعن قوله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه فيا لك يا مسكين أن تدعى لتزويره فيدليك بحبل غروره فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة

أنت لا تعلم ربك فانى أعلم من ربك الآن فغفر ذلك القائل فعلم بذلك شرف العلم وأهله (واعلم) أيها المريد لطلب العلم (ان الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال) أى مراتب (رجل طلب العلم ليتخذه) أى ليجعله (زاده الى المعاد) أى الآخرة فانها معاد الخلق (ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا) أى الرجل (من الفائزين) أى الناجين من عذاب الله تعالى اللاحقين بالخير وعلامة عالم الآخرة ثلاثة وهى عدم طلب الدنيا بالعلم وكون قصده بالاشتغال بالعلوم نيل سعادة الآخرة فيكون معتنيا بعلم الباطن سائسا القلبه بمجاهدة النفس وكون اعتماده فى العلوم على اتباع صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وعلامة عدم طلب الدنيا بالعلم أن يكون أول عامل بالامر ومجتنب بالنهى وأن يكون مجتنبا ترفه مطعم ومسكن وملبس وأن يكون منعزلا منقبضا عن مخالطة السلطان الا لنصحه أو لرد مظالم الى أربابها أو للشفاعة فى مرضاة الله تعالى وأن لا يكون مسارعا الى الفتاوى كان يدل على من هو أعلم منه كما روى عن شريح بن هانئ قال أتيت عائشة رضى الله عنها أسألها عن المسح على الخفين فقالت عليك بعلى ابن أبى طالب فاسأله فانه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه وكما روى عن سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس يسأله عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس ألا أدلك على أعلم أهل الارض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال عائشة فأتها فاسألها عن ذلك وكما روى عن عمران بن حطان قال سألت عائشة عن الحرير فقالت ائت ابن عباس فاسأله فسألته فقال سل ابن عمر فسألت ابن عمر فقال أخبرنى أبو حفص وهو عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة وهذا كله من النصيحة (ورجل طلبه) أى العلم (ليستعين به على حياته) أى الرجل الثانى (العاجلة) أى الحاضرة (وينال به) أى العلم (العز) أى القوة والكرم (والجاه) أى القدر والمنزلة (والمال وهو عالم بذلك) أى بسبب ذلك الغرض (مستشعر) أى مضمر (فى قلبه ركاكة) أى ضعف (قلبه) فقوله ركاكة معمول لعالم ومستشعر (وخسة) أى دناءة (مقصده) بفتح الصاد أى مقصوده (فهذا) أى الرجل (من المخاطرين) أى المقربين أنفسهم على خطر هلك (فان عاجله) أى أخذه بلا مهلة (أجله) أى وقته الذى يموت فيه (قبل التوبة) من ذلك الغرض (خيف عليه سوء الخاتمة) وهو الموت بغير الايمان نعوذ بالله منها (وبقى أمره) أى حاله (فى خطر المشيئة) لله تعالى فان شاء عفا عنه والا فلا (وان وفق) بالبناء للمفعول أى وجه (للتوبة قبل حلول) أى انتهاء (الاجل) أى مدة الموت (وأضاف) أى ضم (الى العلم العمل وتدارك ما فرط) أى قصر (فيه من الخلل) أى الفساد فى أمره (التحق بالفائزين فان التائب) الفاء للتعليل (من الذنب كمن لا ذنب له) كما فى الحديث (ورجل ثالث استحوذ) أى غلب (عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة) أى وسيلة (الى التكاثر) أى المكاثرة (بالمال والتفاخر) أى المباهاة (بالجاه والتعزز) أى صيرورة القوة (بكثرة الاتباع) بفتح الهمزة جمع تبع كسبب وأسباب (ويدخل) أى يمكر (بعلمه كل مدخل) أى مكرا كثيرا قال تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم أى مكرا وخديعة (رجاء أن يقضى) أن يبلغ وينال (من الدنيا وطره) أى حاجته (وهو) أى الرجل الثالث (مع ذلك) أى بجعل العلم وسيلة الى تلك الاغراض (يضمر فى نفسه) أى قلبه (انه عند الله بمكانة) بالتاء المربوطة كما قاله شيخنا يوسف السنبلاوينى أى عظامة وارتفاع وهو مصدر ميمى من اسم الكاف كذا فى المصباح وذكر الجوهرى فى فصل الكاف ان المكانة بمعنى المنزلة وهو من كان وفى فصل الميم بمعنى الاستقامة وهو من مكن (لاتسامه) لاتخاذه سمة أى علامة (بسمة العلماء) أى علامتهم (وترسمه) أى تصوره (برسومهم) أى بصورتهم (فى الزى) بكسر الزاى أى اللباس والهيئة (والمنطق) أى الكلام وهو مصدر ميمى (مع تكالبه) أى تواثبه ومسارعته (على الدنيا ظاهرا وباطنا فهذا) أى الرجل الثالث (من الهالكين ومن الحمقى) بفتح

واعلم أن الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال رجل طلب العلم ليتخذه زاده الى المعاد ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به العز والجاه والمال وهو عالم بذلك مستشعر فى قلبه ركاكة حاله وخسة مقصده فهذا من المخاطرين فان عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة وبقى أمره فى خطر المشيئة وان وفق للتوبة قبل حلول الاجل وأضاف الى العلم العمل وتدارك ما فرط فيه من الخلل التحق بالفائزين فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضى من الدنيا وطره وهو مع ذلك يضمر فى نفسه أنه عند الله بمكانة لاتسامه بسمة العلماء وترسمه برسومهم فى الزى والمنطق مع تكالبه على الدنيا ظاهرا وباطنا فهذا من الهالكين ومن الحمقى

الجاء وسكون الميم وبالقصر جمع أحمق وحمق بكسر الميم هما المذكر وحمقاء بالمد للمؤنث كما في الصحاح ومعنى الحمق بفتحتين أو بضم فسكون وهو مصدر قلة العقل وفساده وماضيه حمق بكسر الميم أو ضمها ومصدر المضموم حماقة أيضا (المغرورين) أى المخدوعين بالشيطان (اذ الرجاء منقطع عن توبته) أى لان توبته لا ترجى لفوت قصده عليها والمنقطع بفتح الطاء اسم معنى وأما المنقطع بكسرها فهو اسم عين (لظنه أنه من المحسنين) أى العاملين بعلومهم (وهو) أى الرجل الثالث (غافل عن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وهو) أى هذا الرجل (ممن) أى من بعض من (قال فيهم) أى في حقهم (رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال) وفي رواية غير الدجال أخوفني عليكم وفي رواية بحذف نون الوقاية أى أخوف مخوفاتي عليكم وأخوف خبر غير وهو أفعل تفضيل وانما دخل النون فيه لمشابهته لفعل التعجب (فقيل) أى لرسول الله (وما هو) أى غير الدجال (يا رسول الله فقال علماء السوء) وهو كل منافق كثير علم اللسان جاهل القلب والعمل اتخذ العلم حرفة يتأكل بها وأبهة يتعزز بها يدعو الناس الى الله ويفر هو منه كما قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان رواه أحمد بن حنبل عن عمر بن الخطاب وكما قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون رواه الامام أحمد والطبراني عن أبي الدرداء أى ان من أخوف شيء أخافه على أمتي ذلك (وهذا) أى بيان هذا الحديث (لان الدجال غايته الاضلال) فلا يخفى على أحد من المؤمنين (ومثل هذا العالم وان صرف الناس عن الدنيا) أى عن حبها (بلسانه ومقاله فهو داع لهم اليها) أى الى حبها (بأعماله وأحواله ولسان الحال أنطق) أى أوضح دلالة الى المراد وفي بعض النسخ أفصح أى أظهر (من لسان المقال وطباع الناس الى المساعدة) بالسين المهملة ثم بالعين أى المعاونة (في الأعمال أميل) أى أكثر ميلا (اليها من المتابعة في الأقوال) فقوله ولسان الحال في مقام التعليل لما قبله وكذا قوله وطباع الناس فهو أيضا في مقام التعليل وقوله الى المساعدة متعلق بأميل وقوله اليها تأكيده وقوله من المتابعة مفضول عليه متعلق أيضا بأميل (فما) أى فالذي (أفسده هذا المغرور) بالشيطان (بأعماله) الفاسدة (أكثر مما أصلحه بأقواله) المزخرفة (اذ لا يستجرئ) أى لا يتشجع (الجاهل على الرغبة) أى التوجه (في الدنيا الا باستجراء العلماء) عليها (فقد صار علمه) أى ذلك الرجل الثالث (سببا لجرأة) بضم الجيم وسكون الراء (عباد الله على) اتيان (معاصيه) من غير توقف فقوله صار الى آخره ملتصق بقوله فاتخذه لمذريعة الى آخره فلو أتى بهذه الجملة عقبه ثم عللها بقوله اذ لا يستجرئ الخ ثم ذكر معطوفها لكان ذلك أظهر والله أعلم (و) صارت (نفسه الجاهلة) الأمارة بالسوء (مدلة مع ذلك) أى الرجل الثالث كتدلل المرأة مع زوجها والمدلة بضم الميم وكسر الدال من أدل بهمزة الصيرورة كما في الصحاح ومعنى ذلك ان النفس صارت دلالا أى ملاعبة مع صاحبها تمنيه المنصب وتدلله ما معه بتوبه (تمنيه) أى فتارة تأمره النفس بأن يتمنى ما بعد حصوله كالجنة والثواب العظيم (وترجيه) أى وتارة تأمره نفسه بأن يرجو ما سهل حصوله كالمال وكثرة الاتباع (وتدعوه) أى وتارة تطلبه نفسه (الى أن يمن) أى يعدد (على الله بعلمه) بأن يقول يا رب علمت كذا وكذا (وتخيل اليه) أى وتارة توقعه النفس في وهمه وخياله (أنه خير من كثير من عباده) أى بسبب كثرة علمه (فكن أيها) الطالب للعلم (من الفريق) أى الفرقة (الأول) وهو الناجي (واحذر) أى احترز (أن تكون من الفريق الثاني) وهو المشرف على الهلاك (فكم) الفاء للتعليل أى لأن كثيرا (من مسوف) أى مماطل للتوبة (عاجله) أى أسرع اليه (الأجل قبل التوبة فخسر) بالخاء المعجمة أى ضل وهلك ويجوز بالحاء المهملة بمعنى حزن وحمق الآخرة لم ينفعه الندم (واياك) أى احذر ولا تقبل (ثم اياك) تأكيد للأول (أن تكون من الفريق الثالث) وهو الهالك الذي تدللت معه نفسه (فتهلك) بالنصب لأنه

المغرورين اذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين وهو غافل عن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما هو يا رسول الله فقال علماء السوء وهذا لان الدجال غايته الاضلال ومثل هذا العالم وان صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم اليها بأعماله وأحواله ولسان الحال أفصح من لسان المقال وطباع الناس الى المساعدة في الأعمال أميل منها الى المتابعة في الأقوال فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله اذ لا يستجرئ الجاهل على الرغبة في الدنيا الا باستجراء العلماء فقد صار علمه سببا لجرأة عباد الله على معاصيه ونفسه الجاهلة مدلة مع ذلك تمنيه وترجيه وتدعوه الى أن يمن على الله بعلمه وتخيل اليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله فكن أيها الطالب من الفريق الأول واحذر أن تكون من الفريق الثاني فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر واياك ثم اياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلك

جواب الامر وهو في الحقيقة جواب الشرط المقدّر والتقدير وان لم تعذر فتهلك (هلا كالا يرجى معه فلاحك) أي نجاتك (ولا ينتظر صلاحك) أي خيرك وصوابك (فان قلت) لي (فما بداية الهداية) التي ذكرتها سابقا (لاجرّب بها نفسي) الامارة وغيرها فهل تقبلها أو تعطلها (ف) أقول لك (اعلم) أيها السائل المريد للخير (أن بدايتها) أي الهداية (ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى فلا عاقبة) أي لا غنيمة (الا بالتقوى ولا هدى) أي رشاد (الا للمتقين) أي المتصفين بالتقوى (والتقوى عبارة عن امتثال) أي اقتداء (أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه) أي مناهيه كما في نسخة وسمي ذلك تقوى لانه يقي أي يحفظ صاحبه من المهالك الدنيوية والاخروية (فهما) أي الامتثال والاجتناب (قسمان وها) للتنبيه (أنا أشير عليك بجمل) بفتح الميم جمع جملة بسكونها (مختصرة) أي موجزة في العبارة (من ظاهر علم التقوى في) هذين (القسمين جميعا) وهو آداب في الطاعات وآداب في ترك المعاصي (وألحق) أي أتبع (قسما ثالثا) وهو آداب الصحبة (ليصير هذا الكتاب جامعا) أي لجميع المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق (مغنيا) أي عن الكتب التي لم تذكر أحد هذه الاقسام الثلاثة أو عن الكتب المبسوطات (والله المستعان) على أداء الخيرات وترك المنكرات (القسم الاول) من قسمي معنى التقوى (في الطاعات اعلم أنّ أوامر الله تعالى) نوعان (فرائض ونوافل فالفرض رأس المال) أي أصله (وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة) من المهالك (والنفل هو الربح وبه الفوز) أي الظفر (بالدرجات) وهي الطبقات من المراتب (قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك) أي تزايد احسانه (وتعالى) أي تنزه عما لا يليق به أي في الحديث القدسي والكلام الانسي (ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم) وفي رواية البخاري وما تقرب الى عبدي بشيء أي من الطاعات أحب الى مما افترضته عليه أي من أداء ذلك ودخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية وشمل الفرائض الظاهرة فعلا كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات وتركا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه (ولا يزال العبد يتقرب) أي يتحبب (الى بالنوافل) أي التطوع من جميع صنوف العبادات (حتى أحبه) بضم أول الفعل لانّ الذي يؤدّي الفرض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدّي النوافل لا يفعلها الا ايثارا للخدمة فلذلك جوزي بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته والمراد بالنوافل هي النوافل الواقعة ممن أدّى الفرائض لا ممن ترك شيأ منها كما قال بعض الاكابر من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور (فاذا أحببته) أي أظهرت حبي له بعد تقربه الى بما ذكر فانّ حبه تعالى قديم غير حادث (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) اي كنت حافظ اعضائه وحامي أجزائه أن تتحرك بغير رضائي وأن يسكن بغير طاعتي وهما معنى دون من ذلك وهو أنه لا يسمع الا ذكري ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا تمتد يده الا بما فيه رضائي ولا يمشي برجله الا في طاعتي والحاصل أنّ من اجتهد بالتقرب الى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه الله تعالى اليه ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والشوق اليه تعالى حتى يصير مشاهدا له تعالى بعين البصيرة فكأنه يراه تعالى فحينئذ تمتلئ قلبه بمعرفته ومحبته ثم لا يزال محبته تتزايد حتى لا يبقى في قلبه غيرها فلا تستطيع جوارحه أن تنبعث الا بموافقة ما في قلبه وهذا هو الذي يقال فيه لم يبق في قلبه الا الله أي معرفته ومحبته وذكره (وان تصل أيها الطالب) لدرجة العالية (الى) مقام الاحسان الذي هو حقيقته (القيام بأوامر الله تعالى الا بمراقبة قلبك وجوارحك) وهو دوام ملاحظتك اي اشتغال قلبك واستغراق أعضائك مع الله تعالى (في) دوام (لحظاتك) بعينك (وأنفاسك من

هلا كالا يرجى معه فلاحك ولا ينتظر صلاحك فان قلت فما بداية الهداية لاجرّب بها نفسي فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى فلا عاقبة الا بالتقوى ولا هداية الا للمتقين والتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فهما قسمان وها أنا أشير عليك بجمل مختصرة من ظاهر علم التقوى في القسمين جميعا وألحق قسما ثالثا ليصير هذا الكتاب جامعا مغنيا والله المستعان

(القسم الاول في الطاعات)

اعلم ان أوامر الله تعالى فرائض ونوافل فالفرض رأس المال وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة والنفل هو الربح وبه الفوز بالدرجات قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولن تصل أيها الطالب الى القيام بأوامر الله تعالى الا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك من

حين تصبح الى حين تمسى) فاذا أردت المراقبة (فاعلم أن الله تعالى مطلع) أى عالم (على ضميرك) أى قلبك (ومشرف) أى ناظر (على ظاهرك وباطنك ومحيط) اى بعلم تام (بجميع لحظاتك وخطراتك) فى بالك (وخطواتك) برجليك (وسائر سكناتك) فى المعاصى والطاعات (وحركاتك) فى ذلك (وأنك فى مخالطتك) مع الناس (وخلواتك) بنفسك (متردد) وحاضر (بين يديه) تعالى (فلا يسكن فى الملك والملكوت) أى الملك العظيم والتاء للمبالغة والمراد بذلك فى الارض والسماء (ساكن ولا يتحرك) فى ذلك (متحرك الا وجبار السموات والارض مطلع عليه) أى على كل من الساكن والمتحرك (يعلم) سبحانه وتعالى (خائنة الاعين) اى خياناتها التى هى أخفى ما يقع من أفعال الظاهر وهو الاشارة بالعين كذا قاله الشربينى ويصح أن يكون ذلك من اضافة الصفة للموصوف أى الاعين الخائنة بمسارقتها النظر الى ما لا يحل (وما تخفى الصدور) أى القلوب من العزم على فعل المعصية والطاعة (ويعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما تسره فى نفسك وأخفى من السر هو ما يلقيه الله تعالى فى قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر غدا قال بعض المشايخ فاذا داوم العابد على هذا الذكر وهو الله شاهدى الله حاضرى الله مطلع على أعانه الله تعالى على المراقبة المذكورة انتهى وقد أرشد المصنف بذلك العابد الى أن يأتى بعبادته على الوجه الاكمل من اخلاص وفراغ قلب من شواغل الدنيا ومن تمكن من تلك المراقبة فى عبادته علما بأنه يناجى مولاه ذهب عنه الوسواس الصادر عن الجهل بمسالك الشريعة وتدبر معانى ما يقول فاذا كانت عبادته كذلك انفتح له من المعارف ما يقصر عن وصفه كل عارف (فتأدب أيها المسكين ظاهرا وباطنا) أى بالجوارح والقلب بمحاسن الاخلاق وبمخالفة مرادات النفس المنهى عنها من حب الدنيا والرياسة فى مخالطة الناس وفى الانفراد بنفسك (بين يدى الله تعالى تأدب العبد) أى خادم الملك أو واحد من رعيته (الذليل) أى بين الذل (المذنب) أى متحمل الذنب (فى حضرة الملك) أى متولى السلطنة (الجبار) أى الذى يقتل عند الغضب (القهار) أى الذى تقهر رعيته فلا يقدر أحد على دفع مراده قال بعضهم اذا اردت أن تفعل شيأ فاعلم أولا أن الله تعالى حاضر وناظر فان كان ذلك الشئ خيرا فافعله بالخضوع أى التذلل فى الاعضاء والخشوع أى خفض الصوت رعاية وتعظيما لله تعالى والا فاتركه خوفا من الله وعذابه (واجتهد) أى فابذل طاقتك فى (أن لا يراك مولاك حيث) أى فى موضع (نهاك ولا يفقدك حيث) أى فى موضع (أمرك) أى ابذل وسعك فى تحصيل اجتناب المعاصى وتحصيل أداء الطاعات لتصل الى نهاية المطلوب (وان قدرت على ذلك) الاجتهاد (الا بأن توزع) أى تقسم (أوقاتك وترتب أورادك) أى وظائفك (من صباحك الى مسائك فاشتغل) أى مل (الى ما يلق) أى ما يليق (بك من أوامر الله تعالى) المطلوبة (عليك من حين تستيقظ من منامك الى وقت رجوعك الى مضجعك) حتى تنام

(فصل فى آداب الاستيقاظ من النوم) أى وآداب اللبس هذه الترجمة ساقطة فى بعض النسخ (فاذا استيقظت) اى أردت الاستيقاظ (من النوم) لتحصيل الفضيلة العظمى (فاجتهد) فى طلب (أن تستيقظ قبل طلوع الفجر) لتصلى أول الوقت لان التغليس أولى من التنوير لان الانسان اذا شرع فى الصلاة من أول الوقت وفى ذلك الوقت ظلمة كانت ملائكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة حتى ظهر الضوء كانت ملائكة النهار حاضرة أيضا وهم يشهدون صلاته وأيضا الانسان اذا شرع فى صلاة الصبح من أول هذا الوقت وامتدت القراءة حتى أسفر هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى النور فالمناسبة للموت والعدم والنور مناسب للحياة والوجود فهو ينتبه من منامه فكأنه ينتقل من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ومن السكون الى الحركة وهذه الحالة العجيبة تشهد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقليب

حين تصبح الى حين تمسى فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك وسائر سكناتك وحركاتك وانك فى مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه فلا يسكن فى الملك والملكوت ساكن ولا يتحرك متحرك الا وجبار السموات والارض مطلع عليه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويعلم السر وأخفى فتأدب أيها المسكين ظاهرا وباطنا بين يدى الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب فى حضرة الملك الجبار القهار واجتهد أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وان تقدر على ذلك الا بأن توزع أوقاتك وترتب أورادك من صباحك الى مسائك فاشتغل الى ما يلق بك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك الى وقت رجوعك الى مضجعك

(فصل فى آداب الاستيقاظ من النوم) فاذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر

الا الخالق بالحكمة فحينئذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة ويتخلص من مرض قلبه فان اكثر الخلق وقعوا في
أمراض القلوب وهي حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر والانبياء كالاطباء الحاذقين حملوا أممهم على
الشروع في الطاعة والعبودية من أول وقت القيام من النوم لانه مما ينفع في ازالة هذا المرض هكذا قال
الشربيني (وليكن أول ما يجري على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى) لخبر البخاري أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانك عليك ليل
طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها
فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان قوله أول خبر يكن مقدم وذكر الله اسمها مؤخر
(فقل عند ذلك) أي الاستيقاظ من النوم (الحمد لله الذي أحيانا) أي أيقظنا (بعدما أماتنا) أي انامنا (واليه
النشور) أي من القبور للجزاء روى هذا التحميد البخاري عن حذيفة وأبي ذر (أصبحنا) أي دخلنا في
الصباح مملوكين لله (وأصبح) أي صار (الملك لله والعظمة) أي الكبرياء (والسلطان لله والعزة والقدرة لله
رب العالمين أصبحنا على فطرة الاسلام) بكسر الفاء أي دين الحق (وعلى كلمة الاخلاص) وهي كلمة الشهادة
(وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا) أي مائلا الى الدين المستقيم (مسلما وما
كان من المشركين) روى هذا الذكر الاخير الامام أحمد (اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت
واليك النشور اللهم انا نسألك أن تبعثنا) أي توجهنا (في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح) أي
نكتسب (فيه) أي هذا اليوم (سوأ) أي ذنبا (أو نجره الى مسلم أو يجره أحد الينا نسألك خير هذا اليوم
وخير ما فيه ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه) وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
استيقظ أحدكم فليقل الحمد لله الذي رد على روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره وعن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل ينتبه من نومه فيقول الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة الحمد لله الذي
بعثني سالما سويا أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير الا قال الله تعالى صدق عبدي وعن عائشة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي
وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب كذا
ذكره النووي في أذكاره (فاذا لبست ثيابك فانو به) أي اللبس (امتثال أمر الله تعالى) الوارد (في ستر
عورتك واحذر أن يكون قصدك من) لبس (لباسك مراآة الخلق فتخسر) أي فتهلك لو قصدت بلبس
الثياب والنعل ونحو ذلك أن يكون لك تعظيم عند الناس أو محبة عند المشايخ والائمة لتتمكن من تأييد مذهب
أهل الحق ونشر العلم وحض الناس على العبادة لا لشرف نفسك من حيث هي ولا للدنيا نالك الصواب ذلك الامر
خيرا وصار في حكم أعمال الآخرة لان هذه نيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء اذ المقصود من ذلك
أمر الآخرة بالحقيقة كما قاله الغزالي وقال بعضهم وينبغي أن يكون العلماء وطالب العلم في زماننا هذا
أحسن ثيابا وأعظم عمامة وأوسع أكماما من الجهلاء أي ليكون العلم قويا عظيما كما قال أبو حنيفة لاصحابه
عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم لئلا يستخف الناس بالعلم وأهله وعن سعد بن مالك بن سنان أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا لبس ثوبا قميصا أو رداء أو عمامة يقول اللهم اني أسألك من خيره وخير ما هو له وأعوذ بك
من شره وشر ما هو له وعن معاذ بن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله
الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه

(باب آداب دخول الخلاء)

أي وما معه (فاذا قصدت بيت الماء) وهو مكان قضاء الحاجة من بول وغائط (لقضاء الحاجة) أي وغيره (فتقدم

وليكن أول ما يجري على
قلبك ولسانك ذكر الله
تعالى فقل عند ذلك الحمد لله
الذي أحيانا بعدما أماتنا
واليه النشور أصبحنا وأصبح
الملك لله والعظمة والسلطان
لله والعزة والقدرة لله رب
العالمين أصبحنا على فطرة
الاسلام وعلى كلمة الاخلاص
وعلى دين نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى ملة أبينا
ابراهيم حنيفا مسلما وما
كان من المشركين اللهم بك
أصبحنا وبك أمسينا وبك
نحيا وبك نموت واليك
النشور اللهم انا نسألك أن
تبعثنا في هذا اليوم الى كل
خير ونعوذ بك أن نجترح
فيه سوءا أو نجره الى مسلم
أو يجره أحد الينا نسألك
خير هذا اليوم وخير ما فيه
ونعوذ بك من شر هذا اليوم
وشر ما فيه فاذا لبست ثيابك
فانو به امتثال أمر الله تعالى
في ستر عورتك واحذر أن
يكون قصدك من لباسك
مراآة الخلق فتخسر
(باب آداب دخول الخلاء)
فاذا قصدت بيت الماء لقضاء
الحاجة فتقدم

في الدخول برجلك اليسرى) أو بدلها لو قطعت (وفي الخروج برجلك اليمنى) ومثل بيت الماء كل ما ليس شريفا ولو خرج من مستقذر الى مستقذر قدم يساره كذا أفاده الونائي (ولا تستصحب) أي لا تلازم (شيأ) معظما وان كتب بقلم مندى كان كان (عليه اسم الله تعالى ورسوله) وحمله مكروه فيه والحروف ليست معظمة لذاتها (ولا تدخل) فيه (حاسر الرأس) أي كاشفه بلا ستر ويكفي في الادب ستره بالكم للامن من أذى الجن كما أفاده الرملي (ولا حافي القدمين) أي بلا نعل وخف أو نحوهما من النجاسة (وقل عند الدخول) أي لما تصل لبابه وان بعد محل جلوسه عنه فان تركت حتى دخلت فقل بقلبك (باسم الله) اي أتحصن من الشيطان ولا تزد الرحمن الرحيم (أعوذ بالله) أي أعتصم بالله (من الرجس النجس) بكسر الراء في الكلمة الاولى وكسر النون في الثانية وسكون الجيم فيهما (الخبيث المخبث) بضم فسكون فكسر أي الذي يوقع الناس في الخبث أي يفرح بوقوعهم فيه (الشيطان الرجيم) أي البعيد من الرحمة وفي رواية ابن عدي اللهم اني أعوذ بك من الرجس الى آخره بلا لفظ باسم الله وهو موجود في رواية ابن أبي شيبة لكن مع التعوذ الآخر (وعند الخروج) أي الانصراف من بيت الماء بأن يكون خارجا منه (الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني) أي باخراج الفضلة (وأبقى في ما ينفعني) وهو قوة المأكول والمشروب ويسن أن تقول عند ذلك أيضا غفرانك مرتين أو ثلاثا كما أفاده الونائي (وينبغي أن تعد النبل) أي أن تحضر أحجار الاستنجاء من مدر وغيره والنبل بضم النون وفتح الباء جمع نبلة مثل غرف وغرفة لقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الملاعن وأعدوا النبل قبل قضاء الحاجة والجلوس له (وأن لا تستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة) ان لم يكن معدا لذلك لئلا يعود عليه الرشاش فينجسه بخلاف المستنجي بالحجر لفقد تلك العلة وبخلاف المعد لذلك فان الاستنجاء فيه بصيره نظيفا الا ان كان فيه هواء معكوس فيكره ذلك فيه لخوف عود الرشاش (وأن تستبرئ من البول) أي والغائط أيضا بعد انقطاعهما (بالتنحنح والنتر) بالتاء المثناة (ثلاثا) لقوله صلى الله عليه وسلم فلينتر ذكره ثلاث نترات يعني بعد البول وكيفية النتر أن يمسح بيسراه من دبره الى رأس ذكره وينتره بلطف ليخرج ما بقي ان كان ويكون ذلك بالابهام والمسبحة لانه يتمكن بهما من الاحاطة بالذكر وتضع المرأة أصابع يدها اليسرى على عانتها كذا نقله البجيرمي عن شرح الروض لشيخ الاسلام لكن المراد بالنتر هنا مد الذكر بلطف بدليل عطف ما بعده وهو قوله (وبامرار اليد اليسرى) أي بمسحها أي بمسح ابهامها ومسبحتها (على أسفل القضيب) وهو قصبة الذكر من مجامع عروقها ويمسح البطن ونحو ذلك ويختلف الاستبراء باختلاف الناس وهو سنة ان علم أن بوله ينقطع بمجرد الخروج وواجب اذا غلب على ظنه عدم انقطاعه الا بنحو التنحنح (وان كنت في الصحراء) أو في البنيان (فابعد عن عيون الناظرين) بحيث لا يرى شخصك وهذا الابعاد أفضل من الابعاد عن الناس الى حيث لا يسمع للخارج منه صوت ولا يشم له ريح كما نقله الونائي عن الرملي (واستتر بشيء) يستر العورة عمن يمر عليك وان لم يكن أحد ولا يكفي الزجاج (ان وجدته) سواء وجدت هناك ساتر القبلة أو لا هذا اذا جلس في وسط مكان واسع فان كان في بناء مسقف أو يمكن عادة تسقيفه كفى الستر عن الاعين بذلك البناء وان تباعد عنه بأكثر من ثلاثة أذرع ان لم يكن داخله من ينظر اليه والا وجب الستر للعورة حينئذ لانه يحرم عليه كشف العورة بحضرة الناس كما قاله الونائي (ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء الى موضع الجلوس) فاذا انتهيت اليه وكشف ثوبك شيئا فشيئا الا أن تخاف تنجس ثوبك فترفعه بقدر حاجتك ثم أسدله كذلك قبل انتصابك (ولا تستقبل الشمس ولا القمر) بعين بول وغائط عند طلوعهما أو غروبهما بدون ساتر كسحاب ولا بأس عليك باستدبارهما (ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها) فاستقبال القبلة واستدبارها بعين الفرج الخارج منه البول أو الغائط ولو مع عدم الاستقبال بالصدر لعين القبلة بغير ساتر حال قضاء الحاجة حرام في

في الدخول برجلك اليسرى
وفي الخروج برجلك اليمنى
ولا تستصحب شيأ عليه اسم
الله تعالى ورسوله ولا تدخل
حاسر الرأس ولا حافي القدمين
وقل عند الدخول بسم الله
أعوذ بالله من الرجس
النجس الخبيث المخبث
الشيطان الرجيم وعند
الخروج غفرانك الحمد لله
الذي أذهب عني ما يؤذيني
وأبقى في ما ينفعني وينبغي
أن تعد النبل قبل قضاء
الحاجة وأن لا تستنجي بالماء
في موضع قضاء الحاجة وأن
تستبرئ من البول بالتنحنح
والنتر ثلاثا وبامرار اليد
اليسرى على أسفل القضيب
وان كنت في الصحراء فابعد
عن عيون الناظرين واستتر
بشيء ان وجدته ولا تكشف
عورتك قبل الانتهاء الى
موضع الجلوس ولا تستقبل
الشمس ولا القمر ولا تستقبل
القبلة ولا تستدبرها

عبر

غير المعد لها وبساتر بخلاف الاولى سواء كان بصحراء أو ببناء أما فى المعد فخلاف الافضل ان سهل العدول عن القبلة والمراد باستدبار القبلة كشف دبره الى جهتها حال خروج الخارج منه فى قضى الحاجتين معا لم يجب عليه الاستتار الا من جهة القبلة فقط ان استقبلها أو استدبرها ويشترط فى عرض الساتر أن يعم جميع ما توجه به الى القبلة ولو ذيلا وهو من السرة الى الارض سواء فى ذلك القائم والجالس فلو قضى حاجته قائما فلابد أن يستر من سرته الى موضع قدميه صيانة للقبلة وان كانت العورة تنتهي للركبة ويشترط أن يكون بينه وبين الساتر ثلاثة أذرع فأقل بذراع الآدمي المعتدل ولا يحرم استقبال المصحف او استدباره ببول أو غائط وان كان أعظم من القبلة لانه قد يثبت للمفضول مالا يثبت للفاضل لكن اذا كان ذلك على وجه يعد ازدراء حرم بل قد يكون كفرا وكذا يقال فى استقبال القبر المكرم أو استدباره كذا أفاده الونائى (ولا تجلس) لقضاء الحاجة (فى متحدث الناس) وهو محل اجتماع الناس فى الشمس شتاء والظل صيفا والمراد هنا كل محل غير مملوك لاحد يقصد لغرض كمعيشة أو مقيل فيكره ذلك ان اجتمعوا لامر مباح والا فلا بل قد يجب ان لزم على ذلك دفع معصية اه (ولا تبل) أى ولا تتغوط أيضا (فى الماء) الراكد قل أو كثر مالم يستبحر أما الجارى فلا يكره ذلك فى كثيره لقوته ويحرم ذلك فى مسبل وموقوف مطلقا وماء هو واقف فيه ان قل والتفصيل انما هو فى قضاء الحاجة فى الماء نهارا أما فى الليل فيكره مطلقا جاريا كان أو راكدا مستبحرا أولا لان الماء بالليل مأوى الجن (وتحت الشجرة المثمرة) ولو كان الثمر مباحا صيانة للثمرة الواقعة عن التلويث فتعافها الانفس ولو فى غير وقت الثمرة سواء كان الثمر مأكولا أو مشموما فيكره ذلك مالم يعلم مجيء ماء يزيل ذلك النجس عن المحل قبل وجود الثمرة من مطر أو غيره (ولا فى الجحر) وهو الثقب أى الخرق المستدير النازل فى الارض وألحقوا به السرب بفتح السين والراء وهو الشق المستطيل لما قيل أن ذلك مسكن الجن وانهم قتلوا سعد بن عبادة رضى الله عنه لما بال فيه ويحرم قضاء الحاجة فيه اذا غلب على ظنه أن فيه حيوانا لم يندب قتله يتأذى بذلك النجس أو يموت به كما قاله الونائى (واحذر الارض الصلبة) بضم الصاد وفتحها وسكون اللام أى فى البول والغائط المائع لئلا يصيبك رشاش الخارج (ومهب الريح) أى محل هبوبها وقت هبوبها أى مرورها على ما قاله الرملى فلا تستقبله (احترازا من الرشاش) ان كان الخارج بولا أو غائطا رقيقا ومن عود ريحه ان كان جامدا وقال ابن حجر والشربينى المعتبر فى الكراهة هبوب الريح الغالب فى ذلك الزمن وان لم تكن هابة بالفعل اذ قد تهب بعد الشروع فى البول والغائط فيتأذى بهما (واتكئ) أى اعتمد (فى حال جلوسك على الرجل اليسرى) ناصبا يمناك بأن تضع أصابع اليمنى على الارض وترفع باقيها لان ذلك أسهل لخروج الخارج مع راحة الاعضاء الرئيسة كالكبد والقلب فانها فى جهة اليسار فان الانسان كالجرة الملآنة فاذا أميلت سهل خروج الخارج منها واذا كانت معتدلة كان فى خروج الخارج عسر ولان المناسب لليمنى أن تصان عن استعمالها فى هذا المحل القذر أما القائم فيعتمد على الرجلين معا فى البول والغائط كما اعتمده الشيخ عطية أخذا من كلام المنهاج (ولا تبل) ولا تتغوط (قائما) فذلك مكروه (الا عن) أى لاجل (ضرورة) فلا كراهة ولا خلاف الاولى لان النبى صلى الله عليه وسلم أتى سباطة قوم فبال قائما وفى هذا الحديث ثلاثة أوجه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لمرض منعه من القعود والثانى أنه استشفى بذلك من وجع الصلب جريا على عادة العرب من أنهم يستشفون بالبول قياما والثالث أنه لم يتمكن من القعود فى ذلك المكان لكثرة النجاسة (وأجمع فى الاستنجاء) من البول والغائط (بين استعمال الحجر والماء) بتقديم الحجر وهو أفضل من الاقتصار على أحدهما فيجتنب مس النجاسة لازالة عينها بالحجر ومن ذلك حصل أصل السنة بالحجر الجنس فى حال الجمع روى أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله

ولا تجلس فى متحدث الناس ولا تبل فى الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة ولا فى الجحر واحذر الارض الصلبة ومهب الريح احترازا من الرشاش لقوله صلى الله عليه وسلم ان عامة عذاب القبر منه واتكئ فى جلوسك على الرجل اليسرى ولا تبل قائما الا عن ضرورة واجمع فى الاستنجاء بين استعمال الحجر والماء

عليه وسلم لاهل قباء ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء وقيل انهم لما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر كذا في عوارف المعارف (فاذا أردت الاقتصار) في الاستنجاء (على أحدهما فالماء أفضل) لان النجاسة انما تزال بالماء (وان اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة) أي متشربة (للعين) فلا يجزئ متنجس ولا ما فيه رطوبة وما فيه نعومة كالتراب والفحم الرخو والقصب الذي لم يشقق اذا كان غير جدوره (تمسح) أي تعم (بها محل النجو) اي الخرء فان تعميم كل مسح من الثلاث لكل جزء من المحل واجب بأن تضع الحجرة على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة وتمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة وتأخذ الثانية وتضعها على المؤخر كذلك وتمرها الى المقدم وتأخذ الثالثة فتديرها حول المسربة ادارة أو تمسحها بها من المقدمة الى المؤخرة (بحيث لا تنقل النجاسة عن موضعها) الذي أصابته عند الخروج واستقرت فيه حتى لو قمت وانضمت اليتاك وانتقلت النجاسة تعين عليك الماء وقوله بحيث الباء بمعنى في وهو متعلق بقوله ان تستعمل أما النقل المضطر اليه الحاصل من الادارة فلا يضر (وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر) بأن تأخذ حجرا كبيرا بيمينك والذكر بيسارك وتمسح الحجر بذكرك وتحرك اليسار فتمسح ثلاث مرات في ثلاث مواضع من حجر واحد كبير أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار الى أن لا ترى الرطوبة في محل المسح كذا في الاحياء (فان) حصل الانقاء بمرتين وجب عليك الاتيان بالثالثة وان (لم يحصل الانقاء بثلاثة) من المسحات بأن بقي أثر يزيله ما فوق صغار الخزف فعليك برابع وهكذا ثم ان أنقيت المحل بوتر فواضح والا (فتمم خمسة) ان أنقيت برابعة (أو سبعة) ان أنقيت بستة وهكذا (الى أن ينقى) أي الموضع ويحصل المسح (بالايتار) أي الافراد (فالايتار) بواحدة بعد الانقاء الذي لم يحصل بوتر (مستحب والانقاء) الى أن لا يزيل الاثر الا الماء أو صغار الخزف (واجب) واعلم أن المصنف ذكر لاجزاء الاقتصار على الحجر ستة شروط شرطين في ذات الحجر وهما كونه طاهرا قالعا لعين النجاسة وثلاثة شروط لاجزاء استعمال الحجر وهي ثلاث مسحات وتعميم المحل بكل مسحة وانقاء المحل وشرطا واحدا للمحل الذي يستنجى فيه وهو عدم انتقال الخارج (ولا تستنج الا باليد اليسرى) بأن تأخذ الحجر بيسارك على الكيفية المذكورة وبأن تصب الماء باليمنى على محل الخرء وتدلكه باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ويكفي في ذلك غلبة ظن زوال النجاسة ولا يسن حينئذ شم اليد وينبغي الاسترخاء لئلا يبقى أثرها في تضاعيف شرج المقعدة فتنبه لذلك كذا قاله ابن حجر (وقل عند الفراغ من الاستنجاء) وبعد الخروج من محله (اللهم طهر قلبي من النفاق) أي نفاق الاعتقاد أي الاعتقاد الفاسد كاعتقاد المعتزلة فيكون المعنى أدم تطهيره منه أو نفاق العمل فيكون المعنى أقطع قلبي عن أصول النفاق من القوة الشهوية والغضبية (وحصن فرجي من الفواحش) أي اجعله عفيفا عن الامور التي تجاوز الحد واعلم أن التكلم ولو بغير ذكر بمجرد الدخول في محل قضاء الحاجة مكروه ولو بغير قضائها كأن دخل لوضع ابريق مثلا أو لكنس الا لمصلحة ولا يكره الذكر بالقلب ويكفي في هذه الحالة الحياء من الله والمراقبة وذكر نعمة الله تعالى في اخراج هذا العدو المؤذي الذي لو لم يخرج لقتل صاحبه وهذا من أعظم الذكر ولو لم يقل باللسان كما قاله عمر البصري (وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالارض أو بحائط) أي جدار ازالة للرائحة ان بقيت (ثم اغسلها) أي اليد ومن الآداب أيضا عدم تطويل القعود بلا ضرورة وعدم العبث باليد وبالرؤية الى اليمين والشمال وعدم النظر للسماء أو الفرج أو الخارج بلا حاجة

فاذا أردت الاقتصار على أحدهما فالماء أفضل وان اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة للعين تمسح بها محل النجو بحيث لا تنقل النجاسة عن موضعها وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر فان لم يحصل الانقاء بثلاثة فتمم خمسة أو سبعة الى أن ينقى بالايتار فالايتار مستحب والانقاء واجب ولا تستنج الا باليد اليسرى وقل عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالارض أو بحائط ثم اغسلها

(باب آداب الوضوء) فاذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك في كل صلاة وعنه صلى الله عليه وسلم أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب علي * ثم اجلس للوضوء مستقبل القبلة على موضع مرتفع كي لا يصيبك الرشاش وقل بسم الله الرحمن الرحيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم اغسل يديك ثلاثا قبل أن تدخلهما الاناء وقل اللهم اني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم انو رفع الحدث أو استباحة الصلاة ولا ينبغي أن تعزب نيتك قبل غسل الوجه فلا يصح وضوءك ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثا وبالغ في رد الماء الى الغلصمة الا أن تكون صائما فترفق وقل اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * ثم خذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلاثا واستنثر ما في الانف من رطوبة وقل في الاستنشاق اللهم أرحني رائحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض وأوصل الماء الى موضع التحذيف

(باب آداب الوضوء)

المراد بالآداب هنا المطلوبة فتشمل المندوبة والواجبة كما أفاده شيخنا عبد الحميد (فاذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك) وانو بالسواك السنة وتطهير الفم لقراءة القرآن وذكر الله في الصلاة كما تنوي بالجماع حصول النسل (فانه) أي السواك (مطهرة للفم) بفتح الميم وكسرها أي آلة تنظفه من الرائحة الكريهة (ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك) لخبر رواه الحميدي ركعتان بسواك افضل من سبعين ركعة بلا سواك وفي رواية ركعة بسواك تعدل سبعين ركعة ولا يدل هذا الحديث على زيادة فضل السواك على فضل الجماعة التي هي بسبع وعشرين درجة لانه لم يتحد الجزاء فيهما لان درجة واحدة من الجماعة قد تعدل كثيرا من السبعين ركعة بسواك وقال الوناني وقد يجب الاستياك لامرأة اذا أمرها زوجها وللمملوك اذا أمره سيده ولمن أكل ثوما أو بصلا يوم الجمعة وقد توقف ازالة الرائحة على السواك لاجل صلاة الجمعة اه (ثم) عند الفراغ من السواك (اجلس للوضوء) وهذا موافق لما في كلام الرملي والماوردي من أن محله قبل غسل الكفين خلافا للامام وابن الصلاح وابن النقيب وابن حجر والشربيني من أن محله بين غسل الكفين والمضمضة (مستقبل القبلة على موضع مرتفع كي لا يصيبك الرشاش) بفتح الراء أي المتناثر من الماء (وقل بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت بسم الله كفى فان تركت البسملة في أول الوضوء فأت بها في أثنائه فان فرغت فلا تأت بها لفوات محلها ثم قل الحمد لله الذي جعل الماء طهورا كذا في الاذكار (رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أي وساوسهم (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي ان تصيبني الشياطين بسوء كذا في الصحاح (ثم اغسل يديك) أي كفيك الى كوعيك (ثلاثا قبل أن تدخلهما الاناء وقل اللهم اني أسألك اليمن) بضم الياء أي القوة على الطاعة (والبركة) أي زيادة الخير (وأعوذ بك من الشؤم) أي الشر (والهلكة) بفتح أحرفه أو قل مثل ما نقل عن الرملي وهو اللهم احفظ يدي من معاصيك كلها (ثم انو رفع الحدث أو استباحة الصلاة) واستدم النية الى غسل الوجه ولا يقدح في نية رفع الحدث عند أول غسل الكفين ان السنن المقدمة لا ترفع الحدث لان السنن في كل عبادة تندرج في نيتها على سبيل التبعية فمعنى نية رفع الحدث قصد رفعه بمجموع أعمال الوضوء وهو رافع بلا شك كذا في حاشية الاقناع (ولا ينبغي) أي لا يجوز (أن تعزب) بضم الزاي وكسرها (نيتك) أي أن تغيب عنك ذكرا (قبل غسل) جزء من (الوجه فلا يصح وضوءك ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثا وبالغ في رد الماء الى الغلصمة) أي رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ في الحلق وأدر الماء في فيك ثم مجه (الا أن تكون صائما) أي ممسكا لترك النية (فارفق) بضم الفاء لخوف الافطار (وقل اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك) أو مثل ما ذكر في الاذكار وهو اللهم اسقني من حوض نبيك صلى الله عليه وسلم كأسا لا أظمأ بعده أبدا أو قل اللهم اعني على ذكرك وشكرك (ثم خذ غرفة لانفك واستنشق بها ثلاثا) وبالغ في تصعيد الماء بالنفس الى الخيشوم ما لم تكن صائما (واستنثر ما في الانف من رطوبة) وذي بخنصر يدك اليسرى (وقل في الاستنشاق اللهم أوجدني) وفي بعض النسخ ارحني (رائحة الجنة وأنت عني راض) وفي الاذكار بدل ذلك اللهم لا تحرمني رائحة نعمك وجناتك وفي الاستنثار اللهم اني أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة (ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدأ سطح الجبهة) أي من أعلى بسطها (الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن وأوصل الماء الى موضع التحذيف) فهو من الرأس

وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو ما بين رأس الاذن الى زاوية الجبين أعنى ما يقع منه فى جهة الوجه وأوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين والاهداب والعذارين وهما ما وازى الاذنين من مبتدأ اللحية ويجب

ايصال الماء الى منابت الشعر من اللحية الخفيفة دون الكثيفة وقل عند غسل الوجه اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين الى انصاف العضدين فان الحلية فى الجنة تبلغ مواضع الوضوء وقل عند غسل اليمنى اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم انى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى * ثم استوعب رأسك بالمسح بان تبل يديك وتلصق رؤس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس وتمرهما الى القفا ثم تردهما الى المقدمة فهذه مرة تفعل ذلك ثلاث مرات وكذلك فى سائر الاعضاء وقل اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم حرم شعرى وبشرى على النار ثم امسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء

جديد وأدخل مسبحتيك فى صماخى أذنيك وامسح ظاهر أذنيك ببطن ابهاميك وقل اللهم اجعلنى من

لاتصال شعره بشعر الرأس وبعضه من الوجه (وهو ما يعتاد النساء) والاكابر ممن له وجاهة (تنحية الشعر) أى ازالته (عنه) ليتسع الوجه (مما بين رأس الاذن) أى أعلاها الذى يعلوه بياض مستور بالمرتفع منها فهو فوق الوتد قريب ليس بينه وبينه فاصل الا الجزء المنخفض فالجزء الذى فوق هذا المنخفض هو المسمى برأس الاذن (الى زاوية الجبين) أى الى ركن فوق الصدغ (أعنى) بموضع التحذيف (ما) أى القدر الذى (يقع منه فى جهة الوجه) أى جانبها بأن يوضع طرف خيط على رأس الاذن والطرف الثانى على أعلى الجبهة ويجعل هذا الخيط مستقيما فما نزل عنه الى جانب الوجه الملاصق للنزعة فهو موضع التحذيف (وأوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين) الشاملين للسبالين (والاهداب والعذارين وهما ما يوازيان) أى يحاذيان (الاذنين من مبتدأ اللحية) وهو ما بين الصدغ والعارض مما ينبت أولا للامرد غالبا (ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة) بأن ترى البشرة من تحتها فى مجلس التخاطب دون الكثيفة والحاصل أن لحية الذكر وعارضيه وما خرج عن حد الوجه من الشعور ولو من امرأة وخنثى ان كثف وجب غسل ظاهره فقط وما عدا ذلك يجب غسله مطلقا أى ظاهرا وباطنا ولو كثيفا هذا هو المعتمد فى شعور الوجه فاعتمده كذا نقله البجيرمى عن الشبراملسى (وقل عند غسل الوجه اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك) والاحصر من ذلك اللهم بيض وجهى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة) قبل غسل الوجه كما قاله عطية تبعا للعنانى الا اذا كنت محرما فاتركه لخوف انتتاف الشعر كما اعتمده الرملى وتبعه ابن قاسم والزيادى والشبراملسى وهو بأصابع اليد اليمنى من أسفلها على الافضل ومثلها كل شعر يكفى غسل ظاهره (ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين الى انصاف العضدين فان الحلية فى الجنة تبلغ مواضع الوضوء) وحرك الخاتم وخلل قبل غسلهما أصابعهما والاولى فى تخليل اليد اليمنى أن يجعل بطن اليسرى على ظهر اليمنى وفى تخليل اليد اليسرى بالعكس خروجا من فعل العبادة على صورة العادة فى التشبيك كذا قال البجيرمى نقلا عن الشوبرى وابدأ باليمنى (وقل عند غسل اليمنى اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا) وهو المسمى بحساب العرض (وعند غسل الشمال اللهم انى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تبل يديك وتلصق رأس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس) وتضع ابهاميك على صدغيك (وتمرهما) أى اليدين (الى القفا ثم) ان انقلب شعرك (تردهما الى المقدمة) ليصل الماء لجميع الرأس (فهذه) أى الامرار والرد (مرة) لعدم تمام المسحة بالامرار الى القفا من غير رد الى المبدأ فان لم ينقلب شعرك لضفره أو قصره أو عدمه فلا ترد لعدم الفائدة لاستعمال الماء فيما لا بد منه وهو مسح البعض الواجب فلا يحسب مرة ثانية (تفعل ذلك) أى الاستيعاب (ثلاثا وكذلك) أى فعل التثليث (فى سائر الاعضاء وقل اللهم غشنى) أى غطنى (برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك) وفى الاذكار بدل ذلك اللهم حرم شعرى وبشرى على النار وأظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك (ثم امسح أذنيك ظاهرهما) وهو ما يلى الرأس (وباطنهما) وهو ما يلى الوجه (بماء جديد) أى غير ماء الرأس (وادخل مسبحتيك) أى رأسيهما (فى صماخى أذنيك) وأدرهما فى المعاطف (وامسح ظاهر أذنيك ببطن ابهاميك) والوجه أشرف الاعضاء لكن فيه منافذ فى بعضها ملح كوسخ الاذنين والبعض ملح كالدمع والبعض حامض كالذى فى الانف والبعض عذب كالريق وجملة منافذه مست العينين والاذنان والفم والانف كذا قال الشيخ عطية (وقل اللهم اجعلنى من

الذين

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادى الجنة في الجنة مع الابرار ثم امسح رقبتك وقل اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين وخلل بخنصر اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتدئا بخنصرها حتى تختم بخنصر اليسرى وتدخل الاصابع من أسفل وقل اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين وكذلك تقول عند غسل اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط في النار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين وارفع الماء الى أنصاف الساقين وراع التكرار ثلاثا في جميع أفعالك فاذا فرغت فارفع بصرك الى السماء وقل أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب اليك فاغفر لي وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا فمن قرأ هذه الدعوات

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم سمعني منادى الجنة) وهو سيدنا بلال بن رباح الحبشي (في الجنة مع الابرار) أي المطيعين لله (ثم امسح رقبتك وقل اللهم فك رقبتي) أي ذاتي (من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال) قال النووي ومسح الرقبة بدعة لا يسن كما نقل عن شرح الروض (ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين) ان وجدا ومع قدرهما ان فقدا (وخلل) قبل غسلهما أصابعهما بأي كيفية كان والافضل أن تخلل (بخنصر) اليد (اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتدئا بخنصرها حتى تختم بخنصر اليسرى وتدخل الاصابع من أسفل) أي أسفل الرجلين فيكون التخليل بخنصر من خنصر الى خنصر أي بخنصر اليد اليسرى ويبتدئ بخنصر الرجل اليمنى ويختم بخنصر الرجل اليسرى وادلك أعضاءك المغسولة بعد افاضة الماء عليها وبالغ في العقب خصوصا في الشتاء (وقل اللهم ثبت قدمي) بكسر الميم وهو مفرد مضاف فيعم الاثنين ولو أريد المثنى لقيل قدماي بالالف بعد الميم (على الصراط المستقيم يوم تزل الاقدام في النار وقل عند غسل اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين في النار) والاحصر من ذلك ما في الاذكار للنووي وهو أن تقول عند غسل الرجلين اللهم ثبت قدمي على الصراط (وارفع الماء الى أنصاف الساقين وراع التكرار ثلاثا في جميع أفعالك) من الغسل والمسح والتخليل والدلك والسواك وسائر الاذكار كالبسملة والتلفظ بالنية كما نقله عطية عن الشبراملسي والتشهد آخر الوضوء وأما دعاء الاعضاء فقال النووي لم يجئ فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هي دعوات جاءت عن السلف الصالحين وزادوا ونقصوا فيها وقال ابن حجر ورد ذلك من طرق لا تخلو من كذاب لكن المحلي والرملي الكبير والصغير اعتمدوا استحبابه لورود ذلك في تاريخ ابن حبان وغيره وان كان ضعيفا لان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال فشرط العمل بالحديث الضعيف عدم شدة ضعفه وأن يدخل تحت أصل عام وأن يكون في العبادات (فاذا فرغت) أي من التطهر (فارفع بصرك الى السماء) ولو كنت أعمى وارفع يديك واستقبل القبلة بصدرك لان السماء قبلة الدعاء ولان حوائج العباد في خزائنه تحت العرش فالداعي يمد يديه لحاجته ولان الكعبة أشرف الجهات (وقل اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) كما رواه مسلم والترمذي (سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ) أي ذنبا (وظلمت نفسي) أي بارتكاب المعاصي (أستغفرك) أي أطلب منك المغفرة وهي ستر الذنب من غير مصاحبة عقوبة (وأتوب اليك) أي آتي بصورة التائب الخاضع الذليل أو أعني أسألك أن تتوب على كما رواه الحاكم الا قوله عملت سوأ وظلمت نفسي فليس فيه (فاغفر لي وتب على) أي انقذني من المعاصي (انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين) من الذنوب والراجعين عن العيوب (واجعلني من المتطهرين) أي بالاخلاص عن تبعات الذنوب السابقة وعن التلطخ بالسيئات اللاحقة أو من المتطهرين من الاخلاق الذميمة فيكون فيه اشارة الى أن طهارة الاعضاء الظاهرة لما كانت بيدنا طهرناها وأما طهارة الاعضاء الباطنة فانما هي بيدك فأنت تطهرها بفضلك وهاتان الكلمتان رواهما الترمذي (واجعلني من عبادك الصالحين) أي القائمين بما عليهم من حقوق الله وحقوق عباده (واجعلني عبدا صبورا شكورا) أي كثير الصبر وكثير الشكر لك والصبر هو تعظيم الله تعالى يمنع عن الجزع فيما أصابه ويحمل على الصبر والشكر هو تعظيم المنعم يمنع عن الكفران ويحمل على الشكر فأحدهما لا ينفك عن الآخر لان الباعث عليهما واحدة وهي الاستقامة (واجعلني أذكرك ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا) أي عشيا وهو ما بعد صلاة العصر الى الغروب كما في المصباح وقل عقب ذلك وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد وأصحابه ويستحب أن يكرر ذلك ثلاثا (فمن قرأ هذه الدعوات) التي رواها مسلم

والترمذي والحاكم (في وضوئه) أي بعده (خرجت جميع خطاياه) اى ذنوبه (من جميع أعضائه) وكتب هذا اللفظ في جلد (وختم) أي طبع (على وضوئه) أى ثوابه (بخاتم) بفتح التاء وبصان صاحبه من تعاطي مبطل ثوابه بأن يرتد والعياذ بالله تعالى وفى ذلك بشرى بأن من قال تلك الدعوات لا يرتد وأنه يموت على الايمان (ورفع له) أى الوضوء (تحت العرش فلم يزل) أى الوضوء (يسبح الله تعالى) أى ينزهه عما يقول الجاحدون (ويقدسه) أى يطهره عن كل نقص وما خطر بالبال (ويكتب له) أى للمتوضئ (ثواب ذلك) اى التسبيح والتقديس (الى يوم القيامة) ويتجدد ذلك بتعدد الوضوء لان الفضل لا امتناع عليه فاذا قال الدعوات ثلاثا عقب الوضوء كتب ثلاث مرات وما ذلك على الله بممتنع واقرأ انا أنزلناه ثلاثا فان من قرأها مرة واحدة فى أثر وضوئه كان من الصديقين ومن قرأها مرتين كتب فى ديوان الشهداء ومن قرأها ثلاثا حشره الله محشر الانبياء كما فى الحديث ويسن بعد قراءة تلك السورة أن تقول اللهم اغفر لى ذنبي ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى ولا تفتني بما زويت عنى *(تنبيه)* يندب ادامة الوضوء لما ورد فى الحديث القدسي يا موسى اذا أصابتك مصيبة وأنت على غير وضوء فلا تلومن الا نفسك ولقوله صلى الله عليه وسلم دم على الطهارة يوسع عليك الرزق كما أفاد ذلك البجيرمي نقلا عن سيدى مصطفى البكرى (واجتنب فى وضوئك سبعا) من الخصال (لا تنفض يديك فترش الماء) لان النفض كالتبرى من العبادة فهو خلاف الاولى وكذا التنشيف بلا عذر وهو أخذ الماء بخرقة أما اذا كان لعذر فيسن ونقدم حينئذ اليسار على اليمين لانه يزيل أثر العبادة فينبغى البداءة فيه باليسرى ليبقى أثرها على الاشرف كأن خرجت بعد وضوئك فى هبوب ريح بنجس أو آلمك شدة نحو برد والاولى أن لا يكون بذيلك ولا بطرف ثوبك ونحوهما كما نقله الونائي عن النخائر ويسن تنشيف الميت بعد غسله (ولا تلطم وجهك ولا رأسك بالماء لطما) بل تأخذ الماء بكفيك وتغسل وجهك بهما معا وتمسح بهما رأسك (ولا تتكلم فى اثناء الوضوء) بلا عذر ولا يكره الكلام له ولو من عار لانه صلى الله عليه وسلم كلم أم هانئ يوم فتح مكة وهو يغتسل كما أفاده ابن حجر (ولا تزد فى الغسل) أى والمسح (على ثلاث مرات) ولا تنقص عنها فان ذلك مكروه الا لعذر كأن ضاق الوقت بحيث لو اشتغل بالتثليث لخرج الوقت فحينئذ يحرم التثليث أو قل الماء بحيث لا يكفيك الا الفرض فيحرم حينئذ الزيادة عليه أو احتجت الى الفاضل عن الماء لعطش فيحرم عليك التثليث وادراك الجماعة أفضل من تثليث الوضوء وسائر آدابه التى لم يقل المخالف بوجوبها كمسح جميع الرأس والدلك للاعضاء والاقدام على الجماعة (ولا تكثر صب الماء) بحيث يزيد على ما يكفى العضو وان لم يزد على الثلاث (من غير حاجة) ولو على شط نهر فذلك مكروه اذا كان (بمجرد الوسوسة) وكان الماء مملوكا له أو مباحا فان كان موقوفا حرم الاسراف (فللموسوسين شيطان يضحك) وفى بعض النسخ يلعب (بهم) أى يهزأ بهم (يقال له الولهان) بسكون اللام وهو الذى توله الناس بكثرة استعمال الماء وذكر بعضهم أن لابليس تسعة من الولد لكل منهم اسم وعمل فمنهم خنزب وهو الموسوس فى الصلاة والولهان وهو الموسوس فى الطهارة والثالث زلنبور بزاى مفتوحة ولام مشددة بعدها نون فموحدة وآخره راء وهو فى كل سوق يزين للبائعين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة وتطفيف الكيل والميزان والرابع الاعور وهو شيطان الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجز المرأة والخامس الوسنان بواو مفتوحة وسين مهملة ساكنة ونون بينهما ألف وهو شيطان النوم يثقل الراس والاجفان عن القيام الى الصلاة ونحوها ويوقظ اذا تمكن من زنا ونحوه والسادس ثبر بمثلثة فموحدة فراء وهو اسم شيطان المصيبة يزين الصياح واطام الخدود ونحوه والسابع داسم بدال وسين مهملتين بينهما ألف وهو اسم

في وضوئه خرجت خطاياه من جميع أعضائه وختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الوضوء الى يوم القيامة واجتنب في وضوئك سبعا لا تنفض يديك فترش الماء ولا تلطم وجهك ورأسك بالماء لطما ولا تتكلم في اثناء الوضوء ولا تزد في الغسل على ثلاث مرات ولا تكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسة فللموسوسين شيطان يضحك بهم يقال له الولهان

شيطان الطعام يأكل مع الانسان ويدخل المنزل ان لم يسم عند طعامه ودخوله وينام على الفراش ويلبس الثياب ان لم تكن مطوية وذكر اسم الله عليها وقيل انه يسعى فى اثارة الخصام بين الزوجين ليفرق بينهما والثامن مطوون بميم مفتوحة فطاء مهملة وآخره نون ويقال مسوط بسين مهملة مضمومة وآخره طاء مهملة وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها على ألسنة الناس ثم لا يوجد لها أصل والتاسع الابيض بموحدة فتحتية فضاد معجمة موكل بالانبياء والاولياء أما الانبياء فسلموا منه وأما الاولياء فهم مجاهدون له فمن سلمه الله سلم ومن أغواه غوى كذا أفاده حسين بن سليمان الرشيدى (ولا تتوضأ بالماء المشمس) أى ما أثرت فيه الشمس بحيث قويت على أن تفصل بحدتها زهومة من الاناء الذى يقبل المطرقة غير النقدين ولو مغطى لكن كراهة المكشوف أشد لما روى عن عائشة أنها سخنت ماء فى الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلى ياحميراء فانه يورث البرص وهذا الحديث وان كان ضعيفا لضعف سنده يقويه خبر عمر رضى الله عنه أنه كان يكره الاغتسال بالمشمس وروى أنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص ولا تخللوا بالقصب فانه يورث الاكلة وهذا اشتهر بين الصحابة فصار اجماعا سكوتيا وقيس بالاغتسال باقى أنواع الاستعمالات فى البدن ظاهرا وباطنا بأن يشرب ذلك الماء (ولا تتوضأ) (من الاوانى الصفرية) بل من الخزفية أو الجلدية أو الخشبية لما قد روى عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما من كراهية اناء الصفر (فهذه السبعة مكروهة فى الوضوء) أى مشتملة على خلاف الاولى كما فى النقص والتكلم (وفى الخبر) الذى رواه عبد الرزاق عن الحسن الكوفى (ان من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصابه الماء) قال على بن أحمد العزيزى فى معنى هذا الحديث أى من سمى الله أول الوضوء طهر الله جسده الظاهر والباطن فان لم يذكر اسم الله عنده لم يطهر منه الا الظاهر دون الباطن * (تتمة) * يسن الوضوء فى مواضع نظمها بعضهم من بحر الطويل بقوله

ويندب للمرء الوضوء فدلدى * مواضع تأتى وهى ذات تعدد
قراءة قرآن سماع رواية * ودرس لعلم والدخول لمسجد
وذكر وسعى مع وقوف بعرفة * زيارة خير العالمين محمد
وبعضهم عد القبور جميعها * وخطبة غير الجمعة صمم لمابدى
ونوم وتأذين وغسل جنابة * اقامة ايضا والعبادة فاعدد
وان جنبا يختار أكلا ونومة * وشربا وعودا للجماع المجدد
ومن بعد فصد وحجامة حاجم * وقئ وحمل الميت والمس باليد
له أو لخنثى أو لمس لفرجه * ومس ولمس فيه خلف كامرد
وأكل جزور غيبة ونميمة * وفحش وقذف قول زور مجرد
وقهقهة تأتى المصلى وقصنا * لشاربنا والحلق والغضب الردى
بلوغ بسن مس فرج بهيمة * خروج لشئ من فتوح ومرتد
ورفع لصوق لم يكن بندمل قط * ومس الذى تاج ان كان من معد
وحمل لتفسير اذا كان اكثرا * من المصحف الرسمى صل وجدد

وشرح هذه الابيات أن الوضوء الشرعى لا اللغوى الذى هو مجرد غسل اليدين يطلب فى مواضع كثيرة فى قراءة قرآن أى ارادته وفى سماع القرآن والحديث وفى رواية الحديث من غير الموضوع بنيا أى تحمله ورواية عن الشيخ وفى تعلم علم شرعى من تفسير وحديث وفقه وعلم آلة أما آلة فلا يسن لها الوضوء وفى دخول

ولا تتوضأ بالماء المشمس ولا من الاوانى الصفرية فهذه السبعة مكروهة فى الوضوء وفى الخبر ان من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصابه الماء

المسجد ولو مارا ولو بجنب وفي ذكر الله تعالى وفي سعي بين الصفا والمروة وفي وقوف عرفة وفي زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر القبور وفي خطبة غير الجمعة وفي نوم ليلا أو نهارا ولو قليلا لا قاعدا متمكنا وفي أذان وفي غسل جنابة وغيرها من غسل واجب ومندوب وفي اقامة الصلاة وفي العبادة ككتابة الحديث والفقه وكرمي الجمار وعند ارادة الجنب أكلا ولو محرما كمغصوب أو شربا كذلك أو نوما أو وطأ جائزا بأن أراد وطء حليلته ثانيا وان كانت الجنابة الاولى من غير وطء أما المحرم كالزنا فلا يسن له الوضوء وفي فصد وحجامة وقيء أي بعدها وفي حمل ميت أي قبله وبعده وفي مس جزء ميت وان لم ينقض الوضوء كالشعر والظفر فيسن بعده الوضوء وفي لمس الرجل أو المرأة بدن الخنثى وفي مس احد قبليه وحمل سنية الوضوء بعد ذلك اذا مس كل من الرجل والمرأة غير ماله وفي مس الامرد الحسن للخلاف في نقضه الوضوء وفي أكل لحم ابل وفي غيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره فيسن الوضوء بعدها ولو كنت متوضئا وفي نميمة وهي السعي بين الناس بالافساد وفي فحش كسخرية وفي يمين غموس وشهادة زور وفي قذف زنا وفي قول كذب لغير مصلحة وفي قهقهة في الصلاة فان القهقهة داخل الصلاة مبطلة للوضوء عند أبي حنيفة أما القهقهة خارجها فلا تبطل الوضوء عنده كما قرره شيخنا عبد الحميد والشيخ يوسف السنبلاويني وفي قص شارب وسبال وفي حلق الرأس وفي الغضب ولو لله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وفي البلوغ بالسن فيسن له الوضوء مع استحباب الغسل أيضا لان الوضوء يطلب له استقلالا بدون الغسل لان حكمة الغسل احتمال نزول المني من حيث لا يشعر ولذا ينوي به رفع الجنابة وهذا لا يظهر في الوضوء وفي مس فرج البهيمة فيسن الوضوء بعده لان مس المشقوق منه ينقض الوضوء عند القول القديم أما دبر البهيمة فلا ينقض بلا خلاف كما أفاده الدميري وفي خروج شيء من المنفتح مطلقا أي في أي موضع كان وفي الردة وكذا في قطع النية بعد فراغ الوضوء وفي رفع لصوق الجرح عند توهم الاندمال فرآه لم يندمل وفي مس المنفتح تحت المعدة مع انفتاح الاصلي وفي حمل كتب التفسير اذا كان التفسير أكثر من القرآن وهذا باعتبار رسم مصحف سيدنا عثمان الذي اختص به نفسه المسمى بالامام واما التفسير فباعتبار رسمه على قواعد علم الخط كذا اعتمده ابن حجر وفي تجديد الوضوء بعد كل صلاة ولو كان الوضوء المجدد مكملا بالتيمم سواء كان الوضوء الاول كله بالماء أو مكملا بالتيمم أيضا فتطلب اعادة الوضوء وهذه الامور بعضها يطلب الوضوء قبلها وبعضها بعدها كما لا يخفى وفي جميعها يأتي بنية من نيات الوضوء ولا يكفي نية السبب عنها كأن نوى الوضوء لقراءة القرآن وكأن نوى سنة الوضوء للغضب بخلاف الاغسال المسنونة فتصح نية أسبابها والفرق ان أكثر مقصودها النظافة ومقصود هذا الوضوء العبادة واذا توضأ بنية سجود تلاوة أو شكر جاز له أن يصلي به الفرض ولو توضأ بنية قراءة القرآن أو اللبث في المسجد لم يجز له أن يصلي به الفرض والفرق أن الطهارة لا تشترط للقراءة فانها تباح مع الحدث بخلاف سجود التلاوة فان من شرط صحته الطهارة فلهذا جاز له أن يصلي به الفريضة

(آداب الغسل)

أي الواجب والمسنون (فاذا أصابتك جنابة من احتلام) أي امناء (أو وقاع) أي جماع (فخذ الاناء) وفي نسخة فاحمل الاناء (الى المغتسل) وضعه عن يمينك ان كنت تغترف منه وعن يسارك ان كنت تصب منه وسم الله تعالى أولا (واغسل يديك أولا ثلاثا) ثم استنج كما مر (وأزل ما على بدنك) أي جسدك (من قذر) كمني ومخاط ومن نجاسة ان كانت (وتوضأ كما سبق في وضوئك للصلاة مع جميع الدعوات وأخر غسل قدميك) وفي نسخة رجليك (كيلا يضيع الماء) فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان مثل اضاعة الماء والافضل

(آداب الغسل)
فاذا أصابتك جنابة من احتلام أو وقاع فخذ الاناء الى المغتسل واغسل يديك أولا ثلاثا وأزل ما على بدنك من قذر وتوضأ كما سبق في وضوئك للصلاة مع جميع الدعوات وأخر غسل قدميك كيلا يضيع الماء

أن تقدّم الوضوء جميعه على الغسل ولك أن تؤخره كله أو بعضه عنه وتنوي بالوضوء في صورة التأخير الفرضية ان أردت الخروج من الخلاف والا نويت السنة بأن تقول نويت الوضوء لسنة الغسل وكذا في صورة التقديم ان تجرّدت جنابتك عن الحدث والا فانو نية معتبرة في الوضوء (فاذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك) والمعتمد أن الافضل بعد فراغ الوضوء ان تعهد معاطفك ثم تخلل رأسك ولو كنت محرما لكن برفق ان كان عليه شعر بأن تدخل أصابعك العشرة فيه فيشرب بها أصوله كما قاله ابن حجر ثم تدلكه ثلاثا كما قاله شيخ الاسلام في التحرير ثم تصب الماء على رأسك (ثلاثا وأنت) في أوّل ما تغسل من بدنك (ناو رفع الحدث من الجنابة) أو نحوه (ثم) صب الماء (على شقك الايمن ثلاثا ثم على) شقك (الايسر ثلاثا) وهذه الكيفية تحصل أصل السنة كما قاله البجيرمي والكيفية الاخرى أن تغسل الراس ثلاثا ثم شقه الايمن من مقدمه ثلاثا ثم من مؤخره ثلاثا ثم مقدمه الايسر ثلاثا ثم مؤخره ثلاثا فلا ينتقل الى مؤخره ولا الى أيسر الا بعد تثليث مقدّم وأيمن (وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر) وظاهر كلام المصنف أن المغتسل لا ينتقل الى الايسر حتى يثلث الايمن وصريح كلامه في الاحياء أن الدلك يكون بعد تمام الشقين (ثلاثا ثلاثا) لكن قال ابن حجر والشربيني فالاكمل أن يغسل ويدلك شقه الايمن المقدّم ثم المؤخر ثم الايسر كذلك فهذه مرة ثم ثانية كذلك ثم ثالثة كذلك (وخلل شعر رأسك ولحيتك) سواء كان كثيفا أو خفيفا ولا يجب على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت أن الماء لا يصل الى خلال الشعور (وأوصل الماء الى) كل معطف من (معاطف البدن) وهو ما فيه انعطاف والتواء كطبقات البطن والموق واللحاظ والابط والاذن وداخل السرة وتحت المقبل من الانف فان ذلك مما يغفل عنه ويتأكد التعهد في الاذن خصوصا في حق الصائم بأن يأخذ كفا من ماء ويضع الاذن عليه برفق مميلا لها ليصل لمعاطفها من غير نزول لصماخها فيضر به (ومنابت الشعر ما خف منه وما كثف) وانما وجب غسل الكثيف هنا دون الوضوء لقلة المشقة هنا لعدم تكرره في كل صلاة بخلاف الوضوء فانه يتكرر كل وقت فخفف فيه واعلم أن المضمضة والاستنشاق سنتان مستقلتان في الغسل كما انهما سنتان في الوضوء ومحلهما قبل الوضوء كما في فتح الجواد وكره تركهما كترك الوضوء ويسنّ تداركهما ولو بعد الفراغ من الغسل لان سنن الغسل لا تفوت بالفراغ منه لعدم اشتراط الترتيب في أفعاله وهما عند مالك سنتان في الغسل والوضوء كما عندنا وواجبان فيهما عند أحمد وفرضان في الغسل سنتان في الوضوء عند أبي حنيفة (واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء) أي وقبل تمام الغسل كما في الاحياء (فان أصابته يدك فأعد الوضوء) وهذا موافق لابن حجر وهو ظاهر لاجل الخروج من الخلاف في عدم اندراج الاصغر في الاكبر وقال البجيرمي ولو أحدث بعد الوضوء وقبل الغسل لا تندب له اعادته على المعتمد عند الرملي لانّ هذا الوضوء لا يبطله الحدث وانما يبطله الجماع وبه يلغز فيقال لنا وضوء لا يبطله الحدث وقد نظم السيوطي ذلك من بحر الكامل المجزوّ المرفل فقال

قل للفقيه والمفيد * ولكل ذي باع مديد
ما قلت في متوضئ * قد جاء بالامر السديد
لا ينقضون وضوءه * مهما تغوّط أو يزيد
ووضوءه لم ينتقض * الا بايلاج جديد

ونظم الجواب بعضهم من ذلك أيضا فقال

يا مبدئ اللغز السديد * يا واحد العصر الفريد
هذا الوضوء هو الذي * للغسل سنّ كما تريد

فاذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثا وأنت ناو رفع الحدث من الجنابة ثم على شقك الايمن ثلاثا ثم على الايسر ثلاثا وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر ثلاثا ثلاثا وخلل شعر رأسك ولحيتك وأوصل الماء الى معاطف البدن ومنابت الشعر ما خف منه وما كثف واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء فان أصابته يدك فأعد الوضوء

وهو الذى لم ينتقض * الا بايلاج جديد

(والفرض من جملة ذلك كله) اى المذكور من الافعال المطلوبة فى الغسل سواء كان واجبا او مندوبا شيئان (النية وازالة النجاسة واستيعاب البدن) حتى الشعور والاظفار (بالغسل) وأما ازالة النجاسة التى لا تزول أوصافها بغسلة واحدة فهى شرط لصحة الغسل فيجب قبله وأما ان زالت بذلك فازالتها قبل الغسل سنة اذا وصل الماء الى البشرة بغير تغير والا وجبت ثم استطرد المصنف بيان أركان الوضوء فقال (وفرض الوضوء ستة (غسل الوجه) ولو بفعل غيره بلا اذنه ان كان ذاكرا للنية (واليدين مع المرفقين) ان وجدتا ومع قدرهما ان فقدتا وأما ان وجدتا فى غير محلهما المعتاد فيحتمل اعتبار الغالب واعتبار وجودهما (ومسح بعض الرأس) من بشرته وان خرجت عن حده ومن شعره الذى فى حده (وغسل الرجلين الى الكعبين) كما فى المرفقين (مرة مرة) فى الاعضاء الاربعة (مع النية) المقترنة بأول مغسول من الوجه (والترتيب) ما بين الاعضاء الاربعة (وما عداها) أى الستة من أفعال الوضوء (سنن مؤكدة فضلها) أى تلك السنن (كثير وثوابها) اى جزاؤها عند الله تعالى (جزيل) أى عظيم (والمتهاون بها) أى المستحقر للسنن (خاسر بل هو) أى المتهاون (بأصل فرائضه مخاطر) أى مشرف على فساده لان التهاون بالسنن يؤدى الى التهاون بالفرائض (فان النوافل جوابر الفرائض) أى فمن مات شخص ولم يفعل الفرائض من الصلوات يقوم كل سبعين من النوافل مقام ركعة من الفرض وكذلك يقوم كل سبعين ريالا من صدقة التطوع مقام ريال واحد من الزكاة أما فى الدنيا فلا يجبر ترك الفرائض بالنوافل بل لابد من فعلها وأما الوضوء فهو مكفر للصغائر فان لم يكن عليه شىء من الصغائر خفف من الكبائر ثم الفرائض هنا بالنسبة للوضوء هى اجتناب المعاصى وذلك ان كان المراد بالنوافل سنن الوضوء صار معنى قوله فان النوافل جوابر الفرائض ان اتيان سنن الوضوء جوابر للفرائض التى هى ترك الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى بمعنى أنها مكفرة لتلك الذنوب زيادة على تكفير الوضوء بدون سننه لها واما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة أو الحج المبرور وكذلك الذنوب المتعلقة بحقوق الآدميين فلا بد من التوبة والا فالقصاص عليه ان لم يجد فضلا من الله تعالى والله أعلم

(آداب التيمم)

وهو رخصة مطلقا سواء كان الفقد حسيا أو شرعيا وقيل عزيمة والرخصة انما هى اسقاط القضاء وقيل ان كان الفقد حسيا فعزيمة والا فرخصة بدليل صحة تيمم العاصى بالسفر قبل التوبة ان فقد الماء حسا وبطلان تيممه قبلها ان فقده شرعا كان تيمم لنحو مرض (فان عجزت عن استعمال الماء) لاحد ستة أسباب فيحل لك التيمم وهى اما (لفقده) أى الماء (بعد الطلب) للماء فى وقت الصلاة (أو لعذر من مرض أو لمانع من الوصول اليه) أى الماء (من سبع أوحبس) اى بغير حق وهذا داخل فى الفقد الحسى كما قاله عطية (أو كان الماء الحاضر) أى الموجود (تحتاج اليه لعطشك أو لعطش رفيقك) غير المرتد وتارك الصلاة والحربى والخنزير ولو كان الحاجة اليه فى المستقبل فيجب عليك أن تدخره ويحرم الوضوء به صونا للروح أو العضو أو المنفعة من التلف (أو كان) الماء (ملكا لغيرك ولم يبع الا بأكثر) أى بأزيد (من ثمن المثل) اى اللائق به فى ذلك الزمان والمكان ولو كان الزائد عن اللائق مما يتسامح به عادة (أو كان بك جراحة) أو كسر وخفت من استعمال الماء فساد العضو مثلا وروى الحاكم أن رجلا أصابه جرح على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابه احتلام فأمروه بالاغتسال فاغتسل فمات فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه ألم يكن شفاء العى السؤال والعى بالعين المهملة الجاهل (أو مرض تخاف منه على نفسك) الهلاك أو سدة الضنا وهو على وجه لا يحتمل عادة أو طول مدة البرء وهو مقدار وقت المغرب فاذا أردت التيمم (فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة) لان التيمم

والفرض من جملة ذلك كله النية وازالة النجاسة واستيعاب البدن بالغسل وفرض الوضوء غسل الوجه واليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين مرة مرة مع النية والترتيب وما عداها سنن مؤكدة فضلها كثير وثوابها جزيل والمتهاون بها خاسر بل هو بأصل فرائضه مخاطر فان النوافل جوابر الفرائض

(آداب التيمم)

فان عجزت عن استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو لعذر من مرض أو لمانع من الوصول اليه من سبع أوحبس أو كان الماء الحاضر تحتاج اليه لعطشك أوعطش رفيقك أو كان ملكا لغيرك ولم يبع الا بأكثر من ثمن المثل أو كان بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة

طهارة ضرورة ولا ضرورة قبل الوقت (ثم اقصد صعيدا) أي وجه الارض (طيبا) أي حلالا (عليه تراب) اى على أي صفة كانت (خالص) بأن لم يختلط بنحو جص ورمل ناعم يلصق بالعضو (طاهر) بان لم يكن متنجسا ولا مستعملا (لين) أي بحيث يرتفع منه غبار (فاضرب عليه) أي التراب (بكفيك ضاما بين أصابعك) لان الضربة الاولى مقصودة للوجه فما فضل لليدين منها لا يعتد به وهذا كما في الاحياء خلافا لما قاله النووي والمحلي وشيخ الاسلام حيث قالوا و يندب تفريق أصابعه في كل ضربة لانه أبلغ في اثارة الغبار فلا يحتاج الى زيادة على الضربتين (وانو استباحة فرض الصلاة) او استباحة نحوه لا رفع الحدث لان التيمم لا يرفعه ويجب قرن النية بأول النقل وأول مسح الوجه ولا يضر عزوبها بينهما (وامسح بهما) أي كفيك (وجهك كله مرة واحدة) فان تكرير المسح لكل عضو مكروه (ولا تتكلف) أي لا تتجشم على مشقة (ايصال الغبار الى منابت الشعر خف أو كثف) فانه لا يسن لعسره مع عدم طلب الازالة في غير لحية المرأة أما تحت الاظفار فيجب ايصال التراب اليه كالوضوء لان الاظافر مأمور بازالتها (ثم انزع خاتمك) بفتح التاء فان نزع الخاتم في الضربة الثانية واجب ليصل التراب الى محله ولا يكفي تحريكه لان التراب لا يدخل تحته لكثافته بخلاف الماء فايجاب نزعه انما هو عند المسح لا عند النقل كذا أفاده أحمد الميهي وأما في الاولى فمندوب ليكون مسح جميع الوجه باليد كما أفاده المحلي (واضرب ضربة ثانية مفرجا) أي مفرقا كما في نسخة (بين أصابعك) وان لم تفرق أصابعك في هذه الضربة وجب عليك التخليل لانها المقصودة لليدين وتستغني الاصابع بالتراب الواصل عن المسح بما على الكف (وامسح بهما) اى بكفيك (يديك مع مرفقيك فان لم تستوعبهما) أي اليدين بتلك الضربة (فاضرب ضربة اخرى) أي ثالثة (الى أن تستوعبهما ثم امسح احدى كفيك بالاخرى وامسح ما بين أصابعك بالتخليل) ويسن أن يأتي بمسح اليدين على كيفيته المشهورة وهي أن يضع بطون أصابع اليسرى سوى الابهام تحت أطراف أنامل اليمنى بحيث لا تخرج أنامل اليمنى عن مسبحة اليسرى ولا مسبحة اليمنى عن أنامل اليسرى ويمرها على ظهر كفه اليمنى فاذا بلغ الكوع ضم أطراف أصابعه الى حرف الذراع ويمرها الى المرفق ثم يدير بطن كفه الى بطن الذراع فيمرها عليه رافعا ابهامه فاذا بلغ الكوع امر ابهام اليسرى على ظهر ابهام اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح احدى الراحتين بالاخرى وانما لم يجب لان فرضهما حصل بضربهما بعد مسح وجهه وجاز مسح ذراعيه بترابهما لعدم انفصاله مع الحاجة اذ لا يمكن مسح الذراع بكفها فصار كنقل الماء من بعض العضو الى بعضه لان اليدين كعضو واحد كما أفاده البجيرمي (وصل به) أي بالتيمم الذي استبحت به الفرض (فرضا واحدا وما شئت من النوافل) أي ومن صلاة الجنازة (فان أردت فرضا ثانيا) أي عينيا ولو منذورة (فاستأنف له تيمما آخر) وان لم تحدث وهكذا فرد كل فريضة بتيمم نعم ان كانت الصلاة الثانية معادة جاز أن تجمعها مع أصلها بتيمم لان المعادة تقع نفلا وان كنت تنوي فيها الفرض ويجوز ان تجمع أيضا الظهر مع الجمعة بتيمم واحد

(آداب الخروج الى المسجد)

أي للصلاة او لنحو طلب علم (فاذا فرغت من طهارتك) أي من الحدثين (فصل في بيتك ركعتي الصبح ان كان الفجر قد طلع) واقرأ فيهما سورة الكافرون والاخلاص أو اقرأ ألم نشرح لك وألم تر كيف فمن قرأ في ركعتي الفجر ألم نشرح لك وألم تر كيف قصرت عنه يد كل عدو ولم يجعل لهم عليه سبيلا وهذا صحيح مجرب بلا شك هكذا نقله البجيرمي عن الغزالي (كذلك) اى أداء صلاة ركعتي الفجر في البيت (كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويسن أن يفصل بين سنة الفجر والفريضة بالاضطجاع على شقه الايمن او الايسر والايمن أفضل ولو في المسجد ولو اخرها عن الفريضة كما قاله الونائي وحكمة ذلك تذكر ضجعة القبر اول النهار ليكون

ثم اقصد صعيدا طيبا عليه تراب خالص طاهر لين فاضرب عليه بكفيك ضاما بين أصابعك وانو استباحة فرض الصلاة وامسح بهما وجهك كله مرة واحدة ولا تتكلف ايصال الغبار الى منابت الشعر خف أو كثف ثم انزع خاتمك واضرب ضربة ثانية مفرجا بين أصابعك وامسح بهما يديك مع مرفقيك فان لم تستوعبهما فاضرب ضربة أخرى الى أن تستوعبهما ثم امسح احدى كفيك بالاخرى وامسح ما بين أصابعك بالتخليل وصل به فرضا واحدا وما شئت من النوافل فان أردت فرضا ثانيا فاستأنف له تيمما آخر

(آداب الخروج الى المسجد)

فاذا فرغت من طهارتك فصل في بيتك ركعتي الصبح ان كان الفجر قد طلع كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

باعثا على أعمال الآخرة أو لاظهار العجز في أول النهار ويقول في حال اضطجاعه اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ورب محمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار ثلاثا (ثم توجه الى المسجد) لقوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى في بعض الكتب ان بيوتي في أرضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره (ولاتدع الصلاة في الجماعة) لقوله صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما الصلوات في جماعة لاتفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار (لاسيما الصبح) فان الجماعة فيها أفضل من الجماعة في العشاء والجماعة في هذه أفضل منها في سائر الصلوات وأما أفضل الصلوات فهي صلاة العصر وفي الحديث من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة ثم علل المصنف نهى ترك الجماعة بقوله (فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ) بفاء وذال معجمة أي المنفرد (بسبع وعشرين درجة) أي صلاة كما في الحديث (فان كنت تتساهل) أي تتسامح (في مثل هذا الربح) وهو فضيلة الجماعة (فأي فائدة لك في طلب العلم وانما ثمرة العلم العمل به فاذا سعيت) أي ذهبت على أي وجه كنت وفي نسخة مشيت (الى المسجد فامش على هينة) أي برفق من غير عجلة (وتؤدة) بضم التاء وفتح الهمزة أي تأن وتثبت وسكينة كما في نسخة (ولاتعجل) وهذا كالتفسير لما قبله (وقل في طريقك اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق الراغبين اليك وبحق ممشاي) أي سيرى (هذا) أي الذي أنا فيه (اليك) أي الى بيتك أي الى البيت الذي يعبدونك فيه وهو المسجد (فاني لم أخرج) أي من بيتي الى ذلك المحل (أشرا) بفتح الشين أي كفرانا للنعمة (ولابطرا) أي شدة مرح (ولارياء) أي تسمعا دنيويا (ولاسمعة) أي ذكرا جميلا عند الناس (بل خرجت) من بيتي (اتقاء سخطك) أي اجتناب غضبك (وابتغاء) أي طلب (مرضاتك فأسألك أن تنقذني) أي تنجيني وفي الاذكار للنووي ان تعيذني أي تمنعني (من النار وأن تغفر لي ذنوبي فانه لايغفر الذنوب الا أنت) وفي كتاب ابن حجر بعد ذلك زيادة يا أرحم الراحمين يا أكرم الاكرمين

(آداب دخول المسجد)

أي وبيان جملة الاذكار (فاذا أردت الدخول الى المسجد) ووصلت بابه فانزع نعلك اليسرى أولا وحط رجلك اليسرى على ظهره ثم انزع نعلك اليمنى (فقدم رجلك اليمنى) ومثل المسجد كل محل شريف وكذا ما جهل حاله ولو خرج من مسجد الى مسجد قدم يمينه وفي الكعبة يقدم يمينه دخولا وخروجا كذا أفاده الونائي (وقل) عند ارادة الدخول أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم الحمد لله كما في الاذكار ثم قل (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) ثم قل بسم الله ثم ادخل واذا خرجت فقدم رجلك اليسرى وقل ذلك الا انك تقول وافتح لي أبواب فضلك وحكمة ذكر الرحمة في الدخول والفضل في الخروج ان المساجد محال رحمة الله تعالى لعباده رحمة تناسب العبادة واما الخروج منها فهو الى محل الاسباب التي بها تحصل الارزاق والغنى عن الناس فهذا من مظاهر الفضل التي تفضل الله بها على عباده كما أفاده ابن حجر (ومهما رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت فيه من ينشد) بضم الشين أي يطلب (ضالة فقل لا ردّ الله عليك ضالتك كذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردّ الله عليك وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردّها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا (فاذا دخلت المسجد) ولو مشاعا أو مظنونا (فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية) لكن اذا دخلت المسجد الحرام

ثم توجه الى المسجد ولا تدع الصلاة في الجماعة لاسيما الصبح فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فان كنت تتساهل في مثل هذا الربح فأي فائدة لك في طلب العلم وانما ثمرة العلم العمل به فاذا سعيت الى المسجد فامش على هينة وتؤدة وسكينة ولاتعجل وقل في طريقك اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق الراغبين اليك وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج أشرا ولابطرا ولارياء ولاسمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فانه لايغفر الذنوب الا أنت

(آداب دخول المسجد)

فاذا أردت الدخول الى المسجد فقدم رجلك اليمنى وقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ومهما رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت فيه من ينشد ضالة فقل لا ردّ الله عليك ضالتك كذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية

وأردت الطواف فالأفضل أن تبدأ بالطواف ثم تنوي بالركعتين سنة الطواف وتحية المسجد معا فإن نويت أحدهما اندرج الآخر وإن لم تنوه لأن تحية المسجد الحرام لا تفوت بالطواف كما نقله الونائي عن ابن قاسم وتكره التحية إذا وجد المكتوبة تقام بالكلمات المعروفة وتكره أيضا إذا توهم فوت الصلاة فرضا كانت أو نفلا أما إذا تحقق فوتها فإن كانت فرضا حرمت التحية أو نفلا كرهت ويندب لمن يأت بالتحية لحدث أو غيره كأن لم يردها وإن كان متطهرا أو اشتغل بشيء آخر أن يقول أربع مرات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها تعدل ركعتين في الفضل فتندفع الكراهة بذلك وهذا حيث لم يتيسر له الوضوء في المسجد قبل طول الفصل وإلا فلا يكفي ذلك لتقصيره بترك الوضوء مع تيسره (فإن لم تكن صليت في بيتك) أي مثلا (ركعتي الفجر فيجزئك أداؤهما) أي ركعتي الفجر (عن التحية) لأنها تحصل بكل نفل وبمكتوبة وإن لم تنو معها ذلك لأن المقصود وجود صلاة قبل الجلوس وقد وجدت بذلك قال البجيرمي إذا نوى التحية مع فرض مثلا حصل ثوابها اتفاقا وإذا نفاها فلا تحصل اتفاقا وإن أطلق حصل الثواب على المعتمد (فإذا فرغت من الركعتين) اللتين صليتهما السنة الفجر أو التحية (فانو الاعتكاف) وهو اللبث في المسجد بنية الاعتكاف لأنه سنة مؤكدة كل وقت فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة وفواق بضم الفاء وآخره قاف أي مقدار زمن حلب ناقة والمراد بالنسمة هنا الرقيق (وادع بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر) كما رواه ابن عباس لكن روى الترمذي وغيره عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا بعد فراغه من صلاته ليلة الجمعة (فقل اللهم إني أسألك رحمة من عندك) أي من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندي وفي رواية بسقوط لفظ من عندك (تهدي بها قلبي) أي تدله إليك وتقربه لديك (وتجمع بها شملي) أي ما تشتت من أمري وفي الشفاء والجامع الصغير بدل ذلك أمري أي حالي عليك (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثي) بفتحتين أي تصلح بها ما تفرق من أموري وفي شرح الشفاء أي تجمع بها تفرق خاطري وتضم بها تشتت أمري (وترد) أي تجمع بها (ألفتي) بضم الهمزة وقد تكسر أي ما ألفي أي ما كنت آلفه (وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي) أي باطني بكمال الإيمان والأخلاق الحسان (وترفع بها شاهدي) أي ظاهري بالأعمال الصالحة والهيئة السنية أو المراد بالغائب والشاهد الأتباع الغائبون والحاضرون (وتزكي بها عملي) أي تزيد ثوابه أو تطهره من الرياء والسمعة والعجب (وتبيض بها وجهي) أي يوم القيامة (وتلهمني بها رشدي) أي صلاح حالي في الحال والمآل (وتقضي لي بها حاجتي وتعصمني) أي تحفظني (بها من كل سوء) بضم السين وقد تفتح وهو الضرر الحسي والمعنوي بأن تصرفني عنه وتصرفه عني (اللهم إني أسألك إيمانا دائما) وفي نسخة خالصا وفي الإحياء عدم ذكر ذلك الوصف (يباشر قلبي) أي يخالطه (ويقينا صادقا حتى أعلم أنه) أي الشأن وفي نسخة أن (لن يصيبني إلا ما كتبته علي) أي قدرته علي في العلم الأزلي أو في اللوح المحفوظ (ورضني بما قسمته لي) أي وأسألك أن ترزقني رضا بما قسمته لي من الرزق والمعيشة وهذا الدعاء لم يذكر في الإحياء ولا في الشفاء ولا في الجامع في هذا الموضع بل ذكر في الإحياء أن هذا دعاء آدم والدعاء الذي قبل هذا وبعده ملتصقان في الإحياء وفي الجامع (اللهم إني أسألك) وفي الإحياء والجامع اللهم أعطني (إيمانا صادقا ويقينا) أي في الله تعالى (ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة) وفي الجامع شرف الدنيا والآخرة أي علو القدر فيهما (اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء) أي لقاء الله بالموت ثم البعث أو عند لقاء الكفار (والصبر عند القضاء) أي حين حلول ضيق القضاء وفي الشفاء والجامع بدل الكلمتين أسألك الفوز في القضاء أي النجاة بما قضيته أي قدرته علي من البلاء والفوز باللطف في القضاء وفي الإحياء بدلهما أسألك الفوز عند القضاء أي حين حلول القضاء بتوفيق الرضا (ومنازل الشهداء) وفي الشفاء والجامع

فإن لم تكن على طهارة أو لم تردها فقل الباقيات الصالحات ثلاثا وقيل أربعا وقيل ثلاثا للمحدث وواحدة للمتوضئ فإن لم تكن صليت في بيتك ركعتي الفجر فيجزئك أداؤهما عن التحية فإذا فرغت من الركعتين فانو الاعتكاف وادع بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر فقل اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها ألفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتقضي لي بها حاجتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم إني أسألك إيمانا خالصا دائما يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته علي ورضني بما قسمته لي اللهم إني أسألك إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر وأسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء والصبر عند القضاء ومنازل الشهداء

وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم انى أنزل بك حاجتي وان ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك

فاسألك ياقاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن فتنة القبور ومن دعوة الثبور اللهم ماقصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فاني أرغب اليك فيه وأسألك اياه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين لك بالعهود انك رحيم ودود أنت تفعل ماتريد سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان من لا ينبغي التسبيح الاله سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من (خلفي)

ونزل الشهداء بضم النون والزاي وقد تسكن الزاي أي منزلتهم في الجنة أو درجتهم في القرب منك (وعيش السعداء) أي الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير تعب كذا في شرح الشفاء وقال العزيزي أي الذين قدرت لهم السعادة الاخروية (والنصر على الاعداء) أي من النفس والشياطين وسائر الكافرين (ومرافقة الانبياء) وفي الجامع والشفاء عدم هذه الكلمة وفي نسخة تقديمها على ماقبلها (اللهم انى أنزل) بضم الهمزة (بك حاجتي) أي أسألك قضاء ما أحتاجه من أمر الدارين (وان ضعف رأيي) أي عجز عن ادراك ماهو أنجح وأصلح (وقصر) بالتشديد (عملي) أي عبادتي فلا تبلغ مراتب الكمال وفي الجامع وان قصر رأيي وضعف عملي (وافتقرت) في بلوغ ذلك (الى رحمتك) وفي الجامع اسقاط الواو (فأسألك ياقاضي الامور) أي يامقدرها أو يامبلغها (وياشافي الصدور) أي القلوب من أمراضها كالحقد والحسد والكبر (كما تجير بين البحور) أي تمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر مع الاتصال (أن تجيرني) أي تنقذني مفعول ثان لاسألك (من عذاب السعير) أي النار (ومن دعوة الثبور) أي من النداء بالهلاك والخسران في المحشر (ومن فتنة القبور) أي عند سؤال الملكين منكر ونكير (اللهم ماقصر عنه رأيي) أي عجز عنه عقلي (وضعف عنه عملي) أي كسبي (ولم تبلغه) أي تصله (نيتي وأمنيتي) وفي الجامع بدل هذا الاخير ولم تبلغه مسألتي (من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فاني أرغب اليك) أي أتوجه اليك وأطلب منك (فيه) أي في حصوله منك لي (وأسألك اياه) أي زيادة على ذلك فان رحمتك لانهاية لسعتها كما أفاده العزيزي (يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين) أي دالين الخلق على مايوصلهم الى الحق (مهتدين) أي الى اصابة الصواب قولا وعملا (غير ضالين) أي عن الحق (ولا مضلين) أي أحدا من الخلق (حربا) أي مقاتلة (لاعدائك سلما) بكسر فسكون أي صلحا (لاوليائك) وفي الجامع تقديم هذا على ماقبله (نحب بحبك) أي بسبب حبنا لك (الناس) وفي الاحياء بدل هذه الكلمة من أطاعك من خلقك وفي الجامع بدلها أيضا من أحبك (ونعادي بعداوتك) أي بسببها (من خالفك) تنازعه نعادي وعداوتك (من خلقك) وهذه الكلمة لم تذكر في الجامع (اللهم هذا الدعاء) أي ما أمكننا منه قد أتينا به (وعليك الاجابة) أي فضلا منك اذ لايجب على الله تعالى شئ (وهذا الجهد) بضم الجيم أي الطاقة (وعليك التكلان) بضم التاء أي الاعتماد (وانا لله وانا اليه راجعون) أي بالموت ثم البعث (ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم ذا الحبل الشديد) الحبل بموحدة المراد به هنا القرآن أو الدين ثم الشدة في الدين هي الثبات والاستقامة وروي الحيل بمثناة تحتية بمعنى القوة كما أفاده العزيزي (والامر الرشيد) أي الموافق لغاية الصواب (أسألك الامن) أي من الفزع الاكبر والاهوال (يوم الوعيد) أي يوم التهديد وهو يوم القيامة (والجنة يوم الخلود) أي خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار (مع المقربين الشهود) أي الناظرين لربهم (الركع السجود) أي المكثرين للصلاة ذات الركوع والسجود في الدنيا (الموفين لك بالعهود) أي بما عاهدوا الله عليه (انك رحيم) أي موصوف بكمال الاحسان لدقائق النعم (ودود) أي شديد الحب لمن والاك (وانك تفعل ماتريد سبحان من تعطف) أي اتصف (بالعز) بأن يغلب كل شئ ولا يغالبه شئ (وقال) أي غلب (به) كل عزيز (سبحان من لبس المجد) أي الذي اتصف بالعظمة والكبرياء (وتكرم به) أي تفضل وأنعم به على عباده (سبحان من لاينبغي التسبيح) أي التنزيه المطلق (الاله) أي لجلاله المقدس (سبحان ذي الفضل) أي الزيادة في العطاء (والنعم) جمع نعمة بمعنى انعام (سبحان ذي الجود) أي العطاء وفي الاحياء ذي العز والجامع ذي المجد أي الشرف (والكرم) أي التفضل بالعطاء من غير سؤال (سبحان الذي أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي) أي يسعى أمامي (ونورا من

خلفي) أي ورائي (ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا أعظم نور واجعل لي) بجرياه المتكلم (نورا برحمتك يا أرحم الراحمين) هذا من عطف العام على الخاص أي اجعل لي نورا شاملا للانوار السابقة ولغيرها قال القرطبي والتحقيق في معنى النور أنه مظهر لما ينسب اليه وهو يختلف بحسبه فنور السمع مظهر المسموعات ونور البصر كاشف المبصرات ونور القلب كاشف عن المعلومات ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات وقال النووي نقلا عن العلماء طلب النور في أعضائه وجسمه وتصرفاته وتقلباته وحالاته وجملته في جهاته الست حتى لا يزيغ شئ منها عنه انتهى وهذا الدعاء موافق لما في الاحياء من غير زيادة ولا نقص ويخالف لما في الجامع (فاذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل الى وقت الفرض الا بفكر أو تسبيح أو قراءة قرآن) أو غير ذلك كتحميد واستغفار كما روي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله تعالى ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وروي عن أم رافع رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا أم رافع اذا قمت الى الصلاة فسبحي الله تعالى عشرا وهلليه عشرا واحمديه عشرا وكبريه عشرا واستغفريه عشرا فانك اذا سبحت قال هذا لي واذا هللت قال هذا لي واذا حمدت قال هذا لي واذا كبرت قال هذا لي واذا استغفرت قال قد فعلت كذا في الاذكار للنووي وفي الحديث من قال بين طلوع الفجر وصلاة الصبح سبحان الله العظيم وبحمده سبحان من يمن ولا يمن عليه سبحان من يجير ولا يجار عليه سبحان من لا يبرئ من الحول والقوة الا اليه سبحان من التسبيح منة منه على من اعتمد عليه سبحان من يسبح كل شئ بحمده سبحانك لا اله الا أنت يا من يسبح له الجميع تداركني بعفوك فاني جزوع ثم يستغفر الله مائة مرة فانه لا يأتي عليه أربعون يوما الا وقد أتته الدنيا بحذافيرها أي بأثرها وذلك بشرط التقوى كذا نقل البجيرمي عن سيدي أحمد زروق (فاذا سمعت الاذان في أثناء ذلك) أي المذكور من الاوراد (فاقطع ما أنت فيه) واستمع الاذان لان استماعه في وقته أفضل من استماع القرآن وان كان القرآن أفضل منه كذا أفاده الوناني نقلا عن الزبادي (واشتغل بجواب المؤذن) ولو كنت طائفا أو مدرسا أو جنبا أو نحو ذلك لا ان كنت مصليا ولو نفلا ولا ان كنت قاضي الحاجة أو مجامعا أو مستمع الخطيب بل اذا سلمت من الصلاة أجبته كما تجيبه من لا يصلي فلو أجبته في الصلاة كره ذلك الجواب ولم تبطل صلاتك الا اذا قلت صدقت وبررت فتبطل وكذا اذا خرجت من الخلاء فأجبه (فاذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقل) عقب كل كلمة (مثل ذلك) ولك المقارنة على خلاف فيها (وكذلك) أي أن تقول مثل قول المؤذن (في كل كلمة الا في الحيعلتين فقل فيهما) أي دبر كل لفظة منهما (لا حول) أي لا تحول عن المعصية (ولا قوة) أي على الطاعة (الا بالله العلي العظيم) ويسن أن تقول بعد قولك أشهد أن محمدا رسول الله في الجواب وأنا أشهد أن محمدا رسول الله ثم تقول رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا ويسن أيضا اذا سمعت المؤذن يقول حي على الفلاح أن تقول اللهم اجعلنا مفلحين (فاذا قال) أي المؤذن (الصلاة خير من النوم) أي اليقظة الى الصلاة خير من راحة النوم (فقل في الجواب صدقت وبررت) وزاد في الاحياء بعد ذلك ونصحت وزاد بعضهم وبالحق نطقت (وأنا على ذلك من الشاهدين) مرتين وبررت بكسر الراء وفتحها أي صرت ذا بر أي خير كثير وقيل يقول المجيب في ذلك صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا سمعت الاقامة فقل) في الجواب (مثل ما يقول) أي المقيم (الا في قوله قد قامت الصلاة فقل) في جواب كل من المرتين (أقامها الله وأدامها مادامت السموات والارض) ويسن أن يزيد بعد ذلك وجعلني من صالحي أهلها (فاذا فرغت من جواب المؤذن) في الاذان أي ومن جواب المقيم في الاقامة أو فرغت من الاذان والاقامة ان كنت مؤذنا ومقيما فصل وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم (فقل اللهم اني أسألك عند

خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا أعظم نور واجعل لي نورا برحمتك يا أرحم الراحمين * فاذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل الى وقت الفرض الا بفكر أو تسبيح أو قراءة قرآن فاذا سمعت الاذان في اثناء ذلك فاقطع ما أنت فيه واشتغل بجواب المؤذن فاذا قال المؤذن الله اكبر الله اكبر فقل مثل ذلك وكذلك في كل كلمة الا في الحيعلتين فقل فيهما لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاذا قال الصلاة خير من النوم فقل صدقت وبررت وأنا على ذلك من الشاهدين فاذا سمعت الاقامة فقل مثل ما يقول الا في قوله قد قامت الصلاة فقل أقامها الله وأدامها مادامت السموات والارض فاذا فرغت من جواب المؤذن فقل اللهم اني أسألك عند

حضور صلاتك وأصوات دعاتك) بضم الدال وبالتاء في آخره جمع داع (وادبار ليلك واقبال نهارك أن تؤتي محمدا الوسيلة) أي المنزلة العلية في الجنة التي لا تنبغي الا له صلى الله عليه وسلم (والفضيلة) أي المرتبة الزائدة على سائر المخلوقين كما أفاده القسطلاني (والدرجة الرفيعة وابعثه المقام) أي اعطه المقام مفعول به لا بعثه لتضمنه معنى اعطه أو مفعول فيه اي أقمه في المقام كما أفاده البجيرمي (المحمود الذي وعدته) بقولك تباركت وتعاليت عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (انك لا تخلف الميعاد يا أرحم الراحمين) وهذا الدعاء مخصوص في وقت الصبح وأما الدعاء الذي يسن للمؤذن والمقيم وسامعهما في كل وقت فهو الدعاء المشهور وهو اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته أي يسن بعد فراغ الاذان والاقامة لكل من المؤذن والسامع والمستمع غير امام الجمعة في الاقامة أن يدعو بهذا الدعاء بعد الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم كما أفاده الونائي فمعنى هذه الدعوة التامة هي الاذان سمي بذلك لجمعها العقائد بتمامها ومعنى القائمة أي الدائمة التي لا تغيرها ملة ولا تنسخها شريعة ومعنى وابعثه مقاما أي اعطه مقاما أو أقمه في مقام أو ابعثه ذا مقام محمود وهو هنا اتفاقا مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء يحمده فيه الاولون والآخرون لانه المتصدى له بسجوده أربع سجدات تحت العرش حتى أجيب لما فزعوا اليه بعد فزعهم لآدم ثم لاولي العزم نوح فابراهيم فموسى فعيسى واعتذار كل منهم والموصول مع الصلة اما بدل من النكرة أو صفة لها على رأي الاخفش لانها وصفت أو عطف بيان ويجوز القطع للرفع أو النصب وانما نكر مقاما محمودا لانه أفخم وأجزل كأنه قيل مقاما وأي مقام يغبطه فيه الاولون والآخرون محمودا تكل عن أوصافه ألسنة الحامدين ويشرف به على جميع العالمين يسأل فيعطى ويشفع فيشفع وليس أحد الا تحت لوائه كما أفاده القسطلاني وابن حجر وأما الدرجة الرفيعة ولفظ يا أرحم الراحمين فكلاهما لا أصل لهما من الحديث على ما قاله ابن حجر (فاذا سمعت الاذان) أي أو الاقامة (وأنت في الصلاة فتمم الصلاة) ولا تجبه فان الجواب حينئذ مكروه (ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه) أي طريقه وترتيبه وكذا ان كنت خارج الصلاة ولم تتابع الجواب حتى فرغ المؤذن من الاذان أو الاقامة يستحب أن تتدارك متابعة الجواب ولو لغير عذر ان لم يطل الفصل عرفا وضبطه بعضهم بركعتين بأقل ممكن ولو لم تسمع الا آخر الاذان أو الاقامة أجبت من الاول فتجيب في الجميع وتجيب أيضا في الترجيع وان لم تسمعه على ما قاله الونائي (فاذا أحرم الامام بالفرض فلا تشتغل الا بالاقتداء به وصل الفرض كما سيتلى عليك) الكاف بمعنى على أي على الوجه الذي سيذكر ويبين لك (في) فصل (كيفية الصلاة وآدابها) بعد الفصل الذي ذكر كيفية النوم فالكيفية هي العلة الصورية فالاضافة من اضافة العلة الصورية لمعلولها والعلة الصورية جزء من الصلاة فان كل شئ له علل أربع علة صورية وعلة مادية وعلة فاعلية وعلة غائية فالعلة المادية سبب في العلة الصورية فالعلة الفاعلية في الصلاة المصلي والمادية الاركان والغائية حصول الثواب فقد وجدت العلل الاربع في الصلاة والعلة الصورية هي القائمة من هذا المركب كذا أفاد الشيخ عطية الاجهوري (فاذا فرغت) أي من ركعتي الفرض (فقل) بعد الاستغفار ثلاثا كما رواه مسلم عن ثوبان عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام) أي السالم من كل ما لا يليق بجلال الربوبية وكمال الالوهية (ومنك السلام) أي السلامة من كل مكروه (واليك يعود السلام) أي السلام منا في آخر الصلاة (فحينا) أي أكرمنا (ربنا بالسلام) أي بالامن مما خشيناه وبالعفو عما اقترفناه (وأدخلنا الجنة) وفي نسخة بدل الجنة دارك وفي الاحياء سقوطهما (دار السلام) أي السلامة من التباغض والآفات ولان الملائكة يقولون لاهلها السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (تباركت) أي تقدست كما قاله العزيزي وفي نسخة بعد ذلك وتعاليت أي تنزهت وفي الاحياء

حضور صلاتك وأصوات دعاتك وادبار ليلك واقبال نهارك أن تؤتي محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته انك لا تخلف الميعاد يا أرحم الراحمين فاذا سمعت الاذان وأنت في الصلاة فتمم الصلاة ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه فاذا أحرم الامام بالفرض فلا تشتغل الا بالاقتداء به وصل الفرض كما سيتلى عليك في كيفية الصلاة وآدابها فاذا فرغت فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام تباركت

سقوطه

ياذا الجلال والاكرام سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون * ثم ادع بعد ذلك بالجوامع الكوامل وهو ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها فقل اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم وما قضيت على من أمر فاجعل عاقبته رشدا ثم ادع بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها فقل يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام لا اله الا أنت برحمتك أستغيث ومن عذابك أستجير لا تكلني الى نفسي ولا الى أحد من خلقك طرفة عين وأصلح لي شأني كله بما أصلحت به الصالحين ثم قل ما قاله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اليك ولا غني أغنى منك عني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي

سقوطه (ياذا الجلال) أي الشرف والكمال فلا شرف ولا كمال الا له (والاكرام) فلا مكرمة الا وهي منه تعالى ثم يفتح الدعاء عقب الصلاة بقوله (سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب) أي كثير النعم دائم العطاء روى سلمة بن الاكوع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح دعاءه بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب ثلاثا (لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده) أي قدرته وتدبيره (الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) هذا كما في الاحياء وقال النووي في الاذكار وروينا في صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (ثم ادع بعد ذلك بالجوامع) أي بجوامع الكلم كما قاله المناوي (الكوامل) أي كوامل الادعية (وهو ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة) الصديقة (رضي الله عنها فقل اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد) وقوله ونية واعتقاد في الموضعين لم يذكر في الاحياء ولا في الجامع وقوله وعمل بالواو في الموضعين كما في الاحياء وباو كما في الجامع (وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم) قوله من خير بالتنكير موافق للجامع وأما الذي في الاحياء فبالتعريف فما مفعول ثان ومن خير بيان له ان قرئ بالتنكير أو التعريف وأما ان قرئ باضافة خير الى ما فهو مفعول ثان ومن اما زائدة أو تبعيضية وقوله ونبيك موافق للجامع وفي الاحياء ورسولك بدله كما في بعض النسخ لهذا الكتاب وعبارة الجامع وأعوذ بك من شر ما عاذ به وعبارة الاحياء وأستعيذك مما استعاذك منه كما في بعض نسخ هذا الكتاب وأما كلمة منه في الموضع الاول فساقطة في الاحياء والجامع (اللهم وما قضيت على من أمر فاجعل عاقبته رشدا) أي اصابة للخير كما قال الرملي وفي الجامع وهو رواية عن ابن ماجه عن عائشة بدل ذلك وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا ثم (ادع بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم) سيدتنا (فاطمة رضي الله عنها فقل يا حي يا قيوم) أي قائم بنفسه ومقيم لغيره (ياذا الجلال والاكرام برحمتك أستغيث) والمعنى اكشف شدتي (ومن عذابك أستجير لا تكلني الى نفسي ولا الى احد من خلقك طرفة عين) والمعنى قم بامري ولا تترك اعانتي ولو قدر تحرك العين (وأصلح لي شأني كله) أي اجعل أمري كله صوابا أو خيرا وهذا مثل ما في الاحياء الا قوله ولا الى أحد من خلقك فهو ساقط فيه وقد يوجد في بعض النسخ زيادة على ذلك فلعله من النساخ (ثم قل ما قاله) سيدنا (عيسى على نبينا وعليه السلام اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اليك ولا غني اغنى منك عني) وهذه الجملة الاخيرة مع قوله اليك ساقطة في الاحياء كما في نسخة (اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي) بفتح الصاد ومعنى الجملتين يا الله لا تنزل بي بلية يفرح عدوي ولا مصيبة يتحزن الصادق في ودي وتشمت بضم التاء وسكون الشين وكسر الميم بمعنى تفرح وتسوء بفتح التاء وضم السين بمعنى تحزن فهو متعد بنفسه كما في الصحاح (ولا تجعل مصيبتي في ديني) فان مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا (ولا تجعل الدنيا أكبر همي) بفتح الهاء أي مرادي (ولا مبلغ علمي) أي ولا تجعل الدنيا محل وصول علمي بل اجعل علمي واصلا

البلد وهذه الكلمة ساقطة في الاحياء (ولاتسلط علي بذنبي من لايرحمني) أي لاتجعل من لايعطف علي قاهرا علي بسبب ذنبي عندك وفي بعض النسخ بذنوبي بالجمع وفي الاحياء سقوطه كما في نسخة (ثم ادع بما بدا) أي ظهر (لك من الدعوات المشهورات) والاولى أن تأتي بسيد الاستغفار وهو اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أبوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لايغفر الذنوب الا أنت أعوذ بك من شر ما صنعت وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح أو يمسي اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا اله الا أنت وان محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه فان قالها أربعا أعتقه الله تعالى من النار وعن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال اللهم اني أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا هكذا في الاذكار للنووي رحمه الله تعالى وقال الغزالي لبعض تلامذته واقرأ هذا الدعاء في أوقاتك خصوصا أعقاب صلواتك اللهم اني أسألك من النعمة تمامها ومن العصمة دوامها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها ومن العيش أرغده ومن العمر أسعده ومن الوقت أطيبه ومن الاحسان أتمه ومن الانعام أعمه ومن الفضل أعذبه ومن اللطف أنفعه ومن الرزق أوسعه اللهم كن لنا يا جبار ولاتكن علينا اللهم اختم بالسعادة آجالنا وحقق بالزيادة أعمالنا واقرن بالعافية غدونا وآصالنا واجعل الى مغفرتك ورحمتك مصيرنا ومآلنا واصبب سجال عفوك على ذنوبنا ومن علينا باصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا ثبتنا على نهج الاستقامة وأعذنا في الدنيا والآخرة من موجبات الندامة يوم القيامة اللهم خفف عنا ثقل الاوزار وارزقنا معيشة الابرار واكفنا واصرف عنا شر الاشرار واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا واخواننا وأخواتنا من النار برحمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار يا حليم يا جبار يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين (واحفظها) أي الدعوات (مما أوردناه) أي أحضرناه وذكرناه (في كتاب الدعوات من كتاب احياء علوم الدين) فادع بجميعها ان قدرت عليه أو احفظ منها ما تراه أوفق بحالك وأرق لقلبك وأخف على لسانك كما قاله الشيخ الغزالي ومن الدعوات المذكورة في الاحياء دعاء سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ومن دعائه أنه اذا أصبح فقد أدى شكر يومه وهو اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم ومنها دعاء عتبة الغلام وقد رؤي في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين (ولتكن أوقاتك بعد الصلاة الى طلوع الشمس موزعة) أي مقسومة (على أربع وظائف) أي أوراد (وظيفة في الدعوات) فليبدأها بذكر الله كما مر ذكره ولا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب وليبدأها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسأل حاجتك ثم اختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما كذا في الاحياء (ووظيفة في الاذكار والتسبيحات) وهي كلمات ورد في تكرارها فضائل وستأتي في كلامه (وتكررها في سبحة) بضم السين وهي خرزات منظومة وتسمى أيضا مذكرة أو فيما بدلك (ووظيفة في قراءة القرآن) فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء اذا كان بتدبر فيستحب لك قراءة جملة من الآيات التي وردت الاخبار بفضلها وهو أن تقرأ سورة الفاتحة وآية الكرسي

ولاتسلط علي بذنبي من لايرحمني * ثم ادع بما بدا لك من الدعوات المشهورات واحفظها مما أوردناه في كتاب الدعوات من كتاب احياء علوم الدين ولتكن أوقاتك بعد الصلاة الى طلوع الشمس موزعة على أربع وظائف وظيفة في الدعوات ووظيفة في الاذكار والتسبيحات وتكررها في سبحة ووظيفة في قراءة القرآن

وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله سبحانه وتعالى الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من أول الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر هكذا فى الاحياء (ووظيفة فى التفكر) فمهما تيسر لك الفكر فهو أشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثانى زيادة المحبة اذ لايحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولاينكشف عظمة الله تعالى الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة (تتفكر) بضم التاء وفتحها وسكون الفاء وكسر الكاف مضارع أفكر بالهمزة أو فكر من باب ضرب كما فى الصحاح والمصباح (فى) ما تفعل فى المعاملة مع الله بأن تحاسب نفسك فيما سبق من (ذنوبك وخطاياك وتقصيرك) أى توانيك (فى عبادة مولاك) وتتفكر فيما تفعل فى علم المكاشفة (و) ذلك بأن تتفكر مرة فى (تعرضك) أى اقبالك (لعقابه الاليم وسخطه العظيم) أو فى نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة (وترتب) بصيغة المضارع المفيد للخطاب معطوف على تتفكر (بتدبيرك) أى فكرك (أورادك فى جميع يومك لتتدارك به مافرط) أى سبق (من تقصيرك) ولتصلحه (وتحترز من التعرض لسخط الله الاليم فى يومك) وتزيد معرفتك بقدرة الاله ويزيد خوفك منه وتزيد معرفتك بالآلاء ويكثر شكرك عليها فقوله لتتدارك علة لقوله تتفكر فى ذنوبك وقوله وتحترز علة لقوله وتعرضك (وتنوى الخير) معطوف أيضا على تتفكر أى تحضر فى قلبك نية أداء الخير فى أعمالك لنفسك وفى معاملتك (لجميع المسلمين) فنية المرء خير من عمله (وتعزم على أن لاتشتغل فى جميع نهارك الا بطاعة الله تعالى وتقصد) وفى بعض النسخ وتفصل (فى قلبك الطاعات التى تقدر عليها وتختار) أى بخلدك (أفضلها) أى الطاعات (وتأمل) أى ترقب (تهيئة أسبابها لتشتغل بها ولاتدع عنك التفكر فى قرب الاجل وحلول الموت القاطع للامل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقالت عائشة يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة (وخروج الامر من الاختيار) وهو خلاف الاضطرار وهذا معطوف على قرب الاجل (وحصول الحسرة) بالحاء المهملة أى الحزن (والندامة) فى الآخرة (بطول الاغترار) أى الغفلة عن الموت فى الدنيا فانها تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا (وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات احداهن لااله الا الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير الثانية لااله الا الله الملك الحق المبين) فمعنى الملك ذو الملك والمراد به القدرة على الايجاد ومعنى الحق الثابت ومعنى المبين المظهر للصراط المستقيم لمن شاء هدايته كما قاله العزيزى (الثالثة لااله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فمعنى الواحد الذى لاينقسم ولامشابهة بينه وبين غيره ومعنى القهار هو الذى لاموجود الا وهو مقهور تحت قدرته ومعنى العزيز الغالب ومعنى الغفار هو الذى يستر القبائح والذنوب باسبال الستر عليها فى الدنيا وترك المؤاخذة بالعفو عنها فى العقبى ويصون العبد من أوزارها كذا فى شرح الجامع (الرابعة سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم) وهذه الكلمة الى قوله والله أكبر تسمى الباقيات الصالحات وقيل هى الى قوله الا بالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس (الخامسة سبوح قدوس) وهما اسمان من أسماء الله تعالى قال ثعلب كل اسم جاء على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وقرأهما سيبويه بالفتح والفرق بين التسبيح والتقديس أن التسبيح يكون بالطاعات

ووظيفة فى التفكر فتتفكر فى ذنوبك وخطاياك وتقصيرك فى عبادة مولاك وتعرضك لعقابه الاليم وسخطه العظيم وترتب بتدبيرك أورادك فى جميع يومك لتتدارك به مافرط من تقصيرك وتحترز من التعرض لسخط الله الاليم فى يومك وتنوى الخير لجميع المسلمين وتعزم أن لاتشتغل فى جميع نهارك الا بطاعة الله تعالى وتقصد فى قلبك الطاعات التى تقدر عليها وتختار أفضلها وتأمل تهيئة أسبابها لتشتغل بها ولاتدع عنك التفكر فى قرب الاجل وحلول الموت القاطع للامل وخروج الامر عن الاختيار وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات احداهن لااله الا الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير الثانية لااله الا الله الملك الحق المبين الثالثة لااله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار الرابعة سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم الخامسة سبوح قدوس

والعبادات والتقديس يكون بالمعارف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله أي فيكون التقديس التفكر في ذلك (رب الملائكة والروح) وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن السني عن الزبير مامن صباح يصبح العباد فيه الاوصارخ يصرخ أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس رب الملائكة والروح قال الشربيني الروح هو جبريل عليه السلام وقال بعضهم الروح ملك رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس الف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل لسان لغة لاتشبه لغة الآخر واذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة أن تحرقهم أنوار أفواهه اهـ (السادسة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) ومعنى العظيم البالغ في أقصى مراتب العظمة وهو الذي لايتصوره عقل ولايحيط بكنهه بصيرة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة (السابعة أستغفر الله العظيم الذي لااله الاهو الحي القيوم وأسأله التوبة) أي المغفرة والانقاذ من المعاصي وفي بعض النسخ بعد ذا زيادة والمغفرة وفي الاحياء عدمها (الثامنة اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطي لما منعت ولاراد لما قضيت) هذه الاخيرة ساقطة في الاحياء (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) أي لا ينفع ذا الغنى عندك غناه وانما ينفعه العمل بطاعتك ومعنى منك عندك (التاسعة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم العاشرة بسم الله الذي لايضر مع اسمه شئ في الارض ولافي السماء وهو السميع العليم) وهذه الكلمات مخالفة لما في الاحياء من الترتيب وبعض الكلمات وفيه وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لااله الاالله الى آخرها بلامخالفة الثانية قوله سبحان الله والحمد لله الى آخرها لكن باسقاط العلي العظيم الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح بلامخالفة الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله أستغفر الله العظيم الذي لااله الاهو الحي القيوم وأسأله التوبة السادسة قوله اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لااله الاالله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لايضر مع اسمه شئ في الارض ولافي السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم العاشرة قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم قال المصنف وان قرأت المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام الى ابراهيم التيمي فقد استكمل لك الفضل وجمع لك ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة وهي أن تقرأ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل ياأيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولااله الاالله والله أكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ماأنت أهله ولاتفعل بنا يامولانا مانحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات ولاتدع ذلك غدوة وعشية (تكرر) بصيغة المضارع الذي للخطاب (كل واحدة من هذه الكلمات امامائة مرة أوسبعين مرة أوعشر مرات وهو) أي العشرة (أقله) أي التكرير (ليكون المجموع مائة مرة) فهو أفضل من أن تكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا بانفراده وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل كذا قال المصنف في الاحياء (ولازم هذه الاوراد) وفي بعض النسخ هذه الاذكار وقال في الاحياء وأقل ما ينبغي أن تكرر كل واحدة من هذه الكلمات ثلاثا أوسبعا والاكثر مائة أوسبعون أوسبعة عشر ونصل الاكثر أكثر والاوسط

رب الملائكة والروح السادسة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم السابعة أستغفر الله العظيم الذي لااله الاهو الحي القيوم وأسأله التوبة والمغفرة الثامنة اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطي لما منعت ولاراد لما قضيت ولاينفع ذا الجد منك الجد التاسعة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم العاشرة بسم الله الذي لايضر مع اسمه شئ في الارض ولافي السماء وهو السميع العليم تكرر كل واحدة من هذه الكلمات اما مائة مرة أوسبعين مرة أوعشر مرات وهو أقله ليكون المجموع مائة ولازم هذه الاوراد

أن تكررها عشر مرات فهو أجدر بأن تدوم عليه وخير الامور أدومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة (ولا تتكلم قبل طلوع الشمس ففي الخبر ان ذلك) أي عدم الكلام قبل طلوع الشمس (أفضل من اعتاق ثمان رقاب) ثمان بحذف الياء (من ولد اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام) أي لو فرض أن ولد اسمعيل عبد وهو لم يكن كذلك بل هو من أفضل الناس وانما دل هذا الحديث على زيادة فضيلة صاحب هذا العمل (أعني) باسم الاشارة (الاشتغال بالذكر) أي بأي ذكر كان لا بخصوص الكلمات (الى طلوع الشمس من غير أن يتخلله) أي الذكر (كلام) فقد قال صلى الله عليه وسلم لان أقعد في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الي من أن أعتق أربع رقاب وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما كذا في الاحياء وروي عن أنس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة كذا في الاذكار

(آداب ما بعد طلوع الشمس الى الزوال)

(فاذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح) أو قدر نصفه كما في الاحياء (فصل ركعتين) اما بنية صلاة الاشراق بناء على القول بأنها غير صلاة الضحى أو بنية الضحى بناء على أنها هي وهو المعتمد فقد روى علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات في وقتين اذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعا (وذلك) أي فعل ركعتين (عند زوال وقت الكراهة) أي كراهة تحريم (للصلاة فانها) أي الصلاة (مكروهة) مع عدم صحتها (من بعد فريضة الصبح الى ارتفاع الشمس) وهو ظهور تمام نورها (فاذا أضحى) أي علا (النهار ومضى منه قريب من ربعه فصل صلاة الضحى أربعا أو ستا أو ثمانيا) وهي أفضلها وأكثرها على المعتمد (مثنى مثنى) أي سلم من كل ركعتين وهو أفضل وذكر السيوطي أن الافضل أن يقرأ الانسان في الركعة الاولى منها بعد الفاتحة سورة والشمس بتمامها وفي الثانية الفاتحة وسورة والضحى وتبعه على ذلك ابن حجر لكن الرملي اعتمد أنه يقرأ في الركعة الاولى الكافرون والثانية الاخلاص ويفعل ذلك في كل ركعتين منها (فقد نقلت هذه الاعداد كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما قالت أم هانئ صلى النبي صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين رواه أبو داود (والصلاة خير كلها فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل) كما في الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي هريرة الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر أي الصلاة أفضل ما وضعه الله أي ما شرعه لعباده من العبادة فمن استطاع أن يكثر فعلها فليكثره فانها أفضل العبادات البدنية بعد الايمان (فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة الا هذه) أي صلاة الضحى وفي بعض النسخ فليس بين الطلوع والزوال راتبة الا هذه الصلوات (فما فضل منها في أوقاتك فلك فيه أربع حالات الحالة الاولى وهي الافضل أن تصرفه) أي فاضل الاوقات في نفع الناس بعلمك في فتوى وتدريس وتصنيف أو مطالعة الكتب فان أمكنك استغراق الاوقات في ذلك فهو أفضل ما تشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها لان في ذلك منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة وربمسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا هذا ان كنت عالما وأما اذا كنت متعلما فالافضل أن تصرف أوقاتك (في طلب العلم النافع في الدين) حيث يشتغل العالم بالافادة وفي نسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وكذا لو لم تكن متعلما بأن تتعلق بأن تحصل لتصير عالما بل لو كنت من العوام فحضورك مجالس الوعظ والعلم أفضل من

ولا تتكلم قبل طلوع الشمس ففي الخبر ان ذلك أفضل من اعتاق ثمان رقاب من ولد اسمعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام أعني الاشتغال بالذكر الى طلوع الشمس من غير ان يتخلله كلام

(آداب ما بعد طلوع الشمس الى الزوال) فاذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلاة فانها مكروهة من بعد فريضة الصبح الى ارتفاع الشمس فاذا أضحى النهار ومضى منه قريب من ربعه فصل صلاة الضحى أربعا أو ستا أو ثمانيا مثنى مثنى فقد نقلت هذه الاعداد كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة خير كلها فمن شاء فاستكثر ومن شاء فاستقلل فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة الا هذه فما فضل منها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات الحالة الاولى وهي الافضل ان تصرفه في طلب العلم النافع في الدين

اشتغاله بالاوراد والنوافل كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض (دون الفضول) أي الذي لا ينفع (الذي أكب) أي لازم (الناس عليه وسموه علما) وذلك كعلم السحر والنجوم (والعلم النافع) المقدم على العبادة (هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى ويزيد في بصيرتك) أي علمك (بعيوب نفسك ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك في الدنيا ويزيد في رغبتك في الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها) ويعينك على سلوك طريق الآخرة اذا تعلمت ذلك العلم على قصد الاستعانة به على السلوك (ويطلعك) أي يعلمك (على مكايد الشيطان) أي مكره (وغروره) أي خديعته (وكيفية تلبيسه) أي تدليسه وخيانته (على علماء السوء) وهم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه (حتى عرضهم) أي وجههم (لمقت الله تعالى) أي بغضه (وسخطه) أي غضبه (حيث أكلوا) أي أخذوا (الدنيا بالدين) قوله حيث أكلوا الى آخره تعليل لقوله علماء السوء أي وانما سموا علماء السوء لانهم أكلوا (واتخذوا) أي جعلوا (العلم ذريعة) وسيلة (الى أخذ أموال السلاطين وأكل أموال الاوقاف) أي التي وقفت (واليتامى والمساكين وصرف) أي أمال الشيطان بالافراد معطوف على عرضهم وفي بعض النسخ وصرفوا بالجمع عطفا على أكلوا (همتهم) بكسر الهاء أي عزمهم القوي (طول نهارهم الى طلب الجاه) أي الرتبة وهو مقلوب من الوجه (والمنزلة) أي العظم والارتفاع (في قلوب الخلق واضطرهم) أي ألجأهم وأكرههم (ذلك) أي ذلك الهمة والمناسب أن قوله واضطرهم بالفاء ليكون تفريعا على قوله وصرف همتهم (الى المراآة) أي اظهار العبادة بقصد رؤية الناس لها ليحمدوهم (والمماراة) أي المجادلة (والمناقشة) بالقاف والشين المعجمة أي الاستقصاء (في الكلام) وفي بعض النسخ والمنافسة بالفاء والسين المهملة مع اسقاط قوله في الكلام فمعناها الرغبة في العلم والعمل على وجه المباراة أي المعارضة (والمباهاة) أي التعاظم والتكبر (وهذا الفن) أي النوع الذي هو (من العلم النافع قد جمعناه في كتاب احياء علوم الدين) وأذكر تلخيص ما فيه وهو أن العلم النافع قسمان قسم محمود قليله وكثيره وكل ما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه فالاول هو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا والثاني ينقسم الى أربعة أقسام أصول وفروع ومقدمات ومتممات فالاصول هي أربعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله واجماع الامة وآثار الصحابة فهذان أصلان من حيث انهما يدلان على السنة والفروع على قسمين أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه وثانيهما ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى وما هو مكروه والمقدمات هي التي تجري مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة العلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط والمتممات هي في علم القرآن فانه ينقسم الى ثلاثة أنواع قسم يتعلق باللفظ كتعلم القرآن ومخارج الحروف وقسم يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به وقسم يتعلق بأحكام القرآن كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه وأما المتممات في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند فهذه هي العلوم الشرعية وكلها من فروض الكفايات (فان كنت من أهله) أي العلم النافع المذكور كله (فحصله) أي اطلبه بتعلمه من أهله

دون الفضول الذي أكب الناس عليه وسموه علما والعلم النافع هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك ويزيد في معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك في الدنيا ويزيد في رغبتك في الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره وكيفية تلبيسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه حيث أكلوا الدنيا بالدين واتخذوا العلم ذريعة وسيلة الى أخذ أموال السلاطين وأكل أموال الاوقاف واليتامى والمساكين وصرفوا همتهم طول نهارهم الى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق واضطرهم ذلك الى المراآة والمماراة والمناقشة في الكلام والمباهاة وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه في كتاب احياء علوم الدين فان كنت من أهله فحصله

واعمل به ثم علمه وادع اليه فمن علم ذلك وعمل به ثم علمه ودعا اليه فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام فاذا فرغت من ذلك كله وفرغت من اصلاح نفسك ظاهرا وباطنا وفضل شئ من أوقاتك فلا بأس ان تشتغل بعلم المذهب في الفقه لتعرف به الفروع النادرة في العبادات وطريق التوسط بين الخلق في الخصومات عند انكبابهم على الشهوات فذلك أيضا بعد الفراغ من هذه المهمات من جملة فروض الكفايات فان دعتك نفسك الى ترك ماذكرناه من الاوراد والاذكار استثقالا لذلك فاعلم ان الشيطان اللعين قد دس في قلبك الداء الدفين وهو حب المال والجاه فاياك ان تغتر به فتكون ضحكة له فيهلكك ثم يسخر بك فان جربت نفسك مدة في الاوراد والعبادات فكانت لاستثقلها كسلا عنها لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد به الا وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية ولكن الشأن في صحة النية فان لم تصح النية فهو معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال والحالة الثانية أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع في الدين لكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة فذلك من درجات العابدين وسير الصالحين وتكون أيضا بذلك من الفائزين

(واعمل به) أي بذلك العلم (ثم علمه) الناس (وادع اليه) أي العلم المذكور (فمن علم ذلك) أي العلم النافع (وعمل به ثم علمه ودعا اليه فذلك) أي الشخص المتصف بذلك المذكور (يدعى) أي يسمى (عظيما في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام) أي لان سيدنا عيسى قال من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقا (فاذا فرغت من ذلك) أي العلم النافع (كله وفرغت من اصلاح نفسك ظاهرا وباطنا وفضل شئ من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب في الفقه لتعرف به الفروع النادرة) أي الخارجة عن فرض العين (في العبادات وطريق التوسط) أي العدل (بين الخلق في الخصومات عند انكبابهم) أي اقبالهم (على الشهوات) أي جميع اشتياق النفس (فذلك) أي الاشتغال بعلم المذهب (أيضا بعد الفراغ من هذه المهمات) أي الامور اللازمة (من جملة فروض الكفايات) ومن فروض الكفاية تعلم الطب وقال الزبادي وطلب العلم الشرعي على ثلاثة أقسام فرض عين وهو تعلم مالا بد منه وفرض كفاية وهو تعلم ما يصل الى درجة الافتاء وسنة وهو ما زاد على ذلك اهـ وقال الغزالي فكن أحد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها (فان دعتك نفسك) أي الامارة اللوامة (الى ترك ماذكرناه من الاوراد والاذكار استثقالا لذلك) أي معتقدا ثقل ذلك المذكور (فاعلم أن الشيطان اللعين) أي البعيد عن الخير (قد دس) أي أخفى (في قلبك الداء الدفين وهو حب المال والجاه) أي القدر (فاياك) أي احذر تلاقيك (أن تغتر به) أي تظن الامن من الشيطان فلم تتحفظ منه (فتكون ضحكة) بضم الضاد وفتح الحاء أي كثير الضحك (له) أي الشيطان (فيهلكك ثم يسخر) أي يهزأ (منك) وفي بعض النسخ بك فان السخر يتعدى بمن وبالباء (فان جربت نفسك مدة) أي زمنا طويلا (في الاوراد والعبادات) أي النافلة (فكانت لاستثقلها كسلا) بفتح السين أي تثاقلا فهو مفعول مطلق (عنها لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ولم ترد به الا وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك) أي تحصيل العلم (أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية) بأن لا تقصد في تعلم العلم الا القيام باحياء الشريعة ونشرها فهذا العمل مع هذه النية أفضل من صيام النهار وقيام الليل ومن الخلوة والرياضة ومن كل شئ غيره ولو اقتصر صاحبه على الفرائض مع هذه النية الصالحة كان أفضل من غيره بأضعاف مضاعفة لان النفع المتعدي أعظم من النفع القاصر (ولكن الشأن) أي الامر المعتد به (في صحة النية فان لم تصح) أي النية (فهو) أي تحصيل العلم (معدن) أي موضع (غرور الجهال) والغرور بفتح الغين معناه الدنيا أو الشيطان وبضمها معناه الاباطيل كما في القاموس (ومزلة أقدام الرجال) أي العلماء (والحالة الثانية أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع في الدين) في التدريس للطلبة ولاستفادة من العالم (لكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة فذلك) أي الاشتغال بالعبادات (من درجات العابدين) المتجردين للعبادة (وسير الصالحين) أي طريقتهم فسير بكسر السين وفتح الياء جمع سيرة بسكون الياء بمعنى الطريقة والحالة والهيئة (وتكون أيضا بذلك) أي الاشتغال (من الفائزين) فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى ألف ركعة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وكان بعضهم يقضي اليوم أو الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في

ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين أو يتيسر به الاعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد فى أشغالهم والسعى فى اطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلا على المرضى بالعيادة وعلى الجنائز بالتشييع فكل ذلك أفضل من النوافل فان هذه عبادات وفيها رفق للمسلمين الحالة الرابعة ان لاتقوى على ذلك فاشتغل بحاجاتك اكتسابا على نفسك أوعلى عيالك وقد سلم المسلمون منك وأمنوا من لسانك ويدك وسلم لك دينك اذلم ترتكب معصية فتنال به درجة أصحاب اليمين ان لم تكن من أهل الترقى الى مقامات السابقين فهذا أقل الدرجات فى مقامات الدين ومابعد هذا فهومن مراتع الشياطين وذلك بأن تشتغل والعياذ بالله بما يهدم دينك أوتؤذى عبدا من عباد الله تعالى فهذه رتبة الهالكين فايك ان تكون فى هذه الطبقة واعلم ان العبد فى حق دينه على ثلاث درجات اما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصى أو رابح وهو المتطوع بالقربات والنوافل أوخاسر وهو المقصر عن اللوازم فان لم تقدر أن تكون رابحا فاجتهد أن تكون سالما واجتنابك

كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين واعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تطهير القلب بذكر الله تعالى وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا أحس بملالة منه فلينتقل الى غيره لان الملال هو الغالب على الطبع هكذا فى الاحياء (الحالة الثالثة أن تشتغل بما يصل منه خير الى المسلمين ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين) من قضاء حاجة لهم ومعاونة معهم على بر وتقوى وقد ورد فى الخبر أن أفضل الاعمال ادخال السرور على المؤمن (أو) تشتغل بما (يتيسر به الاعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد فى أشغالهم) جمع شغل بضم الشين والغين وباسكان الغين وبه مع فتح الشين وبفتحتين ففيه أربع لغات (والسعى) أى التصرف (فى اطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلا على المرضى) جمع مريض (بالعيادة) أى الزيارة (وعلى الجنائز بالتشييع) أى الاتباع الى المقابر (فكل ذلك أفضل من النوافل فان هذه عبادات) الفاء للتعليل كما فى نسخة (وفيها رفق) اى نفع (للمسلمين) كما قال الجيلانى ما وصلت الى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر (الحالة الرابعة أن لاتقوى) أى لاتقدر (على ذلك) أى على الحالة الثالثة أو على المذكور من الحالات الثلاث المتقدمة (فاشتغل بحاجاتك اكتسابا على نفسك أو عيالك) أى أهل بيتك ومن تمونه لانه ليس لك أن تضيع العيال وتستغرق الاوقات فى العبادات وكان وردك حضور السوق والاشتغال بالكسب (وقد سلم المسلمون منك) الواو للحال (وأمنوا من لسانك ويدك) وهذا عطف تفسير على ماقبله (وسلم لك دينك اذ لم ترتكب) أى لم تأت (معصية) فى حال اكتسابك وفى غيره (فتنال بذلك) أى الاكتساب (درجة أصحاب اليمين) وهم المقتصدون فى العبادات (ان لم تكن من أهل الترقى الى مقامات السابقين) وهم المسارعون فى العبادات مع ضم التعليم والتعلم (فهذا) أى الكسب بتلك الصفة (أقل الدرجات فى مقامات الدين) أما اذا داومت على الكسب ولم تنس ذكر الله تعالى فى صناعتك بأن تواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن وتتصدق بما فضل عن حاجتك فذلك أفضل من سائر الاذكار التى ذكرتها لان العبادة المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والكسب على هذه النية عبادة لك فى نفسك تقربك الى الله تعالى ثم يحصل به فائدة الغير ويجذب اليك بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الاجر (ومابعد هذا) أى المذكور من الحالة الرابعة (فهو من مراتع الشياطين) أى من محال تمتعهم واتساعهم (وذلك) أى مابعد المرتبة الرابعة (بأن تشتغل والعياذ بالله بما يهدم دينك) أى من اتيان الذنوب فى حق الله تعالى (أو تؤذى عبدا من عباد الله تعالى) بقول أو فعل (فهذه رتبة الهالكين فاياك) أى احذر (أن تكون فى هذه الطبقة) أى الحالة والرتبة وتدقيل الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك والنفس ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل (واعلم أن العبد فى حق دينه على ثلاث درجات) أى طبقات من المراتب (اما سالم) من الاثم (وهو المقتصر على أداء الفرائض) أى المكتفى به (وترك المعاصى أو رابح) للاجر (وهو المتطوع) أى المتبرع (بالقربات) وهى اسم لما يتقرب بها الى الله تعالى (والنوافل أو خاسر) أى هالك آثم (وهو المقصر) أى المتوانى (عن اللوازم) أى فى الواجبات نعني يعنى فى قال الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه أى فى التقصير بالعمل ومنهم مقتصد أى يعمل فى أغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات وهو من يضم الى العمل التعليم والارشاد الى العمل وقال أبو بكر الوراق أحوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى جملة المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل فى عداد السابقين (فان لم تقدر أن تكون رابحا) أى بالنوافل (فاجتهد أن تكون سالما) بأدائك الواجبات

واجتنابك المخالفات (وإياك) أي احذر (ثم إياك) توكيد للأول (أن تكون خاسرا) بعدم الاعتناء في الفرائض وإن كان العبد يدخل الجنة بفضل الله ولكن بعد أن يستعد بطاعته لأن رحمة الله قريب من المحسنين كما حكي أن رجلا في بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأرسل الله إليه ملكا يخبره بأنه مع تلك العبادة لا يليق به الجنة فلما بلغه قال العابد نحن خلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبده فلما رجع الملك قال إلهي أنت تعلم بما قال قال الله تعالى إذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له (والعبد في حق سائر العباد له) أي العبد (ثلاث درجات) أي مراتب (الأولى أن ينزل) أي العبد أي يقام (في حقهم) أي سائر العباد (منزلة) أي موضع (الكرام) أي على الله تعالى (البررة) أي الصادقين المطيعين وهو جمع بار (من الملائكة وهو) أي العبد المنزل منزلة الملائكة (أن يسعى) أي يعمل (في أغراضهم) أي مقاصدهم (رفقا) أي نفعا وإعانة (بهم وإدخالا للسرور على قلوبهم) كما روي في الحديث ما عبد الله بشيء أفضل من جبر الخاطر (الثانية أن ينزل) أي العبد (في حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خيره) أي العبد فخير فاعل وفي نسخة فلا ينيلهم وعلى هذه النسخة فخيره مفعول ثان (ولكن يكف) أي العبد (عنهم شره) أي لا يفعل ما يؤذيهم بقول وفعل (الثالثة أن ينزل) أي العبد (في حقهم منزلة العقارب والحيات) أي الأفاعي (والسباع الضاريات) أي المجترئات ويقع السبع على كل ما له ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والنمر (لا يرجى خيره ويتقى شره فإن لم تقدر) بكسر الدال وضمها كما في المصباح وفتحها في لغة قليلة كما في الصحاح (على أن تلتحق) أي تتشبه (بأفق الملائكة) أي بكرامهم وفواضلهم (فاحذر أن تنزل) أي تحط (عن درجة) العبد المتوسط وهي مرتبة (البهائم والجمادات إلى مراتب) العباد السافلين وهي مراتب (العقارب والحيات والسباع الضاريات) أي العادية (فإن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين) وهي درجة الملائكة إلى درجة المتوسطين (فلا ترض لها) أي لنفسك (بالهوى) بضم الهاء وفتحها مع كسر الواو وتشديد الياء أي السقوط (إلى أسفل سافلين) وهي درجة الحيوانات الفواسق (فلعلك تنجو كفافا) بفتح الكاف أي مقدار حاجتك من غير نقص ولا زيادة كما بين المصنف معنى الكفاف بقوله (لا لك ولا عليك) أي لا ينفعك أحد كما لا تنفعه ولا يضرك أحد كما لا تضره (فعليك في بياض) أي أوقات (نهارك أن لا تشتغل إلا بما ينفعك في معادك) أي مرجعك وهو الآخرة (أو معاشك) أي مكتسبك الذي تعيش بسببه (الذي لا تستغني عن الاستعانة به) أي المعاش (على معادك) فإن كنت تاجرا فينبغي أن تتجر بصدق وأمانة وإن كنت صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا تنس ذكر الله تعالى في جميع أشغالك واقتصر من الكسب على قدر حاجتك ليومك مهما قدرت على أن تكتسب في كل يوم لقوتك فإذا حصل كفاية يومك فارجع إلى بيتك ولتتزود لآخرتك فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فالاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها (فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم) من المعاصي الأربعة التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة وتسلم منها بالخلوة وهي الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا (فالعزلة أولى) أي أحق لك (فعليك) أي الزم (بها) أي العزلة (ففيها) أي لأن في العزلة (النجاة) أي الخلاص مما مر ومن الفتن والخصومات ومن شر الناس ومن مشاهدة الثقلاء (والسلامة) من طمع الناس عنك ومن طمعك عن الناس فإن انقطاع طمع الناس عنك فيه فوائد فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى وإن انقطاع طمعك عنهم فيه فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص

وإياك ثم إياك أن تكون خاسرا والعبد في حق سائر العباد له ثلاث درجات (الأولى) أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة وهو أن يسعى في أغراضهم رفقا بهم وإدخالا للسرور على قلوبهم (الثانية) أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خيره ولكن يكف عنهم شره (والثالثة) أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لا يرجى خيره ويتقى شره فإن لم تقدر على أن تلتحق بأفق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى مراتب العقارب والحيات والسباع الضاريات فإن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين فلا ترض لها بالهوى إلى أسفل سافلين فلعلك تنجو كفافا لا لك ولا عليك فعليك في بياض نهارك أن لا تشتغل إلا بما ينفعك في معادك أو معاشك الذي لا تستغني عن الاستعانة به على معادك فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم فالعزلة أولى فعليك بها ففيها النجاة والسلامة

طمعه ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع (فان كانت الوساوس) أى حديثات النفس حال كونك (فى العزلة تجاذبك) أى تنازعك (الى ما لا يرضى الله تعالى ولم تقدر على قمعها) أى قهرها واذلالها (بوظائف العبادات فعليك) أى الزم وتمسك (بالنوم فهو) أى النوم (أحسن أحوالك وأحوالنا اذا عجزنا عن الغنيمة) وهو ما نيل من أهل الشرك عنوة (رضينا بالسلامة) من الهلاك (فى الهزيمة) أى الغلبة والمعنى اذا لم تقدر على اتيان الاعمال الصالحة فلا تأت الاعمال الفاسدة (فأخس) بكسر الخاء المعجمة وتشديد السين (بحال من سلامة دينه فى تعطيل حياته) أى من العبادات وقوله أخس فعل تعجب فعل ماض ومجيئه على صورة الامر وقوله بحال فاعل والباء زائدة لتحسين اللفظ لان مجىء المرفوع بعد صورة الامر قبيح ويدل على ذلك ما فى بعض النسخ فما أخس حال من سلامة دينه فى تعطيل حياته أى خسة حال من ذكر أمر متعجب منه وعلى هذه النسخة فقوله حال مفعول وحمل شيخنا يوسف السنبلاوينى على أن قوله فى النسخة الاولى فأخس فعل أمر فكان قوله بحال معمول له فالباء للملابسة والمعنى ارض بالامر الخسيس أى الحقير متلبسا بحال من ذكر (اذ النوم أخو الموت وهو) أى النوم (تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات) وذكر أبو طالب المكى خلافا فى اليقظة المجردة عن سائر العبادات من الذكر وغيره والنوم الذى ليس للتقوى على طاعة الله تعالى وليس لاجل ترك معصية فقيل اليقظة أفضل من ذلك النوم لانه نقص وقيل النوم أولى لانه قد يرى فيه الله تعالى أو النبى أو الصالحين وأما النوم الذى على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل فهو قربة

(آداب الاستعداد) أى التهيؤ (لسائر الصلوات ينبغى) أى يطلب (أن تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال فتقدم القيلولة) أى النوم فى نصف النهار وهى سنة فى غير يوم الجمعة (ان كان لك قيام فى الليل) أى صلاة التهجد وهى صلاة التطوع فى الليل بعد النوم ولا حد لعدد ركعاته لقوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر الصلاة خير موضوع استكثر أو أقل رواه ابن حبان والحاكم أى الصلاة أفضل شئ موضوع أى مشروع من المندوبات (أو سهر) بفتح الهاء أى أرق (فى الخير) من الذكر ومطالعة الكتب بحيث لو لم تنم لم تشتغل بخير (فان فيها) أى القيلولة (معونة على قيام الليل كما أن فى السحور معونة على صيام النهار) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا بالقيلولة على قيام الليل وبالسحور على صيام النهار وبالتمر والزبيب على برد الشتاء رواه أبو داود (والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور) وفى بعض النسخ كالتسحر (من غير صيام بالنهار فاذا قلت) بكسر القاف أى نمت فى وقت الظهيرة (فاجتهد أن تستيقظ) أى تنتبه (قبل الزوال) بقدر الاستعداد للصلاة بما ذكره المصنف بقوله (وتتوضأ وتحضر المسجد) أى قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم تنم ولم تشتغل بالكسب واشتغلت بالصلاة والذكر فهو أفضل أوقات النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا كذا فى الاحياء (وتصلى تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه) كما تقدم بيان ذلك كله (ثم تقوم) الى احياء ما بين الاذان والاقامة (فتصلى أربع ركعات عقب الزوال) بتسليمة واحدة ومذهب الشافعى أنها مثنى مثنى كسائر النوافل وهو الذى صحت فيه الاخبار كذا فى الاحياء (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطولهن) أى هذه الركعات (ويقول هذا) أى وقت الزوال (وقت تفتح فيه أبواب السماء فأحب أن يرفع لى فيه) أى فى هذا الوقت (عمل صالح) كما رواه أبو أيوب الانصارى (وهذه الاربع قبل الظهر سنة مؤكدة) أى عند قول والراجح أن الركعتين قبل الظهر آكد من جملة الاربعة كما فى الاحياء وهذا هو المعتمد (ففى الخبر) الوارد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم (أن من صلاهن) أى أربع ركعات بعد زوال الشمس (فأحسن ركوعهن وسجودهن) أى وقراءتهن (صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له الى الليل) وفى الحديث عن الخطيب البغدادى عن أنس من صلى قبل الظهر أربعا غفر له ذنوبه يومه ذلك وفيه

فان كانت الوساوس فى العزلة تجاذبك الى ما لا يرضى الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا اذا عجزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة فى الهزيمة فأخس بحال من سلامة دينه فى تعطيل حياته اذ النوم أخو الموت وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات

(آداب الاستعداد لسائر الصلوات) ينبغى أن تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال فتقدم القيلولة ان كان لك قيام فى الليل أو سهر فى الخير فان فيها معونة على قيام الليل كما أن فى السحور معونة على صيام النهار والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار فاذا قلت فاجتهد أن تستيقظ قبل الزوال وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلى تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه ثم تقوم فتصلى أربع ركعات عقب الزوال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطولهن ويقول هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء فأحب أن يرفع لى فيه عمل صالح وهذه الاربع قبل الظهر سنة مؤكدة ففى الخبر أن من صلاهن فأحسن ركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له الى الليل

عن الطبرانى عن رجل أنصارى من صلى قبل الظهر أربعا كان كعدل رقبة من بنى اسمعيل أى كان ثواب ذلك مثل ثواب عتق نسمة من بنى اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام (ثم صل الفرض مع الامام) بجماعة (ثم صل بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب) المؤكدات (الثابتة) أى الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم وزد بعدهما ركعتين غير مؤكدتين لحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم عن أم حبيبة من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار اى منعه من دخولها وقال الغزالى ويستحب أن يقرأ فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر سورة البقرة (ولا تشتغل الى العصر الا بتعلم علم) اما بالحضور عند المدرس أو بمطالعة كتب (أو اعانة مسلم) لقوله صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه والمعنى والله معين للعبد اعانة كاملة ما دام العبد معينا لاخيه (أو قراءة قرآن أو سعى فى معاش لتستعين به) أى المعاش (على دينك) أو فنون الخير وكن فى انتظار الصلاة معتكفا ففى فضائل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف (ثم صل أربع ركعات قبل العصر) وبعد جواب المؤذن (فهى) أى هذه الاربع (سنة مؤكدة) أى من حيث رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتية فان دعوته تستجاب لا محالة لا من حيث مواظبته صلى الله عليه وسلم عليهن فانه لم يواظب على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر كذا فى الاحياء ولذلك كانت هذه الاربعة من الرواتب غير المؤكدة عند الشافعى كما أفاده العزيزى (فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ) وفى رواية عبدا (صلى أربعا قبل العصر) رواه الترمذى وابن حبان عن ابن عمر (فاجتهد أن تنالك دعوته صلى الله عليه وسلم) بالرحمة باداتك هذه النافلة (ولا تشتغل بعد العصر الا بمثل ما سبق قبله) أى العصر (ولا ينبغى) أى لا يليق (أن تكون أوقاتك مهملة) أى متروكة بلا فائدة وفى هذا الوقت يكره النوم قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع ونوم بالنهار من غير سهر بالليل (فتشتغل فى كل وقت بما اتفق) أى صلح فيه (كيف اتفق) أى على أى مقدار صلح (بل ينبغى) أى يطلب لك (أن تحاسب نفسك) على الهفوات والزلات وأقل ذلك فى اليوم من بعد الظهر أو العصر الى الليل وكان بعضهم يقيد حركاته فى نهاره فى كتاب فاذا أمسى جعله بين عينيه وحاسب نفسه على ما فيه وبعضهم (كان يحاسبها على خواطره فى اليوم والليلة ففى تلك المحاسبة بركة عظيمة كذا أفاده عبد الله الشرقاوى فى ربيع الفؤاد (وترتب أورادك) وفى نسخة وظائفك أى أعمالك المقدرة (فى ليلك ونهارك) فأوراد النهار قد مضى ذكرها وأوراد الليل تأتى فى كلامه كأوراده بعد اصفرار الشمس (وتعين لكل وقت شغلا) أى وظيفة (لا تتعداه) اى لا تتجاوزه الى غيره (ولا تؤثر) أى لا تختر ولا تقدم وفى نسخة ولا تودع أى تجعل (فيه) أى ذلك الوقت (سواه) أى ذلك الشغل (فبذلك) أى الترتيب أو التعيين وفى نسخة نفيه (تظهر بركة الاوقات فأما اذا تركت) أى جعلت فهو متعد لمفعولين (نفسك مهملا) أى متروكا (سدى) بضم السين أى لاغيا بلا أوراد (اهمال البهائم) التى (لا تدرى) أى البهائم (بماذا تشتغل) أى البهائم (فى كل وقت فينقضى) أى يذهب (أكثر أوقاتك ضائعة) أى هالكة (وأوقاتك عمرك وعمرك رأس) أى أصل (مالك وعليه) أى المال (تجارتك) أى تصرفك فى البيع والشراء (وبه) أى المال (وصولك الى نعيم دار الابد فى جوار) بكسر الجيم (الله تعالى) أى فى الجنة (فكل نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن فى جزء من الزمن (من أنفاسك جوهرة) أى مثل جوهرة أى حجر ينتفع به (لا قيمة لها) أى الجوهرة (اذ لا بدل له) أى لذلك النفس (فاذا فات) أى ذهب النفس عنك (فلا عود له) فينبغى لك الادب معه تعالى ومراقبته تعالى فى كل نفس من أنفاسك فتكون فى كل نفس سالكا طريقا اليه تعالى وهو معنى قولهم الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق قال بعضهم ان اليوم ينادى كل وقت بقوله يا ابن آدم أنا يوم جديد وأنا

ثم صل الفرض مع الامام ثم صل بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة ولا تشتغل الى العصر الا بتعلم علم أو اعانة مسلم أو قراءة قرآن أو سعى فى معاش لتستعين به على دينك ثم صل أربع ركعات قبل العصر فهى سنة مؤكدة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ صلى أربعا قبل العصر فاجتهد ان ينالك دعاؤه صلى الله عليه وسلم ولا تشتغل بعد العصر الا بمثل ما سبق قبله ولا ينبغى أن تكون أوقاتك مهملة فتشتغل فى كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغى أن تحاسب نفسك وترتب أورادك فى ليلك ونهارك وتعين لكل وقت شغلا لا تتعداه ولا تؤثر فيه سواه فبذلك تظهر بركة الاوقات فأما اذا تركت نفسك سدى مهملا اهمال البهائم لا تدرى بماذا تشتغل فى كل وقت فينقضى أكثر أوقاتك ضائعا وأوقاتك عمرك وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك الى نعيم دار الابد فى جوار الله تعالى فكل نفس من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها اذ لا بدل له فاذا فات فلا عود له

فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأى خير فى مال يزيد وعمر ينقص ولا تفرح الا بزيادة علم أو عمل صالح فانهما رفيقاك يصحبانك فى القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك ثم اذا اصفرت الشمس فاجتهد ان تعود الى المسجد قبل الغروب وتشتغل بالتسبيح والاستغفار فان فضل هذا الوقت كفضل ماقبل الطلوع قال الله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها واقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب عليك الشمس وأنت فى الاستغفار فاذا سمعت الاذان فاجبه وقل بعده اللهم انى أسألك عند اقبال ليلك وادبار نهارك وحضور صلاتك وأصوات دعاتك ان تؤتى محمدا الوسيلة الدعاء كما سبق * ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والاقامة وصل بعده قبل أن تتكلم ركعتين فهما راتبة المغرب وان صليت بعدهما أربعا تطيلهن فهن أيضا سنة وان أمكنك ان تنوى الاعتكاف الى العشاء وتحيي مابين العشاءين بالصلاة فافعل فقد ورد فى فضل ذلك مالا يحصى

بما عملت فيه شهيد فاغتنمنى فانك لم تدركنى اذا غربت الشمس (فلا تكن كالحمقى) بالقصر وهو جمع أى كالقوم الذين فسد عقلهم (المغرورين) بالدنيا والشيطان (الذين يفرحون فى كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأى خير فى مال يزيد) كل يوم (وعمر ينقص) فى كل لحظة (ولا تفرح الا بزيادة علم أو عمل صالح فانهما رفيقاك يصحبانك فى القبر) ويؤنسانك فيه (حيث يتخلف) أى يتأخر (عنك أهلك) أى زوجتك كما فى المصباح (ومالك وولدك وأصدقاؤك) كقول الشاعر من بحر الطويل

تزود قرينا من فعالك انما * قرين الفتى فى القبر ما كان يعمل

(ثم اذا اصفرت الشمس) بأن تغرب من الارض (فاجتهد أن تعود الى المسجد قبل الغروب وتشتغل) فى ذلك الوقت (بالتسبيح والاستغفار) مثل سبحان الله العظيم وبحمده ومثل أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة والاستغفار على الاسماء التى فى القرآن أحسن كقوله أستغفر الله انه كان غفارا أستغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين كذا فى الاحياء (فان فضل هذا الوقت كفضل ماقبل الطلوع قال الله تعالى) فى سورة طه (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) أى اشتغل بتنزيه الله تعالى فى طرفى النهار كما قاله أبو مسلم (واقرأ قبل غروب الشمس) أربع سور (والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين) بكسر الواو كما قاله القسطلانى فمن قرأ سورة الشمس رزقه الله الفهم الذكى والفطنة فى جميع الاشياء ومن تلا سورة الليل حفظ من هتك الستر ومن تلا سورة الفلق وقى السوء ومن تلا سورة الناس عصم من البلايا وأعيذ من الشيطان ومن داوم على قراءتها كان رزقه كالمطر (ولتغرب عليك الشمس وأنت فى الاستغفار) الواو للحال كذا فى اكثر النسخ كما فى الاحياء وفى نسخة ولا تغرب عليك الشمس الا وأنت فى الاستغفار (فاذا سمعت الاذان فأجبه وقل بعده اللهم انى أسألك) أى أطلب منك (عند اقبال ليلك وادبار نهارك وحضور صلاتك وأصوات دعاتك) بالتاء جمع داع اسم فاعل (أن تؤتى) أى تعطى (محمدا الوسيلة) وهى منزلة فى الجنة (الدعاء) أى اقرأ الدعاء بتمامه (كما سبق) أى فى دعاء الصبح وفى سنن أبى داود والترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك اغفر لى هكذا فى الاذكار وهذا موافق لما فى الاحياء قال الغزالى فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره فليشكر الله تعالى على توفيقه وليشكره تعالى على صحة جسمه وبقاء عمره (ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والاقامة) أى وبعد ركعتين خفيفتين نهما قبل المغرب سنة غير مؤكدة كما صححه النووى (وصل بعده) أى الفرض (قبل أن تتكلم) وقبل أن تشتغل بشئ (ركعتين) تقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد (فهما راتبة المغرب) مؤكدة (وان صليت بعدهما أربعا تطيلهن فهن أيضا سنة) وهى سنة الاوابين (وان أمكنك أن تنوى الاعتكاف الى العشاء وتحيي مابين العشاءين بالصلاة فافعل) فان غاية صلاة الاوابين عشرون ركعة وقيل ست ركعات كما أفاده البجيرمى وكما قال الغزالى فى الاحياء ونقل من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات وقال البجيرمى نقلا عن الرملى وصلاة الاوابين عشرون بين المغرب والعشاء ورويت ستا وأربعا وركعتين فهما أقلها (فقد ورد فى فضل ذلك) أى احياء مابين العشاءين بالصلاة أو بالقرآن كما فى الاحياء (ما لا يحصى) قال الغزالى فى الاحياء من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الارض

لوسعهم

لوسعهم وقال أيضا وان كان المسجد قريبا من منزلك فلا بأس أن تصلي تلك الصلاة في بيتك ان لم يكن عزمك العكوف في المسجد (وهي) أي هذه الاربع أو ما بين العشاءين وفي بعض النسخ وهو بالتذكير (ناشئة الليل) المذكورة في قوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا اي ان بدأ الليل بالصلاة أشد مواطأة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات وأعظم سدادا من جهة وقعه في القلوب لحضور القلب لان الاصوات هادية والدنيا ساكنة وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هو ناشئة الليل كما في السراج المنير (لانه) أي ما بين العشاءين (أول نشأة) بالهمزة دون الواو أي أول ساعات من الليل وأما النشوة بالواو فمعناه السكر كما علم من الصحاح والمصباح (وهي) أي ناشئة الليل (صلاة الاوابين) أي التوابين كما قد فسر ناشئة الليل في الآية بدأ الليل عطاء وعكرمة وكما قد فسرها علي بن الحسين بصلاة الاوابين وتسمى أيضا صلاة الغفلة لغفلة الناس عنها بسبب عشاء أو نوم أو نحو ذلك (وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (هي الصلاة ما بين العشاءين فانها) أي هذه الصلاة (تذهب بلاغات النهار وتهذب آخره) وقال في الاحياء روي عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة بين العشاءين ثم قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بلاغات النهار وتهذب آخره بالخاء المعجمة بعد الهمزة الممدودة والضمير عائد الى النهار ومعنى تهذب أي تنقي وقال شيخنا يوسف هو بالجيم الساكنة وهو بمعنى الثواب فكان الضمير راجعا الى المصلي ومعنى تهذب أي تزيد والاول أظهر (والملاغات) بضم الميم ثم باللام المفتوحة الممدودة ثم بالغين المعجمة كما في الجامع والاحياء (جمع ملغاة وهي) مأخوذة (من اللغو) ومعناها كلمات ذوات لغو أي لا فائدة فيها وسئل أنس عمن ينام بين العشاءين قال لا تفعل فانها الساعة المرادة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وعن ابن أبي حازم قال في هذه الآية ما بين المغرب والعشاء صلاة الاوابين وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه يقول في معنى تتجافى جنوبهم عن المضاجع أي تتجافى لذكر الله اما في الصلاة واما في قيام أو قعود أو على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله وقال الشرقاوي في ربيع الفؤاد ثم بعد صلاة الاوابين صل ركعتين بنية تونيس القبر وان شئت فقدمها على صلاة الاوابين تقرأ في الاولى بعد الفاتحة الكافرون وفي الثانية اذا جاء نصر الله أو تقرأ في الاولى اذا زلزلت وفي الثانية ألهاكم (فاذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض احياء لما بين الاذانين) أي الاذان والاقامة لخبر بين كل أذانين صلاة وهذه الاربع لم يوجد في خصوصها حديث كذا قاله البركوي والمذكور في تحرير أن الراتبة قبل العشاء ركعتان لكنهما غير مؤكدة ولذلك لم يذكرها النووي في المنهاج (ففضل ذلك) أي الاحياء لما بين الاذان والاقامة (كثير وفي الخبر أن الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد) وهذا الخبر ليس دليلا على الراتبة التي قبل العشاء (ثم صل الفرض وصل الراتبة) أي بعده (ركعتين) وهما مؤكدتان ولو للعاجز عمر دلفقوا انما سن له ترك النفل المطلق ليستريح ويتهيأ لما بين يديه من الاعمال الشاقة يوم النحر (واقرأ فيهما) أي الركعتين (سورة السجدة) والظاهر أنها سجدة الجرز كما يدل الذالك في بعض النسخ من قوله ألم السجدة وقول الاحياء وعوارف المعارف وسجدة لقمان معناه سورة السجدة التي تلي سورة لقمان كما أفاده بعض المشايخ (وتبارك الملك أو سورة يس والدخان) فان لم تصل فلا تدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم كذا في الاحياء وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ تبارك وألم تنزيل ويقول هما يفضلان على كل سورة في القرآن سبعين حسنة ومن قرأهما كتب له سبعون حسنة ورفع له سبعون درجة وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ألم تنزيل أعطي من الاجر كمن أحيا ليلة القدر

وهي ناشئة الليل لانها أول نشأة وهي صلاة الاوابين وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هي الصلاة ما بين العشاءين فانها تذهب بلاغات النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة وهي من اللغو فاذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض احياء لما بين الاذانين ففضل ذلك كثير * وفي الخبر أن الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين واقرأ فيهما سورة ألم السجدة وتبارك الملك أو سورة يس والدخان

فذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل بعدهما أربع ركعات ففي الخبر مايدل على عظم فضلها ثم صل الوتر بعدها ثلاثا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيها سورة سبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص والمعوذتين فان كنت عازما على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترا ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس في ليلة أصبح مغفورا له وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفورا له كذا في السراج المنير (فذلك) أي المذكور من تلك السور (مأثور) أي منقول (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أنه أكثر قراءتها في كل ليلة وكذلك أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة سورة الزمر والواقعة وبني اسرائيل كذا في الاحياء (وصل بعدهما) أي الركعتين المؤكدتين (أربع ركعات) واقرأ فيها آخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر أو غيرها كذا في الاحياء وظاهر عبارة الاحياء أن هذه الاربعة تكون بتسليمة واحدة كما هي الافضل عند أبي حنيفة وقيل ان هذه الاربعة تؤدى كلها اذا صلى العشاء في غير الوقت المستحب جبرا لذلك النقص وأما اذا صلاها في الوقت المستحب فهو مخير بين الاربع والركعتين كما قاله البركوي (ففي الخبر مايدل على عظم فضلهن) لخبر مسلم أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وروى أيضا أن كل ليلة فيها ساعة اجابة كذا في التحفة وروى عن عائشة أنها سئلت عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما صلى العشاء قط فدخل بيتي الا صلى أربع ركعات أو ست ركعات رواه أبو داود ودل هذا الخبر على أن الاربع بعد العشاء فضيلة والمؤكدة منها ركعتان كذا قاله البركوي والظاهر أن هذه الاربعة هي النفل المطلق في الليل وقال الشرقاوي واذا صلى سنة العشاء سن أن يصلي ركعتين قبل الوتر بنية بقاء الايمان يقرأ في الاولى بعد الفاتحة اذا زلزلت وفي الثانية ألهاكم (ثم صل الوتر بعدها) أي هذه الاربع (ثلاثا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة) والفصل بين ركعة وكل ركعتين بالسلام أفضل من الوصل (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيها) أي الثلاث (سبح اسم ربك الاعلى) في الاولى (وقل يا أيها الكافرون) في الثانية (والاخلاص والمعوذتين) في الثالثة واذا أوتر بثلاث مفصولة عما قبلها كثمان أو ست أو أربع قرأ ذلك في الثلاثة الاخيرة واذا أوتر بأكثر من ثلاث موصولة كخمس مثلا قرأ المطففين والانشقاق في الاولى والبروج والطارق في الثانية لئلا يلزم خلو ما قبل الثلاث عن سورة أو تطويلها على ما قبلها ويسن أن يقول بعد الوتر سبحان الملك القدوس ثلاث مرات كما رواه النسائي وابن السني ويرفع صوته بالثالثة كما في رواية أحمد والنسائي ثم يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك كما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن علي قوله وأعوذ بك منك قيل معناه أعوذ بك من شر ما قضيت وقيل هو اشارة الى التوحيد وذلك أنه صلى الله عليه وسلم استعاذ أولا بالضد من الضد فاستعاذ بالرضا من السخط والمعافاة من العقوبة ولما كان الله تعالى لا ضد له لم يصح أن يقول أعوذ بك من غيرك لامتناع المثل والشريك فرجع صلى الله عليه وسلم اليه تعالى فقال أعوذ بك منك وقوله لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه في مقابلة نعمة واحدة وقيل معناه لا أحصي نعمتك والثناء بها عليك وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله أنت كما أثنيت على نفسك أي بقولك فلله الحمد الآية وغير ذلك (فان كنت عازما على قيام الليل) أي صلاته بعد النوم ووثقت بيقظتك (فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترا) لحديث الشيخين اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وترا ولحديث مسلم من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل (ثم اشتغل بعد ذلك) أي الوتر (بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب) فان ذلك في ذلك الوقت سبب للفتوح كما قاله بعضهم وقال الشاعر

من حاز العلم وذاكره * صلحت دنياه وآخرته

فادم للعلم مذاكرة * فحياة العلم مذاكرته

(ولا تشتغل باللهو) أي بالشيء الذي تفرح به فيلهيك أي يشغلك عما يعنيك ثم ينقضي كاللهو بالقينات (واللعب) أي الباطل الذي لا ثمرة له كلعب الصبيان (فيكون ذلك) أي المذاكرة والمطالعة (خاتمة أعمالك قبل نومك فانما الاعمال بخواتيمها) أي عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا في بعض الأشخاص وفي بعض الاحوال وأما بالنسبة الى علمه تعالى وارادته فالاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم

(آداب النوم)

هذه الترجمة ساقطة في بعض النسخ (فاذا أردت النوم) فعليك باداب الثمانية الاول الاستقبال كما قال (فابسط فراشك مستقبلا للقبلة) والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه الى القبلة وهذا الاستلقاء مباح للرجال ومكروه للنساء وثانيهما وهو سنة ما ذكره بقوله (ونم على يمينك كما يضجع الميت في اللحد) ويكون وجهك مع قبالة بدنك الى القبلة وأما النوم على الوجوه فهو نوم الشياطين وهو مكروه وأما النوم على اليسار فهو مستحب عند الاطباء لانه يسرع هضم الطعام وينبغي من جهة الطب أن يضطجع على الجانب الايمن قليلا بعد الاكل ثم ينقلب على الجانب الايسر والثاني مذكور بقوله (واعلم) أي تذكر عند ارادة النوم (أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث) أي الحشر (ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك فكن مستعدا) أي متهيأ (للقائه بأن تنام على طهارة) وهذا ثالث الآداب (و) الرابع أن (تكون وصيتك مكتوبة تحت وسادتك) بكسر الواو أي مخدتك وفي نسخة تحت رأسك أي فانك لا تأمن القبض من النوم فان من مات بغير وصية لا يتكلم في مدة البرزخ وان الاموات يتزاورون في قبورهم سواه فيقول بعضهم لبعض ما بال هذا المسكين فيقال انه مات بغير وصية كذا نقل عن ابن الصلاح وقال البجيرمي ويمكن حمل ذلك على ما اذا مات من غير وصية واجبة ان نذرها أو خرج مخرج الزجر عن ترك الوصية (و) الخامس أن (تنام تائبا من الذنوب مستغفرا) كما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يأوي الى فراشه أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله تعالى له ذنوبه (عازما على أن لا تعود الى معصية) اذا استيقظت (واعزم على الخير لجميع المسلمين ان بعثك الله تعالى) أي أيقظك من نومك قال النبي صلى الله عليه وسلم من آوى الى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم (وتذكر أنك ستضجع في اللحد كذلك) أي كنومك (وحيدا) بنفسك (فريدا) عن الناس (ليس معك الا عملك ولا تجزى الا بسعيك) أي بعملك من خير وشر قال تعالى وأن سعيه سوف يرى أي في ميزانه من غير شك يوم القيامة بوعد لا خلف فيه وان طال المدى (و) السادس مذكور بقوله (أن لا تستجلب النوم تكلفا) بأن لا تنام اذا لم يغلبك النوم الا اذا قصدت به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولا تنعم (بتمهيد الفرش الوطيئة) أي ببسط الفرش اللينة وتهيئتها بل اترك ذلك أو اقتصد فيه (فان النوم تعطيل للحياة الا اذا كانت يقظتك وبالا) أي سوأ في العاقبة (عليك فنومك سلامة لدينك) ويستحب النوم على طهارة وذكر ويسن للانسان اذا فرق فراشه وعاد اليه أن ينفضه قبل أن ينام فيه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا آوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكن نومك في الليل والنهار أكثر من ثمان ساعات) فان شئت

ولا تشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك فانما الاعمال بخواتيمها

(آداب النوم)

فاذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبل القبلة ونم على يمينك كما يضجع الميت في لحده واعلم أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك فكن مستعدا للقائه بأن تنام على طهارة وتكون وصيتك مكتوبة تحت رأسك وتنام تائبا من الذنوب مستغفرا عازما على أن لا تعود الى معصية واعزم على الخير لجميع المسلمين ان بعثك الله تعالى وتذكر انك ستضجع في اللحد كذلك وحيدا فريدا ليس معك الا عملك ولا تجزى الا بسعيك ولا تستجلب النوم تكلفا بتمهيد الفرش الوطيئة فان النوم تعطيل للحياة الا اذا كانت يقظتك وبالا عليك فنومك سلامة لدينك واعلم ان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات

فيكفيك ان عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك وأعد عند النوم سواكك وطهورك واعزم

على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك فلن تغني عنك كنوز الدنيا اذا مت * وقل عند نومك باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك اللهم باسمك أحيا وأموت أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها ان أمتها فاغفر لها وان أحييتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة اللهم أيقظني في أحب الساعات اليك واستعملني بأحب الاعمال اليك لتقربني اليك زلفى وتبعدني عن سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي ثم اقرأ آية الكرسي وآمن الرسول الى آخر السوره والاخلاص والمعوذتين وتبارك الملك

الليل هذا القدر فلا معنى للنوم في النهار (فيكفيك ان عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك و) السابع مذكور في قوله و(أعد) أي هيئ (عند) ارادة (النوم) عند رأسك (سواكك وطهورك) أي ما تتطهر به من الماء كذلك كان يفعل بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر لك الطهارة استحب لك مسح الاعضاء بالماء فان لم تجد فلتقعد ولتستقبل القبلة ولتشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله تعالى وقدرته (واعزم على قيام الليل) أي عند التيقظ (أو على القيام قبل الصبح فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك) أي حاجتك وهو في القبر وفي القيامة (فلن تغني عنك كنوز الدنيا اذا مت) وقال صلى الله عليه وسلم من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى والثامن الدعاء عند النوم وعند التنبه كما قال (وقل عند نومك) أي اضطجاعك (باسمك) الباء للاستعانة وهو متعلق بوضعت (ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) وفي نسخة يوم تجمع كما في الاحياء (اللهم باسمك أحيا وأموت أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم أنت الاول) أي السابق على الاشياء كلها (فليس قبلك شئ وأنت الآخر) أي الباقي بعد فناء الخلق (فليس بعدك شئ وأنت الظاهر) أي العالي كما قاله العزيزي وهو المناسب هنا (فليس فوقك شئ وأنت الباطن) أي المحتجب عن الحواس بحجب كبريائه (فليس دونك) أي في قربك (شئ اقض عني الدين واغنني من الفقر) فقوله أنت الاول الى هنا موافق للاحياء وللاذكار وذلك رواية أبي داود وأما رواية مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه فكذلك الا لفظ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر فهو بنون العظمة (اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها) بالتاءين كما في الاحياء والاذكار وبحذف احدى التاءين كما في الجامع (لك مماتها ومحياها) أي أنت المالك لاماتتها ولاحيائها أي وقت شئت لا مالك لهما غيرك (ان أمتها فاغفر لها) أي ذنوبها فانه لا يغفر الذنوب الا أنت (وان أحييتها فاحفظها) أي صنها عن الوقوع فيما لا يرضيك (بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني أسألك العفو والعافية) أي أطلب منك السلامة (في الدين) أي من الافتتان وكيد الشيطان (والدنيا) أي من الآلام والاسقام (والآخرة) أي من الفزع الاكبر ومن جهنم وهذا أي قوله اللهم أنت الى هنا ما رواه مسلم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم أيقظني في أحب الساعات اليك واستعملني بأحب الاعمال اليك لتقربني) لام التعليل وفي نسخة حتى تقربني وفي الاحياء سقوط ذلك (اليك زلفى) أي قربة أو منزلة وهي مفعول مطلق أو تمييز (وتبعدني عن سخطك بعدا) مفعول مطلق (أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي ثم اقرأ آية الكرسي) وروى البيهقي أن من قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله كذا في السراج المنير (وآمن الرسول الى آخر السورة) وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه قال الشربيني أي عن قيام الليل أو عن كل ما يسوءه اي يحزنه وروى أبو بكر عن علي أنه قال ما كنت أرى أحدا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الاواخر من سورة البقرة أي وهي من قوله تعالى لله ما في السموات (والاخلاص) أي قل هو الله أحد ثلاث مرات كذا ذكر النووي في الاذكار وليس المراد بالاخلاص هنا سورة الكافرون فانها تسمى بالاخلاص أيضا (والمعوذتين) وانفث في يديك عند قراءتهما وامسح بهما رأسك ووجهك وسائر جسدك وافعل ذلك ثلاث مرات والنفث نفخ لطيف بلا ريق (وتبارك الملك) للاتباع كما مر وقل في تيقظاتك وتقلباتك مهما تيقظت لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار كما

رواه

وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة فمن فعل ذلك عرج بروحه الى العرش وكتب مصليا الى أن

رواه ابن السني عن عائشة رضي الله عنهما (وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله تعالى) وليكن أول ما يرد على قلبك عند التيقظ ذكر الله تعالى فذلك علامة الحب لله تعالى وعلامة تكشف عن باطن القلب (وعلى الطهارة) أي من الحدثين (فمن فعل ذلك) أي الطهارة عند النوم كما في الاحياء (عرج بروحه الى العرش وكتب مصليا الى أن يستيقظ) وكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق وهذا أريد به طهارة الباطن والظاهر جميعا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب (فاذا استيقظت) لتقوم (فارجع الى ما عرفتك أولا) أي في باب آداب الاستيقاظ بأن تقول الحمد لله الذي أحيانا الى آخر ما ذكر المصنف من أدعية التيقظ (وداوم على هذا الترتيب) أي المثبت في هذا الكتاب من الوظائف وليس المراد بالترتيب هنا خصوص تقديم الشيء على غيره (بقية عمرك فان شقت عليك المداومة) على اشتغال الوظائف المذكورة (فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظارا للشفاء وتفكر في قصر عمرك وان عشت مثلا مائة سنة) ان غاية (فهي) أي المائة (قليلة بالاضافة) أي بالنسبة (الى مقامك) بضم الميم أي اقامتك (في الدار الآخرة وهي أبد الآباد) أي لا نهاية لها قوله وهي في محل التعليل كقوله سابقا فهي قليلة (وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا) أي من الاموال (شهرا أو سنة رجاء أن تستريح بها) أي الدنيا (عشرين سنة مثلا فكيف لا تتحمل ذلك) أي المشقة في اشتغال الوظائف والذل في عدم تحصيل الدنيا (أياما قلائل) أي مدة حياتك في الدنيا (رجاء الاستراحة أبد الآباد) فالدنيا وما فيها بالنسبة لثواب الآخرة أقل قليل (ولا تطول أملك) في أنك تعيش شهرا مثلا (فيثقل عليك عملك) وتسوف بالعمل نفسك (وقدر قرب الموت) لان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور و يقتضي الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا (وقل في نفسك اني أتحمل المشقة اليوم) أي في اشتغال الاوراد (فلعلي أموت الليلة) فتكون الاوراد ذخيرة لي (واصبر الليلة) على تحمل مرارة السهر في العبادة (فلعلي أموت غدا) فتكون العبادة زادا لي في الآخرة (فان الموت لا يهجم) بضم الجيم أي لا يدخل (في وقت مخصوص) بل يدخل في كل وقت (وحال مخصوص) بل في كل حال من الصحة والمرض والغفلة والذكر (وسن مخصوص) بل يدخل في الصبيان والشبان والشيوخ (فلا بد من هجومه) أي الموت على كل حال (فالاستعداد) أي التهيؤ (له) أي الموت (أولى) أي أحق (من الاستعداد للدنيا) والمراد بالدنيا ما زاد على قدر الحاجة (وأنت تعلم) علم اليقين (أنك لا تبقى فيها) أي في دار الدنيا (الا مدة يسيرة) أي قليلة (ولعله لم يبق من أجلك) أي مدة حياتك (الا يوم واحد أو نفس واحد فقدر هذا) أي هجوم الموت في خاطرك وفي وقتك (في قلبك كل يوم) قال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في تعب من تحمل مشقة نفسه وكسر شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة أي هدية في حقه وكان الربيع بن خيثم يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد (وكلف) أي احمل على مشقة (نفسك الصبر على طاعة الله يوما فيوما) أي وقتا بعد وقت فقوله نفسك مفعول أول والصبر مفعول ثان لان كلف يتعدى لاثنين كما هو مفهوم من المصباح (فانك لو لم تدر دخول الموت عليك) بغتة بل (قدرت البقاء) في الدنيا (خمسين سنة) أي مثلا (وألزمتها الصبر على طاعة الله نفرت) أي تلك النفس أي جزعت (واستعصت) بتقديم العين على الصاد أي خالفت وفي النسخ واستصعبت بالصاد والعين فالموحدة وهذا أحسن أي وجدت النفس صعبا (عليك) لانك قدرت بعد الموت (فان فعلت ذلك) أي تكليف نفسك الصبر على الطاعة (فرحت عند الموت فرحا لا آخر له) برؤيتك محلك في الجنة لانك قد استعددت للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (وان سوفت) بالطاعة (وتساهلت) لها (جاءك الموت) بغتة (في وقت لا تحتسبه) أي لا تعرف أن الموت جاء في ذلك الوقت

يستيقظ * فاذا استيقظت فارجع الى ما عرفتك أولا وداوم على هذا الترتيب بقية عمرك فان شقت عليك المداومة فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظارا للشفاء وتفكر في قصر عمرك وان عشت مثلا مائة سنة فهي قليلة بالاضافة الى مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الآباد وتأمل انك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا شهرا أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلا فكيف لا تتحمل ذلك أياما قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك وقدر قرب الموت وقل في نفسك اني أتحمل المشقة اليوم فلعلي أموت الليلة وأصبر الليلة فلعلي أموت غدا فان الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص فلا بد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم انك لا تبقى فيها الا مدة يسيرة ولعله لم يبق من أجلك الا يوم واحد أو نفس واحد فقدر هذا في قلبك كل يوم وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوما فيوما فانك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرت واستعصت عليك فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له وان سوفت وتساهلت جاءك الموت في وقت لا تحتسبه

(وتحسرت) بالحاء المهملة أى حزنت (تحسرا لا آخر له) لانهما كانت فى الدنيا ولا تباعك شهواتك (وعند الصباح يحمد القوم السرى) بضم السين وفتح الراء ومعناه فى الاصل السير أول الليل وأوسطه وآخره كما فى المصباح والمراد بذلك الطاعة فى ذلك الوقت وقوله يحمد بضم الياء وكسر الميم كما ضبطه بذلك شيخنا يوسف السنبلاوينى وهو موافق للصحاح والمصباح والمعنى أن العباد الذين اشتغلوا بالعبادة فى الليل صارت عبادتهم الى الحمد ووجدوها محمودة كما أن السائرين فى الليل صار سيرهم الى الحمد ووجدوه محمودا عندهم حالة الصباح لان السير فى الليل يطوى الارض (وعند الموت يأتيك الخبر اليقين) أى الواضح أى فى أنك تفرح بحصول رضاء رب العالمين أو تحزن بوجدان سخطه (ولتعلمن نبأه) أى خبر المذكور من الفرح والحزن (بعد حين) أى انقضاء عمرك (واذا أرشدناك) أى دللناك (الى ترتيب الاوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما) فى فصلين (وآداب الامامة والقدوة) فى فصل واحد (والجمعة) فى فصل واحد

(آداب الصلاة)

أى المطلوبات فيها (فاذا فرغت من طهارة الحدث) أى الاصغر والاكبر (و) من (طهارة الخبث) بفتحتين أى النجس الذى لا يعفى عنه (فى البدن) حتى داخل الفم والانف والعين والاذن (والثياب) وغيرهما من كل محمول وملاق له (والمكان) الذى يصلى فيه (ومن ستر العورة من السرة الى الركبة) كما هى للرجل حرا كان أو عبدا (فاستقبل) أى بصدرك (القبلة) أى عينها مطلقا فى القرب يقينا وفى البعد ظنا وعند الامام أبى حنيفة التوجه يكون بجزء من قاعدة مثلث وعند الامام مالك القبلة هى الجهة مطلقا فى القرب والبعد وعند الامام أحمد هى العين فى القرب والجهة فى البعد فمذهب أبى حنيفة أوسع فى أمر القبلة وبعده مذهب مالك وبعده مذهب الامام أحمد وهو المتوسط وبعده مذهب الامام الشافعى وهو أضيق لانه لابد من العين عنده مطلقا أى فى القرب والبعد كذا فى فتاوى الخليلى ثم رأيت نصا فى فقه مذهب أبى حنيفة وهو قوله فلو انحرف عن العين انحرافا لا تزول منه المقابلة بالكلية جاز فيجوز التيامن أو التياسر لان وجه الانسان مقوس لانه يبقى شئ من جوانب وجهه مقابلا للقبلة وذلك عند زيادة البعد منها ولو جعل الكعبة عن يمينه أو يساره فلا يجوز بالاتفاق اذ لا شك حينئذ فى خروجه عن الجهة بالكلية لانه لم يقع فيما بين خطين من قاعدة مثلث وهذه صورته

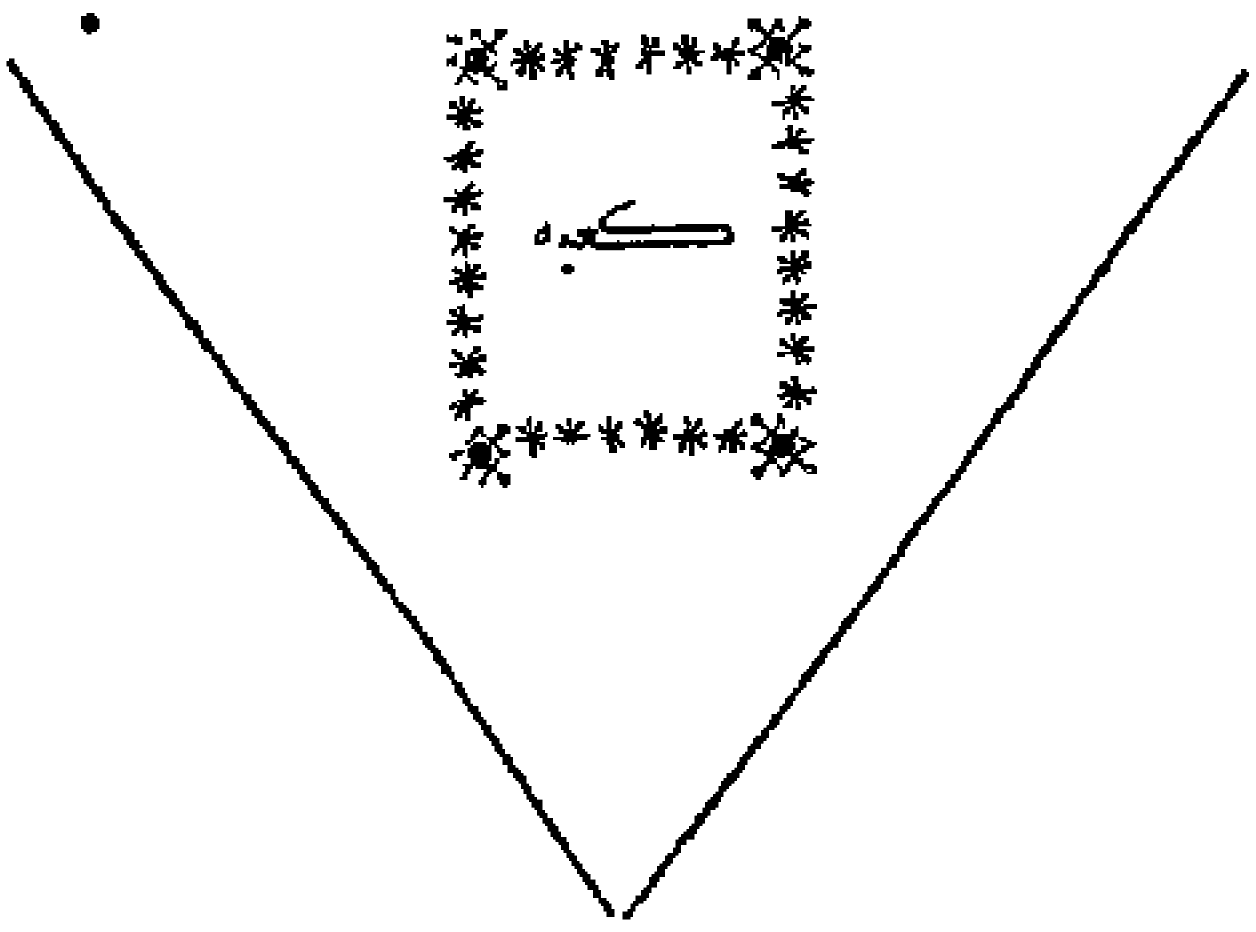

وتحسرت تحسرا لا آخر له وعند الصباح يحمد القوم السرى وعند الموت يأتيك الخبر اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين واذا أرشدناك الى ترتيب الاوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما وآداب الامامة والقدوة والجمعة

(آداب الصلاة)

فاذا فرغت من طهارة الحدث وطهارة الخبث فى البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة فاستقبل القبلة

فاذا أرادمعرفة الجهة فلينظر فى مغرب الصيف فى أطول أيامه ومغرب الشتاء فى أقصر أيامه فليدع الثلثين فى الجانب الايمن والثلث فى الايسر والقبلة عندذلك ولولم يفعل هكذا وصلى فيما بين المغربين جاز اه ثم اذا أرادمعرفة عين القبلة لاهل الجاوة فليعلم أولا خط الاستواء من المشرق الى المغرب ثم ليجعل عليه أشياء متساوية كالفلوس مصفوفة من جهة المغرب الى جهة المشرق بأربعة وستين شيأ وهومقدار فضل الطول بين مكة والجاوة ثم ليجعل من جهة المغرب الى جهة اليمين مصفوفا بواحد وعشرين وهوعرض مكة من خط الاستواء وليجعل من جهة المشرق الى جهة اليسار مصفوفا بستة فهومقدار عرض الجاوة ثم خط من آخر الستة الى آخر الواحد والعشرين فذلك ميل القبلة وهذه صورته

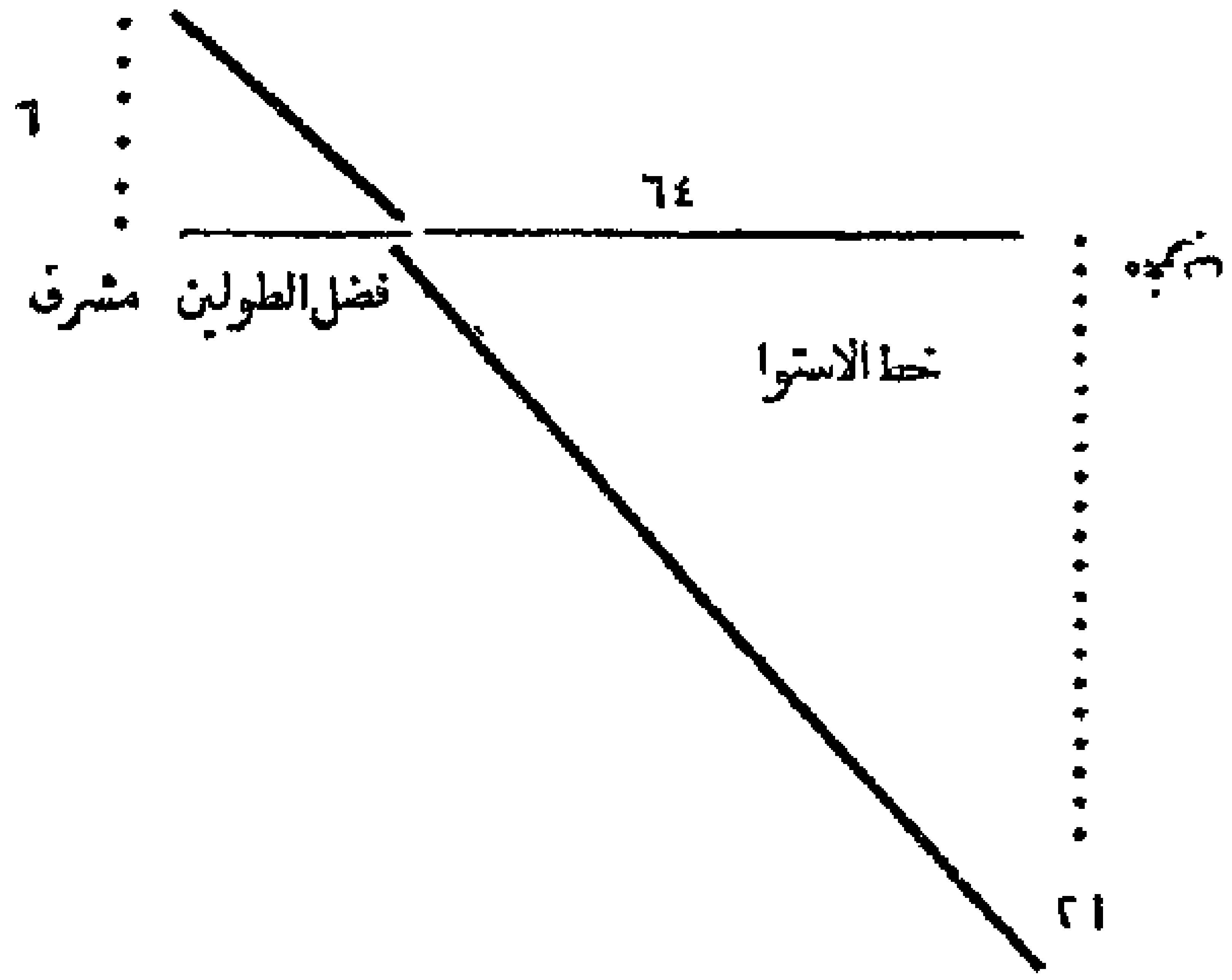

قائما مزاوجا بين قدميك بحيث لاتضمهما واستو قائما واقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان الرجيم وأحضر قلبك ما أنت فيه وفرغه من الوسواس وانظر بين يدى من تقوم ومن تناجى واستح أن تناجى مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات واعلم انه تعالى مطلع على سريرتك

(قائما) بالاعتماد على القدمين أو أحدهما (مزاوجا بين قدميك) بالزاى والالف ثم الجيم كما فى الاحياء أى جاعلا لهما مساماتا لا تتقدم احداهما على الاخرى ولاتسترخى عنها وبالحاء المهملة فى آخره وهذا هو الانسب أى مبعدا بينهما بقدر شبر (بحيث لاتضمهما) وقدنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة فالصفد هو اقتران القدمين معا والصفن هو رفع احدى الرجلين (واستو) بنصب الفقار (قائما) وأما الرأس فالافضل اطراقه لانه أقرب للخشوع وأغض للبصر (و) بعد استواء القيام (اقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا) أى تحفظا (بها) أى بهذه السورة (من الشيطان الرجيم وأحضر قلبك ما أنت فيه) وهذا هو المسمى بالخشوع (وفرغه) أى القلب (من الوسواس) أى حديث النفس لان التفريغ أعون على الخشوع (وانظر) أى تأمل (بين يدى من تقوم ومن تناجى) فى الصلاة وكيف تناجى وبماذا تناجى وعظم فى نفسك قدر المناجاة (واستح أن تناجى مولاك بقلب غافل) عما أنت فيه (وصدر مشحون) أى مملوء (بوساوس الدنيا) أو بتفكر فى أمور الآخرة كالجنة والنار فهذا مكروه أيضا على ما أدده الرملى (وخبائث الشهوات واعلم) فى الحال أنك قائم بين يدى الله تعالى و (أنه تعالى) أى مولاك (مطلع) أى عالم (على سريرتك) وهو

وناظر الى قلبك فانما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك واعبده فى صلاتك كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقدر ان رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر اليك ليعلم كيف صلاتك فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك ثم ارجع الى نفسك وقل يا نفس السوء ألا تستحين من خالقك ومولاك اذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك وليس بيده ضرك ولا نفعك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ثم انك تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو تعالى عندك أذل من عبد من عباده فما أشد طغيانك وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك وعالج قلبك بهذه الحيل فعساه أن يحضر معك فى صلاتك فانه ليس لك من صلاتك الا ما عقلت منها وأما ما أتيت به مع الغفلة والسهو فهو الى الاستغفار والتكفير أحوج واذا حضر قلبك فلا تترك الاقامة وان كنت وحدك وان انتظرت حضور جماعة فأذن ثم أقم فاذا أقمت فانو

ما تكلم فى قلبك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان (وناظر الى قلبك) ومثل فى صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك فان القلب اذا اشتغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة كذا فى عوارف المعارف (فانما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك) أى حضور قلبك (وخضوعك) أى سكون جوارحك (وتواضعك) أى تذللك (وتضرعك) أى تخاوصك فى الدعاء وقيل للصلاة أربع شعب حضور القلب وشهود العقل وخضوع النفس وخضوع الاركان فحضور القلب رفع الحجاب وشهود العقل رفع العتاب وخضوع النفس فتح الابواب وخضوع الاركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطئ ومن أتاها بلا خضوع الاركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف كذا فى عوارف المعارف وروى فى الخبر ليس للمرء من صلاته الا ما عقل وقد ورد فى الخبر أن من خشع فى صلاته وجبت له الجنة وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (واعبده) أى مولاك (فى صلاتك كأنك تراه) أى اعبده تعالى حال كونك فى صلاتك مثل حال كونك رائيا اياه فانك لو قدرت أنك تقف فى عبادة ربك وأنت تعاينه لم تترك شيئا مما تقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وجمع القلب والجوارح واجتماعك بظاهرك وباطنك الا أتيت به كما أفاده ابراهيم الشبرخيتى (فان لم تكن تراه) فاستمر على احسانك العبادة (فانه يراك) اذ هو المشاهد لكل أحد من خلقه فى حركته وسكونه (فان لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور) أى نقص (معرفتك بجلال الله تعالى فقدر) فى دوام قيامك فى صلاتك (أن رجلا صالحا من وجوه) أى أشراف (أهل بيتك ينظر اليك) بعين كالئة (ليعلم كيف صلاتك فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك) خيفة أن ينسبك ذلك الرجل العاجز الى قلة الخشوع (ثم بعد) احساسك من نفسك ذلك (ارجع الى نفسك) بالمعاتبة (وقل يا نفس السوء) انك تدعى معرفة الله وحبه (ألا تستحين من خالقك ومولاك اذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك وليس بيده ضرك ولا نفعك) ولا عقاب ولا ثواب (خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ثم انك) بكسر الهمزة (تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو تعالى عندك أذل) أى أصغر وأحقر (من عبد من عباده فما أشد طغيانك) أى عصيانك (وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك) لانك وقرت عبدا ذليلا ولا توقرين الله تعالى وتخشين الناس ولا تخشين الله تعالى وهو أحق أن تخشيه (وعالج) أى زاول وداو (قلبك بهذه الحيل) بكسر الحاء وفتح الياء جمع حيلة وهى الحذق فى تدبير الامور (فعساه) أى قلبك (أن يحضر معك فى صلاتك فانه) أى الشأن (ليس لك من صلاتك الا ما عقلت) أى تدبرت (منها وأما ما أتيت به) أى فى صلاتك من القراءة والاذكار (مع الغفلة والسهو) عما أنت فيه بأن لم يحضر قلبك (فهو الى الاستغفار والتكفير) أى فعل الكفارة من صدقة ونحوها (أحوج) لان فى صلاتك خللا لعدم حضور قلبك فالخشوع فى الصلاة ولو فى جزء منها واجب لكنه ليس شرطا لصحة الصلاة كما أفاده شيخنا أحمد النحراوى (فاذا حضر قلبك) أى بأن لم يكن غافلا (فلا تترك الاقامة وان كنت وحدك) لانها لافتتاح الصلاة وتطلب للفائتة المفروضة أيضا (وان انتظرت) أى رجوت (حضور جماعة) يصلون معك (فأذن ثم أقم) وهذا الكلام من أن الاذان لا يندب للمنفرد مبنى على القول القديم لان المقصود من الاذان الاعلام وهو منتف للمنفرد وهو ضعيف والجديد ندبه للمنفرد مع رفع الصوت بعمران أو صحراء وان بلغه أذان غيره لكن يكفى فى أذانه اسماع نفسه بخلاف أذان الاعلام (فاذا أقمت فانو) أى استحضر النية أى كل معتبر فيها من قصد ايقاع الصلاة وتعيين ذات وقت أو سبب ونية فرض ان كانت الصلاة فرضا ونية القصر للقاصر ونية القدوة مثلا للمأموم مع استحضار صورة الصلاة المركبة من الاركان واعلم أن الاستحضار نوعان استحضار حقيقى واستحضار عرفى فالحقيقى أن

يستحضر

يستحضر صورة الصلاة تفصيلا بأن يستحضر ذات الصلاة جزأ بعد جزء والعرفي أن يستحضر صورة الصلاة جملة واحدة ثم المقارنة نوعان حقيقية وعرفية فالحقيقية أن يقصد اية اع الصلاة المتصفة بانها ظهر مثلا ولا يغفل عن ذلك من أول التكبير الى آخره والعرفية أن يكون القصد المار مقترنا بجزء من التكبير فلا تضر الغفلة عنه في أثنائه ونقل العلماء عن الامام الشافعي أن الواجب عنده الاستحضار العرفي مع المقارنة الحقيقية واختار النووي تبعا لامام الحرمين الاكتفاء بالمقارنة العرفية مع الاستحضار العرفي هذا تلخيص ما في كشف النقاب للشيخ علي بن عبد البر الونائي (وقل في قلبك أؤدي فرض الظهر لله تعالى) لتميز بقولك أؤدي الاداء عن القضاء وبالفرض عن النفل وبالظهر عن غيره (وليكن ذلك) أي معاني هذه الالفاظ (حاضرا في قلبك عند تكبيرك) فانه هو النية والالفاظ أسباب لحضورها (و) اجتهد أن تستديم ذلك الى آخر التكبير بحيث (لا تعزب) أي لا تغيب (عنك النية) أي ذكرها (قبل الفراغ من التكبير) لانه الواجب عند الشافعي والاكمل عند امام الحرمين (و) اذا حضر في قلبك ذلك (ارفع يديك عند) ارادة (التكبير بعد ارسالهما أولا الى حذو منكبيك وهما) أي اليدان (مبسوطتان وأصابعهما منشورة ولا تتكلف ضمها) أي الاصابع (ولا تفريجها) بل اتركها على مقتضى طبعها كذا في الاحياء لكن قال ابن حجر كشيخ الاسلام ويسن كشف الكفين ونشر الاصابع وتفريقها وسطا (بحيث تحاذي بابهاميك شحمتي أذنيك وبرؤس أصابعك أعلى أذنيك وبكفيك منكبيك فاذا استقرتا) أي اليدان (في مقرهما) كما ذكر (فكبر) أي ابتدئ التكبير مع احضار النية المتقدمة كذا في الاحياء قال ابن حجر مع النووي والاصح أن الافضل في وقت الرفع أن يكون مع ابتداء التكبير وقال الونائي ويستحب انتهاء التكبير مع وضع اليدين (ثم أرسلهما) أي اليدين (برفق ولا تدفع يديك عند الرفع والارسال الى قدام دفعا ولا الى خلف رفعا) أي عند انتهاء التكبير (ولا تنفضهما) بضم الفاء (يمينا ولا شمالا) أي اذا فرغت من التكبير (فاذا أرسلتهما) بعد التكبير (فاستأنف رفعهما الى صدرك) بعد الارسال أو اذا أردت قراءة الفاتحة والافضل كما قال ابن حجر ويسن ارسالهما الى ما تحت الصدر أي مائلا الى جهة اليسار (وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى وانشر أصابع اليمنى) التي هي المسبحة والوسطى (على طول ذراعك اليسرى واقبض بها) أي بأصابع اليمنى التي هي الابهام والخنصر والبنصر (على كوعها) أي اليسرى كما قاله في الاحياء أي تقبض كوعك بابهامك وكرسوعك بخنصرك وبنصرك وترسل السبابة والوسطى جهة الساعد (وقل بعد التكبير) أي وبعد سكتة لطيفة بقدر سبحان الله سرا سواء كانت الصلاة فرضا أو نفلا (الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم اقرأ وجهت وجهي) أي أقبلت بذاتي (للذي فطر السموات والارض) أي خلقهما على غير مثال سابق (حنيفا) أي مائلا عن كل دين الى دين الاسلام (مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي (ومحياي ومماتي) أي احيائي واماتتي منسوبان (لله رب العالمين لا شريك له وبذلك) أي بالتوحيد والصلاة والنسك (أمرت وأنا من المسلمين) وان كنت خلف الامام فاختصر في دعاء الاستفتاح لخوف عدم ادراك الفاتحة قبل ركوع الامام (ثم) بعد سكتة لطيفة من ذلك (قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) سرا في كل ركعة لان التعوذ مطلوب عند ارادة القراءة (ثم) بعد سكتة لطيفة (اقرأ الفاتحة بتشديداتها) أي الاربع عشرة فلو خفف مشددا فقد أسقطت منه حرفا (واجتهد في الفرق بين الضاد والظاء في قراءتك في الصلاة) فلو أبدلت حرفا بحرف آخر كضاد بظاء وحاء بهاء لم تصح قراءة تلك الكلمة وكذا لو أبدلت ذال الذين المعجمة بالمهملة خلافا للزركشي ومن تبعه وان كنت متعمدا في اتيان ما يغير المعنى كابدال ضاد الضالين ظاء بطلت صلاتك وان كنت ساهيا في ذلك بطلت قراءتك لا صلاتك ان أعدت القراءة على الصواب ويسن لك السجود للسهو حينئذ أو لو أتيت

وقل في قلبك أؤدي فرض الظهر لله تعالى وليكن ذلك حاضرا في قلبك عند تكبيرك ولا تعزب عنك النية قبل الفراغ من التكبير وارفع يديك عند التكبير بعد ارسالهما أولا الى حذو منكبيك وهما مبسوطتان وأصابعهما منشورة ولا تتكلف ضمها ولا تفريجها بحيث تحاذي بابهاميك شحمتي أذنيك وبرؤس أصابعك أعلى أذنيك وبكفيك منكبيك فاذا استقرتا في مقرهما فكبر ثم أرسلهما برفق ولا تدفع يديك عند الرفع والارسال الى قدام دفعا ولا الى خلف رفعا ولا تنفضهما يمينا ولا شمالا فاذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما الى صدرك وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى وانشر أصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى واقبض بها على كوعها وقل بعد التكبير الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم اقرأ وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ثم قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ثم اقرأ الفاتحة بتشديداتها واجتهد في الفرق بين الضاد والظاء في قراءتك في الصلاة

وقل آمين ولا تصله بقولك ولا الضالين وصلا واجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء أعني في الركعتين الاولتين الا أن تكون مأموما واجهر بالتأمين * واقرأ في الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو والسماء ذات البروج وما قاربها من السور وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ولا تصل آخر السورة بتكبير الركوع ولكن افصل بينهما بمقدار سبحان الله وكن في جميع قيامك مطرقا قاصرا نظرك على مصلاك فذلك أجمع لهمك وأجدر لحضور قلبك واياك ان تلتفت يمينا وشمالا في صلاتك ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق ومد التكبير الى انتهاء الركوع ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعك منشورة وانصب ركبتيك ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويا كالصفيحة الواحدة وجاف مرفقيك عن جنبيك والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها الى بعض وقل سبحان ربي العظيم ثلاثا وان كنت منفردا فالزيادة الى سبع وعشر حسن * ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما وارفع يديك قائلا سمع الله لمن حمده فاذا استويت قائما فقل ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد وان كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية في اعتدالك من الركوع

بما لم يغير المعنى كابدال باء العالمين واوا وابدلت قراءتك لا صلاتك ان أعدت الكلمة على الصواب (وقل آمين) بعد قراءة الفاتحة لان تضمنها دعاء فاستحب أن يسأل الله اجابته سواء كان في الصلاة أم خارجا منها لكنه فيها أشد استحبابا (ولا تصله) أي آمين (بقولك ولا الضالين وصلا) بل افصل بينهما بسكتة لطيفة تمييزا للذكر عن القرآن ويسن في تلك السكتة أن تقول رب اغفر لي لوروده في الخبر (واجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء أعني) ندب الجهر (في الركعتين الاولتين الا أن تكون مأموما) فلا تجهر (واجهر بالتأمين) في الجهرية ولو كنت منفردا (واقرأ في الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال) بضم الطاء وكسرها (من المفصل) وأول المفصل الحجرات وآخره النبأ وطواله كسورة ق والمرسلات (وفي المغرب من قصاره) وهي من والضحى الى آخر القرآن (وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو والسماء ذات البروج وما قاربها من السور) وفي صبح الجمعة اذا اتسع الوقت الم تنزيل في الاولى وهل أتى في الثانية بكمالهما (وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد) وهما يسميان سورتي الاخلاص فسورة الكافرون لاخلاص العبادة والدين وقل هو الله أحد لاخلاص التوحيد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وقراءة السورة تندب لامام ومنفرد ومأموم لم يسمع قراءة امامه (ولا تصل آخر السورة بتكبير الركوع ولكن افصل بينهما بمقدار) قولك (سبحان الله) وتسن سكتة لطيفة أيضا بين آمين والسورة ان قرأها فان لم يقرأها فبين آمين والركوع ويسن للامام أن يسكت بعد تأمينه في الجهرية بقدر قراءة المأموم الفاتحة ان علم أنه يقرأها في سكتته وأن يشتغل فيها سرا بدعاء أو ذكر أو قراءة وهي أولى (وكن في جميع قيامك مطرقا) أي مرخيا جبينك (قاصرا نظرك على مصلاك) أي محل سجودك لو سجدت ولو كنت تصلي في الكعبة أو خلف نبي أو على جنازة وذلك من ابتداء التحرم الى آخر الصلاة (فذلك أجمع لهمك) أي لقلبك (وأجدر) أي أقرب (لحضور قلبك) نعم السنة أن يقصر نظره على مسبحته ما دامت مرتفعة بعد ان يشير بها عند قوله الا الله في التشهد ولو مستورة ولتكن منحنية متوجهة للقبلة ويستمر كذلك الى القيام من التشهد الاول أو السلام في التشهد الاخير (واياك أن تلتفت) بوجهك بلا حاجة (يمينا وشمالا في صلاتك) ولو قصدت اللعب بالتفاتك بطلت صلاتك (ثم كبر للركوع وارفع يديك) مع ابتداء التكبير ولا تدم الرفع الى انتهائه (كما سبق) في تكبيرة التحرم من أنه يسن رفع اليدين فيه (ومد التكبير الى انتهاء الركوع) أي الى وصول حده لئلا يخلو جزء من الصلاة عن ذكر (ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعك منشورة) أي مفرقة وسطا موجهة لجهة القبلة على طول الساق بأن لا تحرف شيأ منها عن جهتها يمنة ويسرة (وانصب ركبتيك) مفرقتين بقدر شبر (ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويا كالصفيحة) بالفاء ثم الحاء اى اللوح (الواحدة) فلا يكون رأسك أخفض ولا أرفع (وجاف مرفقيك عن جنبيك) وبطنك عن فخذيك (والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها الى بعض) فتلصق مرفقيها بجنبيها (وقل سبحان ربي العظيم) اى الكامل ذاتا وصفة (ثلاثا وان كنت منفردا فالزيادة) من الثلاث (الى سبع و) الى (عشر حسن) والاتيان بتسبيحة واحدة يحصل السنة لكنه مكروه (ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما وارفع يديك) مع ابتداء رفع رأسك (قائلا سمع الله لمن حمده) اللام زائدة للتأكيد (فاذا استويت قائما) فارسل يديك (فقل ربنا لك الحمد) حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه (ملء السموات وملء الارض) وملء ما بينهما (وملء ما شئت من شيء بعد) ولا تطول الاعتدال الا في صلاة التسبيح (وان كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية في اعتدالك من الركوع) ويحصل القنوت بكل كلام تضمن دعاء وثناء كاللهم اغفر لي يا غفور لكن الافضل قنوت النبي صلى الله عليه وسلم وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك وانه

لا

لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت ويستحب أن يقول عقب هذا الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم هكذا في الاذكار (ثم اسجد مكبرا غير رافع اليدين) وابتدئ التكبير مع ابتداء الهوي واختمه مع ختمه (وضع أولا على الارض ركبتيك) مفرقتين بقدر شبر (ثم يديك) أي كفيك مكشوفتين ناشرا أصابعك مضمومة موجهة للقبلة لانها أشرف الجهات (ثم جبهتك مكشوفة وضع أنفك) مكشوفا (مع الجبهة) وكشف الجبهة الملتصقة بالمصلي واجب وكشف غيرها مندوب وكشف الركبتين مكروه وترك الترتيب في وضع هذه الاعضاء مكروه (وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل) اي ارفع (بطنك عن فخذيك) لان ذلك أبلغ في تمكين الجبهة والانف من محل سجوده وابعد من هيئة الكسالى (والمرأة لا تفعل ذلك) ومثلها الخنثى لانه أستر لها وأحوط وكذلك الرجل العاري (وضع يديك على الارض حذو منكبيك ولا تفرش) بضم الراء ويجوز كسرها (ذراعيك على الارض) كما يفترش الكلب (وقل سبحان ربي الاعلى) والاعلى أبلغ من العظيم فجعل في السجود الذي هو أشرف من الركوع وأبلغ منه في التواضع والخضوع (ثلاثا أو سبعا أو عشرا ان كنت منفردا) وكذا اذا كنت مقتديا وأطال الامام السجود لان الصلاة لا سكوت فيها أما لو كنت اماما فلا تزد على الثلاث (ثم ارفع رأسك من السجود) بلا رفع ليديك (مكبرا حتى تعتدل) أي تستوي (جالسا) مطمئنا (واجلس على) كعب (رجلك اليسرى) بحيث يلي ظهرها الارض (وانصب قدمك اليمنى وضع يديك) أي كفيك ندبا (على فخذيك) قريبا من ركبتيك بحيث تسامتهما رؤس الاصابع (والاصابع منشورة) ولا تتكلف ضمها ولا تفريجها ولا يضر ادامة وضع الكفين على الارض الى السجدة الثانية (وقل رب اغفر لي وارحمني وارزقني) أي اعطني من خزائن فضلك ما قسمته لي في الازل حلالا (واهدني واجبرني) أي من الذل أو اغنني (وعافني) أي ادفع عني كل ما أكره من بلاء الدنيا والآخرة (واعف عني) وفي الاذكار روى البيهقي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع رأسه من السجدة قال رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وفي رواية أبي داود وعافني انتهى ولا تطول هذه الجلسة الا في صلاة التسبيح (ثم اسجد سجدة ثانية كذلك) أي كالاولى في جميع مامر (ثم اعتدل) أي استو (جالسا) جلسة خفيفة ولو كنت في نفل وان كنت قويا (للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها) باعتبار ارادتك ولا يضر تخلف المأموم لاجل هذا الجلوس لانه يسير بل اتيانه به حينئذ سنة وهذا فاصل ليس من الاولى ولا من الثانية ولا يسن هذا بعد سجود تلاوة (ثم تقوم) من السجود وقعود الاستراحة (وتضع اليدين على الارض) معتمدا على بطن راحتيه او أصابعهما (ولا تقدم احدى رجليك في حالة الارتفاع) أي على الاخرى (وابتدئ بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ومدها) أي التكبيرة (الى انتصاف ارتفاعك الى قيامك) بأن تستغرق ما بين وسط ارتفاعك من القعود الى وسط ارتفاعك الى القيام بحيث يكون هاء الله عند استوائك جالسا وكاف اكبر عند اعتمادك على اليد للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعك الى القيام وتبتدئ التكبيرة في وسط ارتفاعك الى القيام حتى تقع التكبيرة في وسط انتقالك ولا تخلو عنها الا طرفه وهو أقرب الى التعظيم ولا تمدها مدا تزيد على سبع ألفات فان ذلك مضر لان المد لا يزيد على ذلك (ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة) أي قليلة (مختطفة) أي سريعة فلا تجوز تطويلها كالجلوس بين السجدتين كما قاله ابن حجر ثم قال عمرا البصري وتطويلها يحصل بقدر زمن يسع أقل التشهد فقط الا ذكرها حتى يعتبر أو بزيادة على قدر الجلوس بين السجدتين ولعل الحكمة في عدم مشروعية الذكر فيها كون القصد بها الاستراحة فخفف على المصلي بعدم أمره بتحريك شيء من الاعضاء أو كون مشروعية مد التكبير مستغرقا للذكر انتهى ولا تسن هذه الجلسة لقاعد كما قال ابن حجر

ثم اسجد مكبرا غير رافع اليدين وضع أولا على الارض ركبتيك ثم يديك ثم جبهتك مكشوفة وضع أنفك مع الجبهة وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل بطنك عن فخذيك والمرأة لا تفعل ذلك وضع يديك على الارض حذو منكبيك ولا تفرش ذراعيك على الارض وقل سبحان ربي الاعلى ثلاثا أو سبعا أو عشرا ان كنت منفردا * ثم ارفع رأسك من السجود مكبرا حتى تعتدل جالسا واجلس على رجلك اليسرى وانصب قدمك اليمنى وضع يديك على فخذيك والاصابع منشورة وقل رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ثم اسجد سجدة ثانية كذلك ثم اعتدل جالسا للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقبها ثم تقوم وتضع اليدين على الارض ولا تقدم احدى رجليك في حالة الارتفاع وابتدئ بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ومدها الى انتصاف ارتفاعك الى قيامك ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة

وصل الركعة الثانية كالاولى وأعد التعوذ فى الابتداء ثم اجلس فى الركعة الثانية للتشهد الاول وضع اليد اليمنى فى التشهد الاول على الفخذ اليمنى مقبوضة الاصابع الا المسبحة والابهام فترسلهما وانشر مسبحتك عند قولك الا الله لاعند قولك لا اله وضع اليد اليسرى منشورة الاصابع على الفخذ اليسرى واجلس على رجلك اليسرى فى هذا التشهد كما بين السجدتين وفى التشهد الاخير متوركا واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم واجلس فيه على وركك الايسر وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك وانصب القدم اليمنى ثم قل بعد الفراغ السلام عليكم ورحمة الله مرتين من الجانبين والتفت بحيث يرى بياض خديك من جانبيك وانو الخروج من الصلاة وانو السلام على من على جانبيك من الملائكة والمسلمين وهذه هيئة صلاة المنفرد وعماد الصلاة الخشوع وحضور القلب مع القراءة والذكر بالتفهم

والرملى (وصل الركعة الثانية كالاولى) أى فى وضع اليدين تحت الصدر وفى قراءة الفاتحة والسورة وفى قصر النظر الى موضع السجود (وأعد التعوذ فى الابتداء) أى ابتداء القيام لانه يسن للقراءة ولا تعد الاستفتاح (ثم) بعد تمام السجدة الثانية (اجلس فى الركعة الثانية للتشهد الاول وضع اليد اليمنى فى جلوس التشهد) أى مطلقا (على الفخذ اليمنى مقبوضة الاصابع) بعد وضعها عند الركبة أولا منشورة (الا المسبحة والابهام فترسلهما) وعبارة الاحياء ولا باس بارسال الابهام أيضا (وانشر مسبحتك) وحدها مع امالتها قليلا لئلا تخرج عن سمت القبلة (عند) همزة (قولك الا الله لا عند) لام (قولك لا اله) قاصدا من ابتدائك بهمزة الا الله أن المعبود واحد فتجمع فى توحيدك بين اعتقادك وقولك وفعلك (وضع اليد اليسرى منشورة الاصابع) بضمها حتى الابهام بأن لا تفرج بينهما لتتوجه كلها الى القبلة (على الفخذ اليسرى) بحيث تسامت رؤسها أول الركبة (واجلس على) كعب (رجلك اليسرى) بعد ان تضجعها بحيث يلى ظهرها الارض وانصب قدمك اليمنى وضع بطون أطراف أصابعها على الارض متوجهة للقبلة ولو كنت فى الكعبة (فى هذا التشهد كما بين السجدتين) وكالجلوس للاستراحة (وفى التشهد الاخير متوركا واستكمل الدعاء المعروف) أى المشهور بين الناس فقوله فى التشهد الاخير متعلق بقوله استكمل (المأثور) أى المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم) نحو اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا كبيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم (واجلس فيه) أى التشهد الاخير (على وركك الايسر) بأن تلصقه بالارض لانك لست مستوفزا للقيام بل أنت مستقر (وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك) أى من جهة يمينك (وانصب القدم اليمنى) وضع رأس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليك ومحل ندب التورك فى الجلوس الاخير اذا لم يعقبه سجود سهو أريد فعله (ثم قل بعد الفراغ) من الادعية التى تطلب فى التشهد (السلام عليكم ورحمة الله) ولا يستحب أن تقول معه وبركاته لانه خلاف المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان قد جاء فى رواية لابى داود كذا فى الاذكار تقول ذلك (مرتين من الجانبين) وافصل بينهما (والتفت) فيهما بوجهك فقط الى الجانبين (بحيث يرى بياض) أى حوزة (خديك من جانبيك) بأن تلتفت فى المرة الاولى حتى يرى من وراءك خدك الايمن وفى المرة الثانية حتى يرى من خلفك خدك الايسر ولو سلمت الاولى شمالا سلمت الثانية يمينا عند ابن قاسم وشمالا أيضا عند الشبراملسى ويسن ابتداء السلام فى كل مستقبلا للقبلة وانتهاؤه مع تمام الالتفات (وانو الخروج من الصلاة) أى اقصد التحلل منها بالتسليمة الاولى فان نويت قبلها بطلت الصلاة أو مع الثانية أو أثناء الاولى فاتت السنة ولو سلم المتطوع الذى نوى عددا واقتصر على بعضه أثناء صلاته قصدا فان قصد التحلل فقد نوى الاقتصار على بعض مانوى وان سلم عمدا ولم يقصد التحلل بطلت صلاته فلا بد من قصد التحلل أو الاقتصار على أقل مما نواه فلو نوى بالتسليمة الخروج من صلاة الظهر وهو فى العصر بطلت الصلاة ان تعمد كذا أفاده الونائى (وانو السلام على من على جانبيك من الملائكة والمسلمين) من انس وجن فتنوى بمرة اليمين على من على يمينك وبمرة اليسار على من على يسارك وعلى من خلفك وأمامك بأيهما شئت والاولى أولى وسن الرد من غير المصلى ولا يجب الرد لانصراف السلام للتحلل (وهذه هيئة صلاة المنفرد) وسيأتى قريبا صفة صلاة الجماعة زائدة على هذه الصفة (وعماد الصلاة الخشوع) بسكون الجوارح فلا يعبث بعضو منها وبحضور القلب ومما يحصله استحضاره أنه بين يدى الله ملك الملوك وأنه يعلم السر وأخفى وأنه يناجيه وأنه ربما تجلى عليه بالقهر لعدم قيامه بحق ربوبيته فيرد عليه صلاته (وحضور القلب مع القراءة والذكر بالتفهم) أى التأمل

فى الجملة لا المبالغة فيه لانه يشغله عما هو بسلوكه فى طريقه (وقال الحسن البصرى) وهو من أكبر التابعين (رحمه الله تعالى كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع) وحكى أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء فقال اذا دخلت الصلاة فهب لى من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فانى قريب (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلى الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل) أى تدبر (منها) وفى الحديث الذى رواه ابن ماجه عن أبى هريرة ان العبد اذا صلى فى العلانية فأحسن وصلى فى السر فأحسن قال الله تعالى هذا عبدى حقا والمعنى أن العبد اذا صلى فرضا أو نفلا حيث يراه الناس فأحسن الصلاة بأن أتى بما يطلب فيها ولم يراء بها وصلى حيث لا يراه أحد فأحسن الصلاة بأن أتى بأركانها وشروطها ومستحباتها من خشوع ونحوه أو كان واقفا عند حدود الله ممتثلا أوامره مجتنبا المناهيه أثنى الله عليه ونشر ثناءه بين الملائكة فيحبونه ثم تقع محبته فى قلوب أهل الارض فهذا هو العبد الذى يوصف بأنه قائم على قدم الطاعة فهو العبد حقا

(آداب الامامة والقدوة)

بكسر القاف ويجوز ضمها كذا قاله الرشيدى كما فى الصحاح وعكس ذلك فى المصباح (ينبغى) أى يطلب (للامام) آداب ثمانية الاول (أن يخفف الصلاة) أى فى قراءة السورة وان روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ فى الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين آية وفى العصر بنصف ذلك وفى المغرب بأواخر المفصل وروى أن آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة فالتخفيف أولى لا سيما اذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (قال أنس بن مالك رضى الله عنه) وكان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين (ما صليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم و) الثانى (لا يكبر) أى الامام (ما لم يفرغ المؤذن من الاقامة وما لم تستو الصفوف) فيلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا أمر بالتسوية والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس للصلاة لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن مدافعة الاخبثين وأمر بتقديم العشاء طلبا لفراغ القلب (و) الثالث (يرفع الامام صوته بالتكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع) بضم الياء وكسر الميم أى المأموم (نفسه و) الرابع (ينوى الامام الامامة لينال الفضل) أى فضل الجماعة (فاذا لم ينو) الامامة (صحت) صلاته منفردا وصحت (صلاة القوم) المأمومين (اذا نووا الاقتداء به) أى بذلك الامام (ونالوا فضل القدوة) فان ترك المأموم هذه النية أو شك فيها وتابعه فى فعل أو سلام بعد انتظار كثير للمتابعة بطلت صلاته لانه وقفها على صلاة غيره بلا رابطة بينهما (و) الرابع (يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد) أى وكالمأموم أيضا (ويجهر بالفاتحة والسورة) بعدها (فى جميع) ركعتى (الصبح وأولتى المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية) أى ومثله المنفرد (وكذلك المأموم) على الصحيح سواء كان الجمع قليلا أو كثيرا وكذلك لقراءة امامه لا لقراءة نفسه ولا يسن التأمين للمأموم لقراءة الامام فى السرية وان جهر الامام بذلك (ويقرن) بضم الراء على الافصح وقد تكسر (المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا) أى لا بعده ولا قبله وليس فى الصلاة موضع يستحب أن يقترن فيه قول المأموم الا فى قوله آمين وأما فى باقى الاقوال فيتأخر قول المأموم عن قول الامام ويجهر الامام والمنفرد ببسم الله الرحمن الرحيم (و) الخامس (يسكت الامام سكتة) لطيفة فى السرية (عقب الفاتحة ليثوب) أى يرجع (اليه نفسه) بفتح الفاء بعد ذهابه وسكتة طويلة فى الجهرية بقدر قراءة المأموم الفاتحة باعتبار الوسط المعتدل (ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلى الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل منها

(آداب الامامة والقدوة)

ينبغى للامام أن يخفف الصلاة قال أنس بن مالك رضى الله عنه ما صليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر ما لم يفرغ المؤذن من الاقامة وما لم تستو الصفوف ويرفع الامام صوته بالتكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوى الامام الامامة لينال الفضل فاذا لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء به ونالوا فضل القدوة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولتى المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا له ويسكت الامام سكتة عقب الفاتحة ليثوب اليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية

في هذه السكتة) للامام وانما يسكت الامام بقدر ذلك (ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام) للسورة فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم ويقرؤن الفاتحة معه لان الحالة حالة عذر والمقصر هو الامام وان لم يقرؤا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه (ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية) فذلك مكروه (الا اذا لم يسمع صوت الامام) لبعده أو صمم أو سماع صوت غير مفهوم أو اسرار امامه ولو في الجهرية فيقرأ ندبا سورة فأكثر الى أن يركع الامام لان الصلاة لا سكوت فيها بغير المشروع (و) السادس (لا يزيد الامام على ثلاث في تسبيحات الركوع والسجود) نعم روى أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع أحسن فاذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات كذا في الاحياء (و) السابع (لا يزيد في التشهد الاول بعد قوله اللهم صل على محمد) فان الصلاة على الآل فيه لا تسن على الصحيح لانه مبنى على التخفيف أما المأموم فيسن له أن يشتغل بالدعاء اذا فرغ من التشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الامام (و) الثامن (يقتصر) أي الامام (في الركعتين الاخيرتين على الفاتحة) ومثله المنفرد أما المأموم فيسن له أن يقرأ السورة في الثالثة والرابعة اذا فرغ من الفاتحة قبل الامام اذ لا معنى لسكوته (ولا يطول) أي الامام (على القوم) ثم فسر ذلك بقوله (ولا يزيد دعاءه في التشهد الاخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم) بل الافضل أن يكون الدعاء أقل منهما لانه تبع لهما والزيادة على قدرهما تكره على الامام ولا تضر على غيره (وينوى الامام عند التسليم) مع نية التحلل (السلام) أي ابتداءه (على القوم) ويشترط أن لا يقصد غير السلام فقط (وينوى القوم بتسليم جوابه) أي الامام أي الرد عليه زيادة على الابتداء فينوى رد السلام منهم من على يمينه بالتسليمة الثانية ومن على يساره بالاولى ومن خلفه بأيهما شاء وبالاولى أفضل وينوى أيضا بعض المأمومين الرد على بعض وسن للمأموم أن لا يسلم الا بعد فراغ الامام من تسليمتيه ولو ترك السنة بأن سلم قبل سلام امامه الثانية سن للامام الرد عليه (ويلبث الامام) مكانه (ساعة بعد ما يفرغ من السلام) وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام (ويقبل على الناس بوجهه) قال شيخ الاسلام ولو مكث بعد الصلاة لذكر ودعاء فالافضل جعل يمينه اليهم ويساره الى المحراب للاتباع رواه مسلم أي في غير مسجده صلى الله عليه وسلم أما فيه فيجعل يمينه اليه تأدبا معه صلى الله عليه وسلم وعند أبي حنيفة يجعل وجهه لهم كما قاله عطية والبجيرمي (ولا يلتفت) وفي نسخة ويلبث وهذه موافقة للاحياء وفتح الوهاب (ان كان خلفه نساء لينصرفن أولا) وسن لهن الانصراف عقب سلام الامام لان الاختلاط بهن مظنة الفساد (ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الامام) فقيام المأموم قبل انتقال الامام مكروه (وينصرف الامام) من مكان الصلاة الى مكان آخر ولو في أثناء المسجد أو من المسجد الى الطريق (حيث شاء عن يمينه أو شماله واليمين أحب الى) لان جهة اليمين أفضل (ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح) فلا يقول اللهم اهدني (بل يقول اللهم اهدنا) أي وهكذا الخبر الذي رواه الترمذي لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم أي انتقص ثوابهم بتفويته ما طلب لهم فيكره ذلك أما ما ورد النص بافراد الدعاء في غير القنوت فيفرد (ويجهر) أي الامام (به) أي القنوت ولو في السرية على الصحيح (ويؤمن القوم) للدعاء جهرا اذا سمعوا قنوت الامام واذا لم يسمعوه قنتوا سرا (ولا يرفعون أيديهم اذ لم يثبت ذلك في الاخبار) وهذا ضعيف بل الصحيح سن رفع اليدين في جميع القنوت والصلاة والسلام بعده

في هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية الا اذا لم يسمع صوت الامام ولا يزيد الامام على ثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الاول بعد قوله اللهم صل على محمد ويقتصر في الركعتين الاخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد دعاؤه في التشهد الاخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوى الامام عند التسليم السلام على القوم وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويلبث الامام ساعة بعدما يفرغ من السلام ويقبل على الناس بوجهه ولا يلتفت ان كان خلفه نساء لينصرفن أولا ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الامام وينصرف الامام حيث شاء عن يمينه أو شماله واليمين أحب الى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا ويجهر به ويؤمن القوم ولا يرفعون أيديهم اذ لم يثبت ذلك في الاخبار

وقد روى حديث في رفع اليدين في القنوت وفارق الدعوات في آخر التشهد حيث لا يرفع بسببها اليدان لان لهما وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء كذا في الاحياء والتحفة ولا يندب مسح اليدين بعده في الصلاة ويندب خارجها (ويقرأ المأموم بقية القنوت من قوله انك تقضي ولا يقضى عليك) سرا لانه ثناء فلا يليق به التأمين بل يقرأ مع الامام فيقول مثل قوله وهو أولى أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو يقول أشهد أو يسكت مستمعا لامامه ويؤمن المأموم بعد الصلاة على النبي على المعتمد لانها دعاء (ولا يقف المأموم وحده) أي منفردا عن صف من جنسه (بل يدخل في الصف) ان وجد سعة بأن كان لو دخل فيه وسعه من غير الحاق مشقة لغيره وان لم تكن فيه فرجة (أو يجر الى نفسه غيره) أي يجر بعد احرامه لا قبله من الصف ليصطف معه خروجا من الخلاف في بطلان الصلاة بالانفراد عن الصف قال به الامام أحمد وابن المنذر وابن خزيمة والحميدي واعلم أن شروط الامام ستة عشر الاول التمييز والثاني العقل والثالث الاسلام والرابع الذكورة فيمن أم الرجل أو الخنثى والخامس أن يكون مكلفا اذا كان امام الجمعة وكان من الاربعين والسادس عدم لزوم الاعادة في حقه كمتيمم لنحو برد ومتيمم لعدم الماء في محل يغلب فيه وجود الماء وفاقد الطهورين والسابع أن لا يكون مخالفا بلا اجتهاد ان احتاج اليه في الاواني أو الثياب أو القبلة فصلاة ذلك باطلة تلزمه الاعادة والثامن معرفة كيفية الصلاة والتاسع أن لا يكون لاحنا لحنا يغير المعنى في الفاتحة والعاشر أن لا يكون أخرس وان كان المقتدي أخرس أيضا والحادي عشر أن لا يكون أميا وهو من لا يحسن الفاتحة والمأموم قارئ والثاني عشر أن لا يكون تابعا لغيره والثالث عشر أن لا يكون مرتكب بدعة يكفر بها والرابع عشر أن يكون ظاهر الافعال للمأموم ليتمكن من متابعته والخامس عشر اجتماع شروط الصلاة في الامام يقينا أو ظنا من طهارة وستر عورة واجتناب نجاسة غير معفو عنها والسادس عشر نية الامامة فيما تجب فيها نيتها وهي الجمعة المعادة والمجموعة بالمطر والمنذورة جماعة كالعيد ونحوه بأن نذر شخص أن يصلي ذلك جماعة ثم يصلي اماما فتجب نية الامامة (ولا ينبغي) أي لا يليق (للمأموم أن يتقدم على الامام في أفعاله أو يساويه) أي يقارنه في تلك (بل ينبغي) أي يطلب (أن يتأخر عنه ولا يهوي) بكسر الواو أي المأموم (للركوع الا اذا انتهى) أي وصل (الامام الى حد الركوع ولا يهوي للسجود ما لم تصل جبهة الامام الى الارض) واعلم أن شروط المأموم تسعة الاول المتابعة بأن يتابع امامه في الافعال فلا يسبقه بركنين فعليين ولو غير طويلين عامدا عالما بالتحريم ولا يتخلف عنه بهما بلا عذر والثاني أن ينوي الاقتداء بالامام أو الجماعة أو الائتمام في غير الجمعة مطلقا وفيها مع التحرم لان التبعية عمل فافتقرت الى نية ومثل الجمعة كل ما وجبت فيه الجماعة والثالث موافقة المأموم امامه في سنن تفحش مخالفته فيها فعلا وتركا كسجدة تلاوة والرابع تيقن تقدم احرام امامه على جميع تحرمه والخامس أن يكون عالما بانتقالات الامام ليتمكن من متابعته والسادس أن لا يكون سابقا امامه فيما اعتمد دليله والسابع أن لا يعتقد بطلان صلاة امامه ولو شك الشافعي في اتيان المخالف كحنفي بالواجبات عند المأموم لم يؤثر في صحة الاقتداء به تحسينا للظن به في توقي الخلاف ولو علم ترك الامام البسملة لم تصح قدوة الشافعي به ولو كان الامام المقتدى به اماما أعظم كما قاله محمد السماوردي والثامن اجتماع الامام والمأموم في الموقف والتاسع توافق نظم صلاة الامام والمأموم في الافعال الظاهرة

(آداب الجمعة)

بضم الميم وهي لغة الحجاز وبفتحها وهي لغة تميم والسكون لغة عقيل وهذه اللغات اذا كان المراد بالجمعة اليوم

ويقرأ المأموم بقية القنوت من قوله انك تقضي ولا يقضى عليك ولا يقف المأموم وحده بل يدخل في الصف أو يجر الى نفسه غيره ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم على الامام في أفعاله أو يساويه بل ينبغي أن يتأخر عنه ولا يهوي للركوع الا اذا انتهى الامام الى حد الركوع ولا يهوي للسجود ما لم تصل جبهة الامام الى الارض

(آداب الجمعة)

أما اذا أريد بها الاسبوع فبالسكون لاغير كما اذا طلت صمت جمعة أى أسبوعا (اعلم أن الجمعة عيد) من أعياد (المؤمنين) وهي أفضل الصلوات ويومها أفضل أيام الاسبوع وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الاضحى أما يوم عرفة فهو أفضل منها خلافا للامام أحمد (وهو يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الامة) المحمدية وفى الخبر ان لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أوليلة الجمعة كتب له أجر شهيد ووقى فتنة القبر (وفيه) أى فى يوم الجمعة (ساعة مبهمة) أى أخفاها الله تعالى فيه (لا يوافقها) أى لا يصادفها (عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها) أى فى تلك الساعة (حاجة) من حوائج الدين والدنيا (الا أعطاه) الله تعالى (اياها) أى الحاجة الا بعين المسؤل قال بعضهم ساعة الاجابة فى آخر النهار لان الله تعالى خلق آدم عليه السلام بعد العصر فى يوم الجمعة ولان اليمين تغلظ بعد عصر الجمعة وقال القاضى عياض ساعة الاجابة مختطفة أى يسيرة منحصرة فيما بين أن يجلس الامام على المنبر الى سلامه من الصلاة أى لا تخرج عن هذا الوقت وليس المراد أنها مستغرقة لما بين الجلوس وآخر الصلاة لانها لحظة لطيفة ثم ذكر المصنف من آداب الجمعة هناسبعة الاول مذكور بقوله (فاستعد لها) أى الجمعة (من يوم الخميس بتنظيف الثياب) واستعداد الطيب ان لم يكن عندك (وبكثرة التسبيح والاستغفار) أى والدعاء (عشية الخميس) أى بعد العصر فى ذلك اليوم (فانها ساعة توازى) تقابل (فى الفضل ساعة) الاجابة المبهمة فى (يوم الجمعة) قال بعض السلف ان لله تعالى فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة (وانو صوم يوم الجمعة لكن مع الخميس أو السبت اذ جاء فى افرادها) أى يوم الجمعة بالصوم (نهى) قال صلى الله عليه وسلم لا يصم أحد يوم الجمعة الا أن يصوم قبله أو يصوم بعده رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم والثانى مذكور بقوله (فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل) فان وقت غسل الجمعة يدخل بذلك فان لم تبكر الى المسجد فتقريبه الى ذهابك أفضل لتكون أقرب عهدا بالنظافة (فان غسل الجمعة واجب على كل محتلم) أى أمر (ثابت مؤكد) على كل من بلغ مبالغ الرجال وانما لم يجب الغسل للخبر الذى رواه أبو داود وغيره من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل وقوله فبها أى فبالطهر يقتحم ونعمت الطهر يتقدم الوضوء والثالث مذكور بقوله (ثم تزين بالثياب البيض) وهى أفضل الثياب فى كل زمن حيث لا عذر كما قال المصنف (فانها أحب الثياب الى الله تعالى) لقوله صلى الله عليه وسلم البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم رواه الترمذى (واستعمل من الطيب أطيب ما عندك) سوى الزباد لانه طيب التسامع كون أحد يقول بنجاسته لتغلب به الروائح الكريهة ويوصل به الرائحة الى مشام الحاضرين فى جواره وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه (وبالغ فى تنظيف بدنك بالحلق) لنحو ابط وعانة اذا لم ترد التضحية فى عشر ذى الحجة أما حلق الرأس فباح الا ان تأذى ببقاء شعره أوشق عليه تعهده فيندب (والقص) أى للشارب حتى تبدو حمرة الشفة ويكره استئصاله (والتقليم) أى للاظفار والافضل فى التقليم لليدين أن يبدأ فى اليمنى بالسبابة الى الخنصر ولاء ويختم بابهامها وفى اليسرى يبدأ بالخنصر ويختم بالابهام على التوالى وفى الرجلين أن يبدأ من خنصر اليمنى الى خنصر اليسرى على الولاء (والسواك وسائر أنواع النظافة وتطييب الرائحة) وهو بالمسك أفضل الا ان كنت محرما فيجب الترك أو صائما فيكره لك الطيب قال الشافعى رضى الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله أى فهمه والرابع مذكور بقوله (ثم بكر الى الجامع) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وهو مندوب لغير امام خطيب ومعذور كمن به سلس بول ولو بالقصد من فرسخين وثلاث لمن عادتهم الجلوس فى المسجد أما الامام فيسن له التأخير الى وقت الخطبة (واسع) أى امض واحضر (اليه) أى الجامع

اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين وهو يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الامة وفيه ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها حاجة الا أعطاه اياها فاستعد لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب وبكثرة التسبيح والاستغفار عشية الخميس فانها ساعة توازى فى الفضل ساعة يوم الجمعة وانو صوم يوم الجمعة لكن مع الخميس أو السبت اذ جاء فى افرادها نهى فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل فان غسل الجمعة واجب على كل محتلم أى ثابت مؤكد ثم تزين بالثياب البيض فانها أحب الثياب الى الله تعالى واستعمل من الطيب أطيب ما عندك وبالغ فى تنظيف بدنك بالحلق والقص والتقليم والسواك وسائر أنواع النظافة وتطييب الرائحة ثم بكر الى الجامع واسع اليها

وفي نسخة اليها أي الجمعة (على الهينة) بكسر الهاء أي الرفق (والسكينة) أي التأني في المشي والحركات واجتناب العبث وحسن الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات نعم ان لم يدرك الجمعة الا بالسعي وقد أطاقه وجب وان لم يلق به (فقد قال صلى الله عليه وسلم من راح) الى الجمعة أي ودخل في المسجد (في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة) أي واحدا من الابل (ومن راح) أي جاء الى المسجد (في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة) وهي تقع على الذكر والانثى وتاؤها للوحدة كالبدنة (ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا) وهو ذكر النعجة (أقرن) أي عظيم القرون (ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب) وفي نسخة أهدى (دجاجة) بتثليث الدال كما قاله البجيرمي والفتح أفصح من الكسر ولم يذكر الضم في الصحاح ولا في المصباح والدجاجة للذكر والانثى والتاء للوحدة (ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب) وفي نسخة أهدى (بيضة فاذا خرج الامام) أي لصعود المنبر من نحو الخلوة (طويت الصحف ورفعت الاقلام) أي فلا تكتب الملائكة أحدا من حاضري الجمعة (واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر) أي الخطبة وفي رواية في الرابعة بطة وفي الخامسة دجاجة وفي رواية للنسائي في الخامسة كالذي يهدي عصفورا وفي السادسة بيضة قال ابن حجر والمراد أن ما بين الفجر وخروج الخطيب ينقسم ستة أجزاء متساوية سواء أطال اليوم أم قصر (ويقال ان الناس) يكونون (في قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة) قال صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة وقال أحمد بن حنبل أفضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم والخامس مذكور بقوله (ثم اذا دخلت الجامع فاطلب الصف الاول) فان فضله كثير هذا اذا لم يكن بقرب الخطيب منكر ولم يحصل تخطي رقاب الناس قال سعيد بن عامر صليت الى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم الا أن هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه فمن تأخر من الصف الاول مثلا على هذه النية ايثارا للغير واظهارا لحسن الخلق فهو أولى فانما الاعمال بالنيات والسادس مذكور بقوله (فاذا اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم) والمراد بالتخطي أن يرفع رجله بحيث يحاذي في تخطيه أعلى منكب الجالس ومنه يعلم أن المرور بين الناس ليصل الى نحو الصف الاول مثلا ليس من التخطي بل من خرق الصفوف ان لم يكن ثم فرج في الصفوف يمشي فيها وذلك لا يضر والتخطي مكروه كراهة شديدة لانه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يتخطى رقاب الناس فقال له اجلس فقد آذيت وآنيت أي فقد آذيت الناس بتخطيك وأخرت المجيء وأبطأت ويحمل هذا النهي على الحرمة لان الايذاء هنا العرض كما أفاده البجيرمي والسابع مذكور بقوله (ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون) قال صلى الله عليه وسلم لان يقف (٢) أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدي المصلي (واجلس بقرب حائط) أي جدار (أو اسطوانة) بضم الهمزة أي عمود (حتى) للتعليل أي كي (لا يمرون بين يديك) أي اذا صليت وفي بعض النسخ وحتى لا يمر بين يديك أحد فان لم يجد اسطوانة فلتنصب بين يديك شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة للحد (ولا تقعد حتى تصلي التحية والاحسن) وفي نسخة وحسن أي مندوب كما قاله الشيخ (أن تصلي أربع ركعات) أي بتسليمة واحدة لان التحية لا تكون الا بتسليمة ولو ما دة ركعة كما قاله العشني (تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة (الاخلاص خمسين مرة) فجملة سورة الاخلاص في الاربع ركعات مائتا مرة (ففي الخبر أن من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا تترك التحية وان كان الامام

على الهيئة والسكينة فقد قال صلى الله عليه وسلم من راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فقد قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر * ويقال ان الناس في قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ثم اذا دخلت الجامع فاطلب الصف الاول فاذا اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون واجلس بقرب حائط أو اسطوانة حتى لا يمرون بين يديك ولا تقعد حتى تصلي التحية والاحسن أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة الاخلاص خمسين مرة ففي الخبر ان من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا تترك التحية وان كان الامام

يخطب) لكن عليك حينئذ بالتخفيف أي بترك التطويل عرفا وقيل بالاقتصار على الواجبات ولا تزد حينئذ على ركعتين فان ذلك لا يجوز كما لا يباح لاحد من الحاضرين صلاة غير تحية بعد جلوس خطيب وان لم يسمع الخطيب ولو دخل المسجد في آخر الخطبة فان غلب على ظنه أنه ان صلى ركعتين خفيفتين فاتته تكبيرة الاحرام مع الامام لم تندب له التحية بل يقف حتى تقام الصلاة ولا يقعد لئلا يكون جالسا في المسجد قبل التحية (ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات سورة الانعام والكهف وطه ويس) وفي الاحياء استحباب هذه الصلاة مع هذه السور في هذا اليوم أو في ليلته (فان لم تقدر فسورة يس والدخان والم السجدة وسورة الملك ولا تدع) أي لا تترك (قراءة هذه السور) أي الاربع كما في الاحياء (في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير قيل) من تلا سورة الانعام يكون متوجها لحفظ الدين وحسن الرزق ويرزق الحظ في دنياه وآخرته وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال والدبيلة داء في جوف البطن أو داء أشد حرا في البطن أو في القلب وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن الا يس وطه وقيل من قرأ سورة طه يحب صلاة الليل ويفعل الخير ويحب العسرة في أهل الدين ومن تلا سورة يس يكون دينه قويا وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الم تنزيل أعطي من الاجر كأن أحيا ليلة القدر وقيل من تلا سورة السجدة يكون قوي التوحيد سالم اليقين وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة وقيل من تلا سورة الملك أعطاه الله خيري الدنيا والآخرة وتكثر أملاكه وخيراته (ومن لم يحسن ذلك) ثم أ ما يحسن (فليكثر من قراءة سورة الاخلاص واكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم) أي وليلته (خاصة) وأكثر قراءة سورة الكهف قال الوناني وأقل اكثار الصلاة على النبي ثلاثمائة بالليل وثلاثمائة بالنهار وأقل اكثار سورة الكهف ثلاث مرات وقراءتها نهارا آكد وأولاه بعد الصبح (ومهما خرج الامام) من نحو خلوة لصعود المنبر (فاقطع الصلاة والكلام واشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والاتعاظ بها) وقال الوناني ويجب على كل من كان في صلاة تخفيفها عند صعود الخطيب المنبر وجلوسه عليه فاطالة الصلاة كانشائها اه لكن انشاء الصلاة قبل جلوسه وبعد شروعه في الصعود لا يحرم أما بعد جلوسه فيحرم ولا تنعقد الصلاة مطلقا ما عدا ركعتي التحية اجماعا كما في حاشية الاقناع (ودع الكلام رأسا) أي بالكلية (في) وقت (الخطبة ففي الخبر أن من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أوصه فقد لغا) قوله أوصه شك من الراوي وهو بمعنى اسكت (ومن لغا فلا جمعة له أي لان قوله أنصت كلام فينبغي أن ينهى غيره بالاشارة) أي المفهمة (لا باللفظ) والجديد لا يحرم الكلام في وقت الخطبة بل يكره والانصات لها سنة والمراد باللغو في الخبر المشهور مخالفة السنة كما أفاده ابن حجر وان المنفي بقوله فلا جمعة له كمال الجمعة لا صحتها نعم لو كان من الحاضرين أربعون تلزمهم الجمعة فقط حرم على بعضهم كلام فوت سماع ركن لتسببه في ابطال الجمعة والقديم يحرم الكلام في ذلك الوقت كالائمة الثلاثة ويجب الانصات قال البجيرمي ولا يكره الكلام قبل الخطبة وبعدها وبين الخطبتين ولو لغير حاجة (ثم اقتد بالامام كما سبق) أي في آداب الجماعة فاذا سمعت قراءة الامام فلا تقرأ غير الفاتحة (فاذا فرغت) أي من صلاة الجمعة (وسلمت) منها (فاقرأ الفاتحة قبل ان تتكلم سبع مرات والاخلاص سبعا والمعوذتين سبعا سبعا وذلك) أي المذكور من السور (يعصمك) أي يحفظك من السوء (من الجمعة الى الجمعة ويكون حرزا) أي وقاية (لك من الشيطان) كما رواه ابن السني من حديث عائشة عن رسول الله لكن بدون الفاتحة وروى الحافظ المنذري عن أنس أن النبي صلى الله عليه

يخطب * ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات سورة الانعام والكهف وطه ويس فان لم تقدر فسورة يس والدخان والم السجدة وسورة الملك ولا تدع قراءة هذه السور ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لم يحسن ذلك فليكثر من قراءة سورة الاخلاص وأكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم خاصة ومهما خرج الامام فاقطع الصلاة والكلام واشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والاتعاظ بها ودع الكلام رأسا في الخطبة ففي الخبر ان من قال لصاحبه والامام يخطب انصت اوصه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له أي لان قوله أنصت كلام فينبغي أن ينهى غيره بالاشارة لا باللفظ ثم اقتد بالامام كما سبق فاذا فرغت وسلمت فاقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات والاخلاص سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فذلك يعصمك من الجمعة الى الجمعة الاخرى ويكون حرزا لك من الشيطان

وسلم قال من قرأ اذا سلم الامام يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطي من الاجر بعدد كل من آمن بالله ورسوله (وقل) أربع مرات كما نقل عن الدميري عن أبي طالب (بعد ذلك) أي بعد سلام الجمعة كما في الاحياء وكما نقل عن أبي طالب المكي (اللهم) أي يا الله (ياغني) أي من لا يفتقر الى شئ (ياحميد) أي مستحق الثناء (يامبدئ) أي مظهر الشئ من العدم الى الوجود (يامعيد) أي خالق الشئ بعد عدمه (يارحيم) أي مريد الانعام (ياودود) أي من يحب الخير لجميع الخلائق (أغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عن سواك) يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب (ثم صل بعد الجمعة ركعتين) كما رواه ابن عمر (أو أربعا) كما رواه أبو هريرة (أو ستا) كما رواه علي وعبد الله بن عباس (مثنى مثنى) وهذه الكلمة لم تذكر في الاحياء (فكل ذلك) أي المذكور من الركعتين والاربع والست (مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة) كما قال صلى الله عليه وسلم من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل أربعا وفي رواية رواها مسلم اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا قال البركوي في معنى هذا الحديث من كان منكم أيها المكلفون باداء الجمعة مريدا لان يصلي بعد أداء فريضة الجمعة فليصل أربع ركعات بتسليمة ودل هذا الحديث على أن المؤكدة من هذه السنة بعد صلاة الجمعة أربع ركعات كما قال به أبو حنيفة ومحمد وعليه الشافعي في قول وعند أبي يوسف السنة المؤكدة بعد الجمعة ست ركعات أربع ركعات سنة الجمعة وثنتان سنة الوقت والافضل أن يصلي أربعا ثم ركعتين انتهى وعلى هذا فالركعتان الزائدتان من الاربعة من النوافل الموقتة لا من النوافل المطلقة (ثم لازم المسجد الى المغرب) وهو الافضل (أو الى العصر) يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان خاف دخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يليق فالافضل أن يرجع الى بيته ذاكرا لله مفكرا في آلائه شاكرا لله على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا (وكن حسن المراقبة) أي المرصاد (للساعة الشريفة فانها مبهمة في جميع اليوم) أي يوم الجمعة (فعساك أي تدركها وأنت خاشع لله تعالى) أي مقبل اليه تعالى بقلبك (متذلل) أي خاضع (متضرع) أي مخلص بالدعاء (ولا تحضر في الجامع مجالس الحلق) بكسر الحاء المهملة وفتح اللام أو بفتحهما على غير قياس جمع حلقة بفتح الحاء وسكون اللام وروى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا أن يكون فيه عالم بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه ليكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل (ولا) تحضر في الجامع (مجالس القصاص) فلا خير في كلامهم (بل احضر (مجلس العلم النافع) بكرة أو بعد العصر (وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في الدنيا) فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة (فكل علم لا يدعوك من الدنيا الى الآخرة فالجهل أعود) أي أنفع (عليك منه) أي من ذلك العلم (فاستعذ بالله من علم لا ينفع) وقل اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع (وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الاقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس الى الصلاة) فانه ينبغي أن تحافظ في جميع يومها على الخيرات والدعوات حتى توافق الساعة الشريفة وأنت في خير ولا بأس أن تدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك تمام النعمة في العافية وزيادة في علم [illegible] وصحة في البدن وتوبة قبل الموت وراحة عند الموت ومغفرة بعد الموت انه اهل التقوى واهل المغفرة [illegible] يا أرحم

وقل بعد ذلك اللهم ياغني ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود أغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك * ثم صل خاصة بعد الجمعة ركعتين أو أربعا أو ستا مثنى مثنى فكل ذلك مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة ثم لازم المسجد الى المغرب أو الى العصر وكن حسن المراقبة للساعة الشريفة فانها مبهمة في جميع اليوم فعساك ان تدركها وأنت خاشع لله تعالى متذلل متضرع ولا تحضر في الجامع مجالس الحلق ولا مجالس القصاص بل مجلس العلم النافع وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في الدنيا فكل علم لا يدعوك من الدنيا الى الآخرة فالجهل أعود عليك منه فاستعذ بالله من علم لا ينفع وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الاقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس الى الصلاة

الراحمين ويا خير المسؤلين (فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الاوقات) فالعلماء اختلفوا فيها على أقوال فقيل أخفاها الله تعالى في اليوم وقيل هي في أول النهار وقيل هي في آخره وهو قول الاكثرين قال النووي والصواب ما ثبت في حديث مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هي ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن يسلم من الصلاة وظاهر الحديث أنه يطلب الدعاء حال التلبس بالخطبة وهو مشكل بالامر والانصات حال الخطبة وأجاب البلقيني عن هذا الاشكال بأنه ليس من شروط الدعاء التلفظ بل استحضار ذلك بقلبه كاف في ذلك وقال الحليمي ان الدعاء يكون اذا جلس الامام قبل أن يفتح الخطبة أو بين الخطبتين أو بين الخطبة الثانية والصلاة أو في الصلاة بعد التشهد وما قاله الحليمي أظهر كذا نقله البجيرمي عن الاجهوري (واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وان قل) فان الصدقة فيه تتضاعف (فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط) أي انتظار الصلاة بعد الصلاة أي اذا أتيت بجميع المذكور وقال بعض السلف من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له (واجعل هذا اليوم من الاسبوع) بضم الهمزة (خاصة لآخرتك) فكف فيه عن جميع أشغال الدنيا وأكثر فيه الاوراد (فعسى أن يكون) أي هذا اليوم (كفارة لبقية الاسبوع) وبالجملة ينبغي أن يزيد مريد الوصول الى الله تعالى في أوراده وأنواع خيراته فان الله تعالى اذا أحب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمته

(آداب الصيام)

وهو لجام المتقين ورياض الابرار والمقربين (لا ينبغي) أي لا يليق (أن تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفراديس) جمع فردوس وهي أعلا الجنة وأوسطها وقال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (فتتحسر) بالحاء المهملة أي فتتلهف (اذا نظرت الى منازل الصائمين كما تنظر الى الكواكب الدرية) بتثليث الدال أي المضيئة (وهم في أعلى عليين) وفي الخبر ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم الجمعة لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد وفيه أيضا ان في الجنة بابا يقال له الضحى فاذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الذين كانوا يديمون صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه وفيه أيضا وفي الجنة باب يقال له الفرح لا يدخل منه الا مفرح الصبيان والحاصل أن كل من أكثر نوعا من العبادة خص بباب يناسبه ينادي منه جزاء وفاقا وكل من تجمع له العمل بجميع أنواع الطاعات يدعى من جميع الابواب على سبيل التكريم والدخول لا يكون الا من باب واحد وهو باب العمل الذي يكون غلب عليه واعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها يوجد في كل شهر وبعضها في كل أسبوع (و) أما (الايام الفاضلة) التي توجد في كل سنة (التي شهدت الاخبار بشرفها وفضلها وبجزالة الثواب) أي كثرته (في صيامها) بعد أيام رمضان فهو (يوم عرفة) وهو تاسع ذي الحجة فيسن صومه (لغير الحاج) وأما الحاج فيسن له فطره وصومه خلاف الاولى ان كان يصل عرفة نهارا فان كان يصلها ليلة التاسع فلا كراهة ولا خلاف الاولى وهو أفضل الايام لان صومه يكفر سنتين من الصغائر (ويوم عاشوراء) بالمد وقد يقصر وهو عاشر المحرم فان صومه يكفر السنة الماضية (والعشر الاول من ذي الحجة) وفي الخبر ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة

فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الاوقات واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وان قل فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط واجعل هذا اليوم من الاسبوع خاصة لآخرتك فعساه أن يكون كفارة لبقية الاسبوع

(آداب الصيام)

لا ينبغي أن تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفراديس فتتحسر اذا نظرت الى منازل الصائمين كما تنظر الى الكواكب الدرية وهم في أعلى عليين والايام الفاضلة التي شهدت الاخبار بشرفها وفضلها وبجزالة الثواب في صيامها يوم عرفة لغير الحاج ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذي الحجة

القدر (والعشر الاول من المحرّم) وفى الخبر أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرّم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل أى وذلك بالنسبة لغير عرفة وبالنسبة لغير صلاة الرواتب (ورجب وشعبان) وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى يظن أنه فى رمضان وفى الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان (وصوم الاشهر الحرم من الفضائل) لانها أوقات فاضلة (وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب واحد فرد) وهو رجب (وثلاثة سرد) أى متتابعة وهو الباقى (وهذه) أى الايام الفاضلة (فى السنة) وأفضلها للصوم بعد رمضان المحرّم ثم رجب ثم الحجة ثم القعدة ثم شعبان ونظم البجيرمى ترتيب الافضلية فى الشهور من بحر الرجز فقال

وأفضل الشهور بالاطلاق * شهر الصيام فهو ذو السباق

فشهر ربنا هو المحرّم * فرجب فالحجة المعظم

فقعدة فبعده شعبان * وكل ذا جاء به البيان

(وأما) الايام الفاضلة التى تتكرر (فى الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره) قال ابن حجر ويسن صوم أيام السود خوفا من ظلمة الذنوب وهى السابع أو الثامن وتالياه فان بدأ بالثامن ونقص الشهر صام أول تاليه وحينئذ يقع صومه عن أول الشهر أيضا فانه يسن صوم ثلاثة أول كل شهر (والايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) وفى ذى الحجة يبدل الثالث عشر بالسادس عشر أو بيوم بعده (وأما) الايام الفاضلة (فى الاسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة) فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صوم الاثنين والخميس وقال انهما يومان تعرض فيهما الاعمال فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم أى تعرض على الله فيهما أعمال الاسبوع اجمالا فأحب أن يعرض عملى وأنا قريب من زمن الصوم لان العرض بعد الغروب وفائدة العرض اظهار العدل واقامة الحجة اذ لا يخفى على الله شئ وتعرض الاعمال على الابناء والآباء والامهات يوم الجمعة وعلى النبى صلى الله عليه وسلم سائر الايام وتعرض على الله أعمال العالم اجمالا ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وأما عرضها تفصيلا فبرفع الملائكة لها بالليل مرة وبالنهار مرة ويكره افراد يوم الجمعة بالصوم بلا سبب ان كان نفلا مطلقا وانما نهى عن صومه مفردا لانه يوم عبادة وتبكير وذكر وغسل واجتماع فيسن فطره معاونة عليها كما نقله البجيرمى عن النووى وفى الخبر الذى رواه البيهقى والحاكم أن يوم الجمعة يوم عيد وذكر فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم ولكن اجعلوه يوم نحر وذكر الا أن تخلطوه بأيام (فتكفر ذنوب الاسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة وتكفر ذنوب الشهر باليوم الاول من الشهر واليوم الاوسط واليوم الآخر والايام) الثلاثة (البيض وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الايام) أى المذكورة (و) صيام (الاشهر المذكورة) أى التى تتكرر فى السنة وسكت المصنف عن صوم ستة من شوّال فانه يطلب صوم ستة أيام من شوّال وان لم يعلم بها وبفعلها أو صامها عن نذر أو نفل آخر أو قضاء عن رمضان أو غيره نعم لو صام شوّالا قضاء عن رمضان وقصد تأخيرها عنه لم تحصل معه فيصومها من القعدة قال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوّال كان كصيام الدهر أى من صام رمضان فى كل سنة وأتبعه ستا من شوّال كذلك كان كصيام الدهر أى السنة فرضا بلا مضاعفة وأما من صام شهرا وستة غيرها كل سنة يكون كصيام الدهر نفلا بلا مضاعفة * (تنبيه) * قد يوجد للصوم سببان كوقوع عرفة وعاشوراء يوم اثنين أو خميس وكوقوعهما فى ستة شوّال فيتأكد صومها لوجود السببين رعاية لكل منهما فان نواهما حصلا كالصدقة على القريب صدقة وصلة وكذا لو نوى أحدهما فيما يظهر ذكر ذلك كله البجيرمى (ولا تظن) أيها المكلف (اذا صحت أن الصوم هو) كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وهو

والعشر الاول من المحرم ورجب وشعبان وصوم الاشهر الحرم من الفضائل وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وهذه فى السنة * وأما فى الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره والايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر * وأما فى الاسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة فتكفر ذنوب الاسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة وذنوب الشهر تكفر باليوم الاول من الشهر واليوم الاوسط واليوم الآخر والايام البيض وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الايام والاشهر المذكورة * ولا تظن اذا صمت أن الصوم هو

(ترك الطعام والشراب والوقاع فقط فقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) أي بسبب عدم كف الجوارح عن المكاره وقال صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه أي في صيامه (بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها) من السمع والبصر واللسان واليد والرجل وغيرها (عما يكره الله تعالى) من الآثام وذلك صوم الصالحين المسمى صوم الخصوص فيكون تمام الصيام بخمسة أمور والاول مذكور بقوله (بل ينبغي أن تحفظ العين عن) الاتساع في (النظر الى المكاره) والى كل ما يشغل القلب عن ذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله عز وجل آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه والثاني مذكور بقوله (واللسان عن النطق بما لا يعنيك) بفتح الياء وسكون العين أي لا يهمك والذي يهم الانسان ما يتعلق بسلامته في المعاد وبضرورة حياته في معاشه فيما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ واستمتاع والثالث مذكور بقوله (والاذن عن الاستماع الى ما حرمه الله تعالى فان المستمع شريك القائل) لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين السمع وأكل السحت فقال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت (وهو أحد المغتابين) لان السكوت على الغيبة حرام قال الله تعالى انكم اذا مثلهم وقال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم (وكذلك تكف جميع الجوارح) عن كل ما يذم شرعا (كما تكف البطن والفرج) عن قضاء شهوتهما (ففي الخبر) الذي رواه جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة) بكسر الغين (والنميمة) وهي السعي بين الناس بالافساد (واليمين الكاذبة) وهو المسمى باليمين الغموس (والنظر بشهوة) أي الى محرم وقوله يفطرن بتشديد الطاء أي المذكورات أي يبطلن الصوم حقيقة على ما ذهبت اليه السيدة عائشة والامام أحمد ومذهب الشافعي وأصحابه أن هذه تبطل ثواب الصوم لا نفس الصوم ومعنى يفطرن الصائم يذهبن ثواب الصائم كما يذهب الفطر في النهار الصيام وروى أبو الفتح الازدي والديلمي عن أنس باسناد فيه كذاب هذا الخبر خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء الكذب والغيبة والنميمة والنظر بشهوة واليمين الكاذبة وهذا ورد على طريق الزجر عن فعل المذكورات وليس المراد الحقيقة كذا أفاده العزيزي (وقال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة) بضم الجيم وتشديد النون اي وقاية تقي من المعاصي لكونه يكسر الشهوات ويضعفها وقيل من النار لانه امساك عن الشهوات (فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث) بالمثلثة وتثليث الفاء أي لا يفحش الصائم في الكلام (ولا يفسق) أي لا يخرج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات (ولا يجهل) أي لا يفعل فعل الجهال كالصياح والسخرية أو سفه على أحد (فان امرؤ قاتله) أي أراد مقاتلته (أو شاتمه فليقل) بقلبه ان كان صيامه نفلا وبلسانه وقلبه ان كان في رمضان كذا أفاد العزيزي (اني صائم) مرتين أو ثلاثا ليكف نفسه عن المقاتلة والمشاتمة كذا أفاده العزيزي والرابع مذكور بقوله (ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال) فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال اذا أفطر بالطعام الحرام فهو مثل من بنى قصرا وهدم مصرا والخامس مذكور بقوله (ولا تستكثر) أي من الطعام الحلال وقت الافطار (فتزيد) في الاكل لاجل صيامك (على ما تأكله كل ليلة) أي في غير أيام الصيام (فلا فرق) بين كونك مفطرا أو صائما (اذا استوفيت) أي أديت (ما تعتاد أن تأكله دفعتين) بفتح الدال أي مرتين مرة في النهار ومرة في الليل (في دفعة واحدة) وقت الافطار (وانما المقصود) بالصيام (كسر شهوتك وتضعيف قوتك) أي عن المعاصي (لتقوى بها) أي بقوتك (على التقوى) لله تعالى (فاذا أكلت عشية) أي بعد الغروب (ما) أي طعاما (تداركت به ما فاتك

ترك الطعام والشرب والوقاع فقط فقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالى بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر الى المكاره واللسان عن النطق بما لا يعنيك والاذن عن الاستماع الى ما حرمه الله فان المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين وكذلك تكف جميع الجوارح البطن والفرج ففي الخبر خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة وقال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل فان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة فلا فرق اذا استوفيت ما تعتاد أن تأكله دفعتين في دفعة واحدة وانما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوتك لتقوى بها على التقوى فاذا أكلت عشية ما تداركت به ما فاتك

ضحوة) بأن جمعت ما كنت تأكل ضحوة الى ما كنت تأكل ليلا (فلا فائدة فى صومك) أى فلا تنتفع بصومك فى كسر الشهوة وهذا جواب اذا أى انه من آداب الصوم أن لا تشبع الشبع الكامل فقط لا سيما فى ليالى رمضان فان الاولى النقص فيهما عن مقدار ما كنت تأكل فى غيرها وذلك لانه شهر الجوع ومن شبع فى عشائه وسحوره فكانه لم يصم رمضان وحكمه حكم المفطر من حيث الاثر المشروع له الصوم وهو اضعاف الشهوة المضيقة لمجارى الشيطان فى البدن وهذا الامر بعيد على من شبع من اللحم والمرق الا اذا كان من يصوم شخصا يتعاطى فى النهار الاعمال الشاقة أو امرأة مرضعة فان ذلك لا يضره ان شاء الله تعالى وقد قالوا من أحكم الجوع فى رمضان حفظ من الشيطان الى رمضان الآتى لان الصوم جنة على بدن الصائم ما لم يخرقه شئ فاذا خرقه دخل الشيطان من الخرق كذا نقله البجيرمى عن الشعرانى (وقد ثقلت عليك معدتك) بسبب تدارك عند فطرك ما فاتك من الطعام ضحوة النهار (وما وعاء أبغض الى الله تعالى من بطن ملئ من حلال) كما فى الحديث لان امتلاءه من الطعام يفضى الى فساد الدين والدنيا فغالب الامراض تنشأ عن كثرة الاكل وادخال الطعام على البدن قبل هضم الاول كذا قال العزيزى (فكيف) أى فما بالك (اذا ملئ) البطن (من حرام فاذا عرفت معنى الصوم) من تصفية القلب وقمع الشهوات (فاستكثر منه ما استطعت فانه أساس العبادات) أى أصلها (ومفتاح القربات) كما قال صلى الله عليه وسلم لكل شئ باب وباب العبادة الصوم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى) فى الحديث القدسى (كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف) بكسر الضاد (الا الصوم فانه لى وأنا أجزى) بفتح الهمزة وسكون الياء (به) أى الصوم والمعنى أن العبادات قد كشف مقادير ثوابها للناس وتم انها تضعف من عشرة الى سبعمائة ضعف الا الصوم فان الله تعالى تفرد بمقدار علم ثوابه وتضعيف حسناته بقوله وأنا أجزى به أى اجزى جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره وقيل معناه أنه أحب العبادات الى والمقدم عندى (وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده) أى روحى بقدرته وتصريفه كذا أفاده العزيزى وقال البركوى والذى جار ومجرور متعلق بأقسم المقدر ونفسى مبتدأ وبيده ظرف مستقر خبره والجملة صلة الموصول واللام فى لخلوف جوابية والمعنى والله الذى روحى فى قبضة قدرته (لخلوف) بضم الخاء المعجمة واللام (فم الصائم) أى لرائحة فم الصائم لخلو معدته من الطعام (أطيب عند الله من ريح المسك) والمعنى أن الخلوف أكثر ثوابا من المسك المندوب اليه فى الجمع ومجالس الذكر ورجح هذا المعنى النووى ويحتمل معنى الطيب على القبول والرضا وقال الماوردى المعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أى يقرب اليه أكثر من تقريب المسك اليكم وقال بعضهم ان الطاعات يوم القيامة تجاء فتفوح فرائحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك وهذا كما ورد فى الحديث المحرم يبعث يوم القيامة ملبيا وكما روى أنه يبعث الشهيد وتعلق دم ريحه فى يده فيلتمسها وتعود اليه فلا تفارقه (يقول الله تعالى عز من قائل) من زائدة وقائل حال من فاعل عز (انما يذر) أى يترك كما فى رواية (شهوته وطعامه وشرابه) قال بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الخ حديث للامام أحمد عن مالك ومبدؤه قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى هو من أهل الجنة تحت سوم فانه لم يقل الله تعالى الى آخره (من أجلى فالصوم لى) أى خالص لى فانه لا يطلع عليه أحد لانه لا يطلع عليه احد الا الله وما يدخله الرياء أن يخبر بأنه صائم (وأنا أجزى به) ومن المعلوم أن الكريم اذا تولى الاعطاء بنفسه كان ذلك اشارة الى تعظيم العطاء ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب واتفقوا على أن المراد صيام من سلم صيامه من المعاصى كذا نقل عن القسطلانى وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون) وهو موعود للقاء الله تعالى فى جزاء صومه (فهذا القدر من شرح الطاعات) أى بيانها (يكفيك من بداية

ضحوة فلا فائدة فى صومك وقد ثقلت عليك معدتك وما وعاء أبغض الى الله تعالى من بطن ملئ من حلال فكيف اذا ملئ من حرام فاذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت فانه أساس العبادات ومفتاح القربات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى عز من قائل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلى فالصوم لى وأنا أجزى به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون فهذا القدر من شرح الطاعات يكفيك من بداية

الهداية فاذا احتجت الى الزكاة والحج أوالى مزيد لشرح الصلاة والصيام فاطلبه) أى ما تحتاج أى تجده (مما أوردناه) أى ذكرناه (فى كتابنا احياء علوم الدين) وشرح الصلاة والصيام قد وجد فى هذا الشرح بعضه من كتاب الاحياء وبعضه من كتب شتى

(القسم الثانى)

من قسمى ظاهر علم التقوى هو (القول فى اجتناب المعاصى) أى ظاهرا وباطنا (اعلم أن الدين شطرين) أى جزأين (أحدهما ترك المناهى والآخر فعل الطاعات) وهو ما تقدم ذكره (وترك المناهى هو الاشد) أى أثقل وأصعب من فعل الطاعات ولذلك كان أكثر ثوابا منه (فان الطاعات) الفاء التعليل (يقدر عليها) أى على فعلها (كل أحد وترك الشهوات) القلبية والبطنية والفرجية (لا يقدر عليها) أى ترك الشهوات (الا الصديقون) وهم الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ما هى عليه (فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء) أى تركه (والمجاهد من جاهد هواه) أى من زجر نفسه عن اتباع شهواته بالصبر والتوطين على ايثار الخير وفى رواية الترمذى وابن حبان المجاهد من جاهد نفسه أى قهر نفسه الامارة بالسوء على فعل الطاعة وتجنب المعصية وجهادها أصل كل جهاد فانه لو لم يجاهدها لم يمكنه جهاد العدو كذا أفاد العزيزى وجنود النفس عشرة الحرص والشهوة والشح والرغبة والزيغ والقسوة وسوء الخلق والامل والطمع والكسل وجنود الهوى عشرة أيضا الحسد والتجبر والعجب والكبر والغل والمكر والوسوسة والمخالفة فى الامر وسوء الظن والجدال كذا أفاد الهمدانى (واعلم أنك انما تعصى الله بجوارحك) أى أعضائك التى تكتسب بها (وهى) أى الجوارح (نعمة من) نعم (الله) تعالى (عليك وأمانة) أى وديعة (لديك) لتحفظها عما نهى الله عنه (فاستعانتك بنعمة الله) أى التى هى الجوارح (على معصيته غاية الكفران) أى الجحود بالنعمة وهو ضد الشكر (وخيانتك فى أمانة) حيث استعملتها فى غير ما أذون (استودعكها الله تعالى) أى جعلها الله تعالى وديعة عندك (غاية الطغيان) أى غاية مجاوزة فى العصيان (فأعضاؤك رعاياك) أى تحت نظرك والرعايا جمع رعية كخطايا جمع خطية (فانظر كيف ترعاها) أى تحفظها لقيام حقوقها (فكلكم) يا معشر بنى آدم (راع) أى حافظ على ما عنده (وكلكم مسؤل) يوم القيامة (عن رعيته) بتشديد الياء فالامام راع ومسؤل عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسؤل عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤلة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسؤل عن رعيته كذا فى الزواجر وما أحسن قول القائل من بحر الوافر

ولو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى

ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسئل من بعد ذا عن كل شى

(واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك فى عرصات القيامة) أى أماكنها (بلسان طلق ذلق) أى فصيح عذب المنطق (تفضحك) أى تكشف الاعضاء مساويك (به) أى بذلك اللسان (على رؤس الخلائق) أى أعينهم وفى نسخة على ملأ من الخلق (قال الله تعالى) فى سورة النور (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أى من قول وفعل وهو يوم القيامة فانه تعالى يوفيهم جزاءهم الحق (وقال الله تعالى) فى سورة يس (اليوم نختم) أى نسد (على أفواههم وتكلمنا أيديهم) أى بما عملوا اقرارا هو أعظم شهادة (وتشهد أرجلهم) أى عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة اقرار (بما كانوا) أى فى الدنيا بحيلاتهم (يكسبون) فكل عضو ينطق بما صدر منه وفى كيفية هذا الختم وجهان أقواهما أن الله تعالى يسكت

الهداية فاذا احتجت الى الزكاة والحج أوالى مزيد لشرح الصلاة والصيام فاطلبه مما أوردناه فى كتابنا احياء علوم الدين *(القسم الثانى القول فى اجتناب المعاصى)* اعلم أن الدين شطرين أحدهما ترك المناهى والآخر فعل الطاعات وترك المناهى هو الاشد فان الطاعات يقدر عليها كل أحد وترك الشهوات لا يقدر عليها الا الصديقون فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد واعلم أنك انما تعصى الله بجوارحك وانما هى نعمة من الله عليك وأمانة لديك فاستعانتك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران وخيانتك فى أمانة استودعكها الله غاية الطغيان فاعضاؤك رعاياك فانظر كيف ترعاها فكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك فى عرصات القيامة بلسان طلق ذلق تفضحك به على رؤس الخلائق قال الله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال الله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون

السنتهم

ألسنتهم وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وأن ذلك فى قدرة الله تعالى يسير أما الاسكات فلا خفاء فيه وأما
الانطاق فان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره بمثلها والله تعالى قادر على كل الممكنات
والوجه الآخر أنهم لا يتكلمون بشئ لانقطاع أعذارهم وانهتاك أستارهم فيقفون ناكسي الرؤس
لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون وتكلم الايدى هو ظهور الامر بحيث لا يسع منه
الانكار والصحيح الاول كذا فى السراج المنير (فاحفظ يامسكين جميع بدنك من المعاصى وخصوصا أعضاءك
السبعة) التى سيأتى بيانها (فان جهنم لها سبعة أبواب) بعضها فوق بعض أى سبع طبقات قال ابن جريج
النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وتخصيص هذا العدد
لان أهلها سبع فرق وأيضا أنه على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد
والرجل لانها مصادر السيئات فكانت مواردها الابواب السبعة ولما كانت هى بعينها مصادر الحسنات بشرط
النية والنية من أعمال القلب زادت الاعضاء واحدا فجعلت أبواب الجنان ثمانية (لكل باب) من السبعة
(منهم) أى الغاوين خاصة لا يشاركهم فيها مخلص (جزء) أى نصيب (مقسوم) أى معلوم فلكل دركة قوم
يسكنونها قال الضحاك فى الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون
وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة المجوس وفى السادسة أهل الشرك
وفى السابعة المنافقون وروى عن عمر أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها
لمن سل السيف على أمتى كذا فى السراج المنير (ولا يتعين لتلك الابواب) السبعة (الا من عصى الله تعالى
بهذه الاعضاء السبعة وهى العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل) وكل واحد من هذه نعمة
يجب على صاحبه أداء شكره باستعماله فى طاعة الله تعالى (أما العين فانما خلقت لك لتهتدى بها فى الظلمات
وتستعين بها فى الحاجات وتنظر بها الى عجائب ملكوت الارض والسموات وتعتبر) أى تتعظ وتتذكر (بما
فيها) أى الملكوت (من الآيات) اى الدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى كما قال تعالى ان فى خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من
السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والارض لآيات لقوم يعقلون أى يتفكرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة
وباهر الحكمة (فاحفظها عن أربع أن تنظر بها الى غير محرم) من النساء الاجنبيات جميع بدنها حتى
العين والشعر والظفر وغير ذلك وكذا الالتذاذ بقدها ولا بأس بالتأمل فى جسدها وعليها ثيابها ما لم يكن
ثوب يبين حجمها والا فلا ينظر اليه لقوله عليه الصلاة والسلام من تأمل خلف امرأة ورأى ثيابها حتى تبين
له حجم عظامها لم يرح رائحة الجنة والى العورات ولو من محرم ولا حرج على من سبق نظره الحرم فيهما من غير
قصد فى المرة الاولى بخلاف ما لو أعادها كما قاله الرملى (أو الى صورة) أى صورة حسن من (مليحة أو لا بشهوة
نفس) وروى أن قوما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبى صلى الله
عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كانت فتنة داود من النظر وكان يقال النظر بريد الزنا (أو تنظر بها) أى
العين (الى مسلم بعين الاحتقار أو تطلع بها على عيب مسلم) قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم
وقال بعضهم من بحر البسيط

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على خطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر

فاحفظ يامسكين جميع
بدنك من المعاصى وخصوصا
أعضاءك السبعة فان جهنم
لها سبعة أبواب لكل باب
منهم جزء مقسوم ولا يتعين
لتلك الابواب الا من عصى
الله تعالى بهذه الاعضاء
السبعة وهى العين والاذن
واللسان والبطن والفرج
واليد والرجل أما العين
فانما خلقت لك لتهتدى بها
فى الظلمات وتستعين بها فى
الحاجات وتنظر بها الى
عجائب ملكوت الارض
والسموات وتعتبر بما فيها
من الآيات فاحفظها عن
أربع أن تنظر بها الى غير
محرم أو الى صورة مليحة أو لا
بشهوة نفس أو تنظر بها الى
مسلم بعين الاحتقار أو تطلع
بها على عيب مسلم

بسر ناظره ما ضر خاطره * لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

وقال بعضهم رحمه الله تعالى

المرء ان كان عاقلا ورعا * أشغله عن عيوبهم ورعه

كما العليل السقيم أشغله * عن وجع الناس كلهم وجعه

(وأما الاذن فاحفظها عن أن تصغى بها الى البدعة) كالغناء وآلة اللهو كالطنبور والعود والمزمار وغير ذلك (أو) الى (الغيبة أو) الى (الفحش) كافشاء سر زوجته وهى سره بأن يذكر كل منهما ما يقع بينهما من تفاصيل الجماع ونحوها مما يخفى (أو) الى (الخوض فى الباطل) أى ايجاد الكلام فى غير مواقعه (أو الى ذكر مساوى الناس فانما خلقت) أى الاذن (لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائه وتتوصل باستفادة العلم بها الى الملك المقيم والنعيم الدائم فى جوار) بكسر الجيم (رب العالمين فاذا أصغيت بها الى شئ من المكاره صار ما كان) نافعا (لك) ضارا (عليك وانقلب ما كان سبب فوزك) بالثواب (سبب هلاكك) بحصول العقاب ان لم تتب (وهذا) أى الصيرورة والانقلاب (غاية الخسران ولا تظنن أن الاثم يختص به القائل دون المستمع ففى الخبر أن المستمع شريك القائل) أى فى الاثم (وهو أحد المغتابين) وفى ذلك يقول القائل من بحر المتقارب

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

قال النووى ولابد من كراهة نحو الغيبة بقلبه ان خاف ضررا ظاهرا فى نهيه باليد أو باللسان ومتى اضطر الى المقام فى ذلك المجلس الذى فيه نحو الغيبة وعجز عن الانكار أو أنكر فلم يقبل منه ولم تمكنه المفارقة بطريق حرم عليه الاستماع والاصغاء له بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه أو بقلبه أو يفكر فى أمر آخر ليشتغل عن استماعها ولا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع واصغاء فى هذه الحالة فان تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرون فى الغيبة ونحوها وجب عليه المفارقة وروى عن ابراهيم أنه دعى الى وليمة فحضر فذكروا رجلا لم يأتهم فقالوا انه ثقيل فقال ابراهيم أنا فعلت هذا بنفسى حيث حضرت موضعا يغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام انتهى (وأما اللسان فانما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه) وفى نسخة تلاوة القرآن (وترشد به) أى اللسان (خلق الله تعالى الى طريقه) أى دينه الحق الذى سلكه رسول الله وأصحابه (وتظهر به ما فى ضميرك) أى باطنك (من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته) أى اللسان (فى غير ما خلق) أى اللسان (له فقد كفرت) أى جحدت (نعمة الله تعالى فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق) قال بعضهم نظما من بحر الكامل

احفظ لسانك واستعذ من شره * ان اللسان هو العدو الذابح

وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * وزنا يلوح به الصواب اللائح

فالصمت من سعد السعود بمطلع * يحمى الفتى والنطق سبع ذابح

وكان من دعاء داود عليه السلام اللهم انى أسألك أربعة وأعوذ بك من أربعة فأما اللواتى أسألك فانى أسألك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعيننى فى دنياى وآخرتى وأما اللواتى أعوذ بك منهن فانى أعوذ بك من ولد يكون على سيدا ومن امرأة تشيبنى قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابا لى ووبالا على ومن جار ان رأى منى حسنة كتمها وان رأى سيئة أفشاها (ولا يكب الناس) بضم الكاف وهذا من النوادر فان الثلاثيه متعد ورباعيه لازم أى لا يلقى أكبر الناس (فى النار) أى نار جهنم (على مناخرهم) جمع منخر

وأما الاذن فاحفظها عن ان تصغى بها الى البدعة أو الغيبة أو الفحش أو الخوض فى الباطل أو ذكر مساوى الناس فانما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائه وتتوصل باستفادة العلم بها الى الملك المقيم والنعيم الدائم فى جوار رب العالمين فاذا أصغيت بها الى شئ من المكاره صار ما كان لك عليك وانقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاكك وهذا غاية الخسران ولا تظنن ان الاثم يختص به القائل دون المستمع ففى الخبر ان المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين (وأما اللسان) فانما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه وترشد به خلق الله تعالى الى طريقه وتظهر به ما فى ضميرك من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته فى غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم

بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها آلة قطع الانف (الاحصائد) جمع حصيدة بمعنى محصودة (ألسنتهم) أى ماتكلمت الالسنة به من الاثم كالكذب والقذف والسب والنميمة وغير ذلك واضافة حصائد الى الالسنة من اضافة اسم المفعول الى فاعله أى محصورات الالسنة شبه ماتكتسبه الالسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع فى أن كلا كسب وجمع وشبه اللسان فى تكلمه بذلك بحد المنجل الذى يحصد به الناس الزرع وقال الشافعى رضى الله عنه من بحر الكامل

احفظ لسانك أيها الانسان * لايلدغنك أنه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(فاستظهر) أى اطلب الغلبة واستعن (عليه) أى اللسان (بغاية قوتك حتى لايكبك فى قعر) أى نهاية أسفل (جهنم ففى الخبر أن الرجل) أى الانسان ذكرا كان أو أنثى (ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه) والمراد مافيه ايذاء مسلم ونحوه دون مجرد المزاح المباح (فيهوى بها) أى يسقط بسببها (فى قعر جهنم سبعين خريفا) أى عاما لما فيها من الاوزار التى غفل عنها أو اذا لم يتب عنها والمراد أنه يكون دائما فى صعود وهوى فالسبعين للتكثير لا للتحديد كذا نقل العزيزى عن المناوى (وروى أنه) أى الشأن (قتل شهيد فى المعركة) أى محل الحرب (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى يوم أحد فوجد على بطنه صخرة من الجوع (فقال قائل) أى شخص قائل وهو أم المقتول بعد أن مسحت التراب عن وجهه (هنيئا له بالجنة) أى ثبت لهذا المقتول الظفر بالجنة حال كونه هنيئا أى بلا مشقة فى تحصيل الجنة (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك) أى أى شئ يجعلك داريا بحاله (لعله) أى هذا المقتول (كان يتكلم فيما لايعنيه) بفتح الياء وسكون العين وكسر النون أى بما لايهمه من أمر دنياه وعقباه (ويبخل بما لايغنيه) بضم أوله وسكون المعجمة أى من أقوال وأفعال وطلب رئاسة وحب محمدة وأمثال ذلك مما لايجلب له شرا ولايذهب عنه ضرا وقوله ويبخل لعل الواو بمعنى أو كذا فى شرح الشفاء وذكر بعضهم أن الكلام أربعة أقسام ضرر محض ونفع محض وضرر ومنفعة ولاضرر ولامنفعة فالضرر المحض لابد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة ولاتفى المنفعة بالضرر وأما مالاضرر فيه ولامنفعة فهو فضول والاشتغال به تضييع زمن وهو عين الخسران فلم يبق الا القسم الواحد فسقط ثلاثة أرباع الكلام وفيه خطر اذا كان يجر مافيه اثم من الرياء والتصنع ونحوهما وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام فى طاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب وقال بعضهم منشدا من بحر البسيط

قالوا سكوتك حرمان [illegible] لهم * [illegible]
ولو يكون كلامى حين أنشره * من الجواهر كان الصمت من ذهب

وقال بعضهم فى الصمت سبعة آلاف خير وقد اجتمع ذلك كله فى سبع كلمات فى كل كلمة منها ألف أولها أن الصمت عبادة من غير عناء والثانى زينة من غير حلى والثالث هيبة من غير سلطان والرابع حصن من غير حائط والخامس استغناء عن الاعتذار الى الناس والسادس راحة الكرام الكاتبين والسابع ستر لعيوبه لان الصمت زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاثة أشياء تميت القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة (واحفظ لسانك من ثمانية) أشياء (الاول الكذب) وهو من أقبح الذنوب وفواحش العيوب (واحفظه منه) أى الكذب (لسانك فى الجد والهزل) أى [illegible] (ولا تعود لسانك الكذب هزلا) أى لاتصير الكذب بالهزل [illegible] الى الجد) [illegible] الكذب فى الجد (والكذب من أمهات الكبائر) أى أصولها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

الاحصائد ألسنتهم فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لايكبك فى قعر جهنم ففى الخبر ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه فيهوى بها فى قعر جهنم سبعين خريفا وروى أنه قتل شهيد فى المعركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل هنيئا له بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لايعنيه ويبخل بما لايغنيه فاحفظ لسانك من ثمانية الاول الكذب واحفظ منه لسانك فى الجد والهزل ولا تعود لسانك الكذب هزلا فيتداعى الى الجد والكذب من أمهات الكبائر

يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ومايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا (ثم انك اذا عرفت) بين الناس (بذلك) أى الكذب (سقطت عدالتك) فلاتقبل شهادتك (والثقة بقولك) أى وسقط الائتمان بقولك (وتزدريك الاعين) أى ماتعدك شيأ (وتحتقرك) وهذا عطف تفسير (واذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر الى كذب غيرك والى نفرة) أى اعراض (نفسك عنه واستحقارك لصاحبه) أى الكذب (واستقباحك له) وفى نسخة لما جاء به أى من الكذب (وكذلك فافعل فى جميع عيوب نفسك فانك لاتدرى قبح عيوبك من نفسك بل) أنك تدرى ذلك (من غيرك فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لامحالة) أى لابد واعلم أن الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة اليه وان أمكن التوصل اليه بالكذب ولم يمكن بالصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا فاذا اختفى مسلم من ظالم وسأل عنه وجب الكذب باخفائه وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة وسأل عنها ظالم يريد أخذها وجب عليه الكذب باخفائها حتى لو أخبره بوديعة عنده فأخذها الظالم قهرا وجب ضمانها على المودع المخبر ولو استحلفه عليها لزمه أن يحلف ويورى فى يمينه فان حلف ولم يور حنث على الاصح ولزمته الكفارة وقيل لايحنث وكذلك لو كان المقصود تسكين حرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه فى العفو عن الجناية ولايحصل الا بكذب فالكذب ليس بحرام الا أنه ينبغى أن يحترز منه ما أمكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى الى مايستغنى عنه والى مالايقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما فى الاصل الا لضرورة بأن لم يحصل الغرض الا بالكذب والاحتياط فى هذا كله أن يورى ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا بالنسبة اليه وان كان كاذبا فى ظاهر اللفظ ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارة الكذب فليس بحرام فى هذا الموضع كذا فى الاذكار والاحياء (فلا ترض لنفسك) أى ماتقدم ذكره (الثانى الخلف فى الوعد فاياك أن تعد بشئ ولاتفى به بل ينبغى أن يكون احسانك الى الناس فعلا بلا قول فان اضطررت الى الوعد فاياك أن تخلف الا لعجز أو ضرورة فان ذلك) أى الاخلاف من غير ضرورة (من أمارات النفاق وخبائث الاخلاق قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن) أى اجتمعن (فيه فهو منافق) أى حاله يشبه حال المنافقين (وان صام) أى رمضان (وصلى) الصلاة المفروضة وزاد بعد ذلك فى رواية أبى يعلى ورسته بضم الراء وحج واعتمر وقال انى مسلم (من اذا حدث كذب) أى فى حديثه (واذا وعد أخلف) أى ماوعد به من غير عذر (واذا ائتمن خان) فيما جعل أمينا عليه وقال العزيزى والكلام فيمن صارت هذه الصفات ديدنه وشعاره لاتنفك عنها وروى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر أى مال فى الخصومة عن الحق واقتحم الباطل والمراد بالنفاق العمل لا الايمانى أو النفاق العرفى لا الشرعى لان الخلوص بهذين المعنيين لايستلزم الكفر الملقى فى الدرك الاسفل من النار كذا أفاد العزيزى (الثالث الغيبة فاحفظ لسانك عنها) أى وعن السكوت عليها رضا وتقريرا (والغيبة أشد من ثلاثين زنيه) بفتح الزاى وهى المرة من الزنا (فى الاسلام كذلك ورد فى الخبر ومعنى الغيبة أن تذكر انسانا بما يكرهه لو سمعه) سواء ذكرته بلفظك أو فى كتابك أو رمزت أو أشرت اليه بعينك أو يدك أو رأسك وضابط الغيبة كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فى بدنه أو نسبه أو خلقه أو فى فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى

ثم انك اذا عرفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك وتزدريك الاعين وتحتقرك واذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر الى كذب غيرك والى نفرة نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك له وكذلك فافعل فى جميع عيوب نفسك فانك لاتدرى قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لامحالة فلا ترض لنفسك ذلك الثانى الخلف فى الوعد فاياك أن تعد بشئ ولاتفى به بل ينبغى أن يكون احسانك الى الناس فعلا بلا قول فان اضطررت الى الوعد فاياك أن تخلف الا لعجز أو ضرورة فان ذلك من امارات النفاق وخبائث الاخلاق قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان الثالث الغيبة فاحفظ لسانك من الغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الاسلام كذلك ورد فى الخبر ومعنى الغيبة أن تذكر انسانا بما يكرهه لو سمعه

فأنت مغتاب ظالم وان كنت صادقا وإياك وغيبة القراء المرائين وهو ان تفهم المقصود من غير تصريح فتقول أصلحه الله فقد ساءنى
وغمنى ما جرى عليه فنسأل الله تعالى أن يصلحنا وإياه فإن هذا جمع بين خبيثين أحدهما الغيبة إذ حصل به التفهم
والآخر تزكية النفس
والثناء عليها بالتحرج
والصلاح ولكن ان كان
مقصودك من قولك أصلحه
الله الدعاء فادع له فى السر
وان اغتممت بسببه فعلامته
أنك لا تريد فضيحته واظهار
عيبه وفى اظهارك الغم بعيبه
اظهار تعييبه ويكفيك زاجرا
عن الغيبة قوله تعالى ولا
يغتب بعضكم بعضا أيحب
أحدكم أن يأكل لحم أخيه
ميتا فكرهتموه فقد شبهك
الله بآكل لحم الميتة فما
أجدرك أن تحترز منها
ويمنعك عن غيبة المسلمين
أمر لو تفكرت فيه وهو أن
تنظر فى نفسك هل فيك
عيب ظاهر أو باطن وهل
أنت مقارف معصية سرا
أو جهرا فإذا عرفت ذلك من
نفسك فاعلم أن عجزه عن
التنزه عما نسبته اليه كعجزك
وعذره كعذرك وكما تكره
ان تفتضح وتذكر عيوبك
فهو أيضا يكرهه فإن سترته
ستر الله عليك عيوبك وان
فضحته سلط الله عليك ألسنة
حدادا يمزقون عرضك فى
الدنيا ثم يفضحك الله فى
الآخرة على رؤس الخلائق
يوم القيامة وان نظرت الى
ظاهرك وباطنك فلم تطلع
فيهما على عيب ونقص فى
دين ولا دنيا فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة ولا عيب أعظم من الحمق ولو أراد الله بك

فى ثوبه وداره ودابته (فأنت مغتاب ظالم وان كنت صادقا) أى فى ذكرك ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته (وإياك) أى احذر تلاقيك (وغيبة القراء المرائين) وهو أخبث أنواع الغيبة رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم (وهو أن تفهم المقصود) بطريق الصالحين اظهارا من نفسك للتعفف عن الغيبة (من غير تصريح) بل بتعريض لشخص معين أما حى وأما ميت تعريضا يفهم به كما يفهم بالصريح (فتقول) اذا قيل لك مثلا كيف حال فلان (أصلحه الله فقد ساءنى) أى أحزننى (وغمنى ما جرى عليه) أى من الدخول على السلطان مثلا أو من التبذل فى طلب الحطام أو من قلة الحياء (فنسأل الله تعالى أن يصلحنا وإياه فإن هذا) أى القول (جمع بين خبيثين أحدهما الغيبة اذ حصل به) أى بهذا القول (التفهم) أما اذا لم يفهم عين الشخص جاز القول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيأ قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا فكان لا يعين (والآخر تزكية النفس) أى مدحها (والثناء عليها بالتحرج) أى بحكمك على الغير بالاثم (والصلاح) أى لنفسك فتذكر نفسك ومقصودك أن تذم غيرك فى ضمن ذلك وتمدح نفسك بالصلاح فى ذم غيرك فتجمع بين خبيثين الغيبة وتزكية النفس بل أربعة وهى أيضا الرياء وظن صلاح نفسك فإنك ترائى وتظن بجهلك انك من الصالحين المتعففين عن الغيبة ومنشأ ذلك الجهل فإن من تعبد على جهل لعب به الشيطان ومن ذلك أنه يذكر عيب انسان ويذكر الله تعالى ويستعمل اسمه تعالى آلة له فى تحقيق خبثه وأيضا أنت تكون كاذبا فى دعوى الحزن والاهتمام وفى اظهار الدعاء (ولكن ان كان مقصودك من قولك أصلحه الله تعالى الدعاء) لذلك الشخص (فادع له فى السر) عقب صلاتك (وان اغتممت بسببه) أى ذلك الشخص (فعلامته) أى الاغتمام (أنك لا تريد فضيحته) أى كشف مساويه (واظهار عيبه) وهذا عطف تفسير بل تكره ذلك (وفى اظهارك الغم بعيبه اظهار تعييبه) أى اظهارك نسبته الى العيب (ويكفيك زاجرا عن الغيبة) زاجرا تمييز (قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا) قال الشربينى أى ولا يتعمد أن يذكر بعضكم بعضا أى فى غيبته بما يكره (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أى الأكل أو اللحم أو الميت (فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة) ففى هذا التشبيه اشارة الى أن عرض الانسان كدمه ولحمه لأن الانسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم (فما أجدرك) أى فأنت حقيق (أن تحترز منها) أى الغيبة (ويمنعك عن غيبة المسلمين أمر لو تفكرت فيه) لانصفت (وهو أن تنظر فى نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن وهل أنت مقارف) أى فاعل (معصية سرا أو جهرا فإذا عرفت ذلك) أى العيب والمعصية (من نفسك فاعلم أن عجزه) أى الشخص الذى اغتبته (عن التنزه) أى التباعد (عما) أى عن شىء (نسبته اليه) أى ذلك الشخص (كعجزك) عن ذلك (وعذره) أى كثرة عيوبه وذنوبه (كعذرك) أى ككثرة عيوبك وذنوبك كما قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه (وكما تكره) أنت (أن تفتضح) أى تنكشف مساويك (وتذكر عيوبك) بحضرة غيرك (فهو) أى الشخص المغتاب (أيضا يكرهه) أى الفضيحة وذكر العيوب (فإن سترته) أى ذلك الشخص (ستر الله عليك عيوبك وان فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادا) بكسر الحاء (يمزقون عرضك) بكسر العين (فى الدنيا ثم يفضحك الله فى الآخرة على رؤس الخلائق يوم القيامة وان نظرت الى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص فى دين ولا دنيا) بضم الدال وكسرها (فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة) أى الفساد فى العقل (ولا عيب أعظم من الحمق ولو أراد الله بك) الخير

بمعنى اللام كما فى بعض النسخ لك باللام (خيرا لبصرك بعيوب نفسك فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك) أى قلة فطنتك (وجهلك) وأكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق الاول أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويتبع اشارته فى مجاهدته الثانى أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه الثالث أن يستفيد معرفة نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدى المساوى الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل قوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه الرابع أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به فان المؤمن مرآة المؤمن (ثم ان كنت صادقا فى ظنك) أنك لم تنقص فى دينك ودنياك (فاشكر الله تعالى عليه) أى على كمالك فى دين ودنيا (ولا تفسده) أى الدين والدنيا (بثلب الناس) أى بلومهم وتعييبهم وهو بالثاء المثلثة فاللام (والتمضمض) أى التصوت (بأعراضهم) أى بشتم نفوسهم وهذا عطف مرادف (فان ذلك من أعظم العيوب) وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم والغيبة وذكر الناس فانه داء واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوى انسان يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث والمراد بالظن جزم القلب بسببه على غيرك بالسوء فأما الخواطر وحديث النفس اذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء لانه لا اختيار له فى وقوعه ولا طريق له الى الانفكاك عنه وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها مالم تتكلم به أو تعمل قال العلماء والمراد بذلك الخواطر التى لا تستقر سواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفرا أو غيره فمن خطر له الكفر بمجرد خطور من غير تعمد لتحصيله ثم صرفه فى الحال فليس بكافر ولا شئ عليه وسبب العفو تعذر اجتنابه وانما الممكن اجتناب الاستمرار عليه فلهذا كان الاستمرار وعقد القلب حراما ومهما عرض لك هذا الخاطر بالغيبة وغيرها من المعاصى وجب عليك دفعه بالاعراض عنه وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره كذا فى أذكار النووى (الرابع) من الثمانية (المراء والجدال) هذا من عطف الاعم على الاخص لان المراء هو الطعن فى القول والتزييف له والتصغير لقائله وليس فى ذلك غرض سوى ذلك ولا يكون المراء الا اعتراضا على كلام سبق بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء واعتراضا ويتعلق باظهار المذاهب وتقريرها (ومناقشة الناس فى الكلام) أى الاستقصاء فى الكلام مع الناس وهذا هو المسمى بالخصومة فانه لجاج فى الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا (فذلك) أى المذكور (فيه ايذاء) أى ايصال المكروه (للمخاطب وتجهيل له وطعن) أى قدح (فيه) أى المخاطب وفى الحديث لا يكون المؤمن طعانا أى فى أعراض الناس (وفيه) أى المذكور (ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة) بكسر الفاء (والعلم ثم هو مشوش) أى مكدر (للعيش فانك لا تمارى سفيها) أى غير حليم (الا ويؤذيك ولا تمارى حليما) أى متأنيا فى الامر (الا ويقليك) أى يبغضك (ويحقد عليك) أى يمسك عداوتك فى قلبه ويتربص لفرصتها ومن بدأ بالخصومة فقد شوش خاطره حتى أنه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه (وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل) أى مدع بطلانه (بنى الله له بيتا فى ربض الجنة) أى فيما حولها والربض هو بفتح الراء والباء الموحدة (ومن ترك المراء وهو محق) أى مدع أنه على الحق (بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة) أى لشدة ذلك على النفس

خيرا لبصرك بعيوب نفسك فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك ثم ان كنت صادقا فى ظنك فاشكر الله تعالى عليه ولا تفسده بثلب الناس والتمضمض باعراضهم فان ذلك من أعظم العيوب (الرابع) المراء والجدال ومناقشة الناس فى الكلام فذلك فيه ايذاء المخاطب وتجهيل له وطعن فيه وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم ثم هو مشوش للعيش فانك لا تمارى سفيها الا ويؤذيك ولا تمارى حليما الا ويقليك ويحقد عليك فقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة

ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان ويقول لك أظهر الحق ولا تداهن فيه فان الشيطان أبدا يستجر الحمق الى الشر في معرض الخير

فلا تكن ضحكة للشيطان فيسخر منك فاظهار الحق حسن مع من يقبله منك وذلك بطريق النصيحة في الخفية لا بطريق المماراة والنصيحة صفة وهيئة ويحتاج فيها الى تلطف والا صارت فضيحة وكان فسادها أكثر من صلاحها ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت اذ ألقى اليه علماء السوء ان ذلك هو الفضل والقدرة على المحاجة والمناقشة هو الذى يتمدح به ففر منهم فرارك من الاسد واعلم أن المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق الخامس تزكية النفس فقد قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وقيل لبعض الحكماء ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه فاياك أن تعود ذلك واعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس ويوجب مقتك عند الله تعالى فاذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك فانظر الى أقرانك اذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكره قلبك عليهم ويستثقله طبعك وكيف تذمهم عليه اذا فارقتهم فاعلم أنهم أيضا في حال تزكيتك لنفسك يذمونك في قلوبهم ناجزا وسيظهرونه بألسنتهم اذا فارقتهم

وتحصل بجواز ترك المراء اذا لم يلزم على ذلك ضياع الحق الواجب وظهور المفسدة وفي رواية لابي داود والترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له بيت في وسطها ومن حسن خلقه بنى له بيت في أعلاها (ولا ينبغي) أي لا يليق (أن يخدعك الشيطان ويقول لك أظهر الحق ولا تداهن) أي لا تلن (فيه) أي الحق (فان الشيطان) الفاء للتعليل (أبدا يستجر الحمق الى الشر في معرض الخير) أي في مسلكه (فلا تكن ضحكة) بضم ففتح أي كثير الضحك (للشيطان فيسخر منك) وفي بعض النسخ بك (فاظهار الحق حسن مع من يقبل منك وذلك) أي كون اظهار الحق حسنا (بطريق النصيحة في الخفية لا بطريق المماراة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وقال أيضا الكلمة الطيبة صدقة (والنصيحة صفة وهيئة) كتليين الكلام وخفية المكان (ويحتاج فيها) أي النصيحة (الى تلطف) أي ترفق في الحال والمقال (والا صارت فضيحة) أي كشف عيب (وكان فسادها) أي الفضيحة (أكثر من صلاحها ومن خالط متفقهة العصر) أي من عاشر المتفقهة في هذا الزمان (غلب) أي كثر (على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت اذ ألقى اليهم) أي لانه علمهم (علماء السوء أن ذلك) أي المراء والجدال (هو الفضل) أي الخير (و) أن (القدرة على المحاجة) أي المغالبة في الحجة (والمناقشة) أي استقصاء الكشف في الشيء (هو الذى يتمدح به ففر منهم) أي علماء السوء (فرارك من الاسد واعلم أن المراء سبب المقت) أي البغض (عند الله وعند الخلق) قال عليه السلام ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقال أبو الدرداء كفى بك اثما أن لا تزال مماريا وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل به (الخامس تزكية النفس) أي مدحها بالطهارة عن الدناءة على سبيل الاعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن لان التحدث بها شكرها وانما جاز اذا قصد به الشكر وأن تقتدي به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل كذا أفاده الشربيني (فقد قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم) بأن يثني الانسان على نفسه (هو) أي الله تعالى (أعلم) أي منكم ومن جميع الخلق (بمن اتقى) أي فانه يعلم المتقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم عليه السلام (وقيل لبعض الحكماء) أي الواضعين الشيء في محله وهم الاولياء الصالحون وليس المراد بالحكماء هنا الاطباء بل المراد بهم أطباء القلوب (ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه) وهو من علامات كونه محجوبا عن الله تعالى كما نقله الشربيني عن القشيري (فاياك) أي احذر (أن تعود ذلك) أي أن تصير تزكية النفس عادة لك (واعلم أن ذلك) أي تزكية النفس (ينقص من قدرك) أي قيمتك (عند الناس ويوجب مقتك) أي بغضك (عند الله تعالى فاذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك) بل ينقصه عنده (فانظر الى أقرانك) جمع قرن وهو أهل زمان واحد (اذا أثنوا على أنفسهم بالفضل) على غيرهم (والجاه) أي المنزلة (والمال) وبالبركة والطهارة عن الدناءة (كيف يستنكره) أي الثناء (قلبك عليهم ويستثقله طبعك وكيف تذمهم عليه) أي الثناء (اذا فارقتهم) من ذلك المجلس واذا كان الامر كذلك (فاعلم أنهم) أي الاقران (أيضا في حال تزكيتك نفسك يذمونك في قلوبهم ناجزا) أي حاضرا (وسيظهرونه) أي الذم عليك (بألسنتهم اذا فارقتهم) فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه لان الطباع متقاربة في

السادس اللعن فإياك أن تلعن شيأ مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو انسان بعينه ولا تقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو نفاق فان المطلع على السرائر هو الله تعالى فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك لم لم تلعن فلانا ولم سكت عنه بل لو لم تلعن ابليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة واذا لعنت أحدا من خلق الله تعالى طولبت به ولا تذمن شيأ مما خلق الله تعالى فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يذم الطعام الردىء قط بل كان اذا اشتهى شيأ أكله والا تركه السابع الدعاء على الخلق فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وان ظلمك فكل أمره الى الله تعالى ففي الحديث ان المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافئه ثم يبقى للظالم فضل عنده يطالبه به يوم القيامة وطوّل بعض الناس لسانه على الحجاج فقال بعض السلف ان الله لينتقم للحجاج ممن تعرّض له بلسانه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه

اتباع الهوى وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدّب قال النووي اعلم أن ذكر محاسن نفسه ضربان مذموم ومحبوب فالمذموم أن يذكره للافتخار واظهار الارتفاع والتميز على الاقران وشبه ذلك والمحبوب أن يكون فيه مصلحة دينية وذلك بأن يكون آمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر أو ناصحا أو مشيرا بمصلحة أو معلما أو مؤدّبا أو واعظا أو مذكرا أو مصلحا بين اثنين أو يدفع عن نفسه شرا أو نحو ذلك فيذكر محاسنه ناويا بذلك أن يكون هذا أقرب الى قبول قوله واعتماد ما يذكره أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به أو نحو ذلك (السادس) من الثمانية (اللعن) وهو الابعاد عن رحمة الله تعالى (فإياك) أي احذر (أن تلعن شيأ مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو انسان بعينه) ولو كافرا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فذلك خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى أما اللعن بالوصف الاعم فيجوز كقولك لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصوّرين ونحو ذلك (ولا تقطع) أي لا تجزم (بشهادتك على أحد من أهل القبلة) اى المسلمين (بشرك أو كفر أو نفاق) فان ذلك أمر صعب جدا (فان المطلع على السرائر هو الله تعالى فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى) قال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه فان قيل هل يجوز لعن اليزيد لانه قاتل الحسين أو أمر به قلنا هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال أنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا تجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر فان ذلك ثبت متواترا كما في الاحياء (واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك لم لم تلعن فلانا ولم سكت عنه بل لو لم تلعن ابليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره) أي ابليس (لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة) وليس في السكوت خطر (واذا لعنت أحدا من خلق الله تعالى طولبت به) أي باللعن (وسئلت عنه) فاذا لعنت ما لا يستحق اللعن فلتبادر بقولك الا أن يكون لا يستحق كذا في أذكار النووي (ولا تذمن شيأ مما خلق الله تعالى فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يذم الطعام الردىء) أي الخسيس (قط) بضم الطاء مشددة (بل كان اذا اشتهى شيأ) من الطعام (أكله والا تركه) من غير ذم ومن الالفاظ المذمومة المستعملة في العادة قوله لمن يخاصمه يا حمار يا تيس يا كلب فهذا قبيح لوجهين أحدهما أنه كذب والآخر أنه ايذاء وهذا بخلاف قوله يا ظالم ونحوه فان ذلك يتسامح به لضرورة المخاصمة مع أنه يصدق غالبا فما انسان الا وهو ظالم لنفسه ولغيره كذا في أذكار النووي (السابع الدعاء على الخلق) بالهلاك (فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وان ظلمك) أي أحد (فكل) أي فوّض (أمره) أي الظالم (الى الله تعالى) واكتف به تعالى (ففي الحديث ان المظلوم ليدعو على ظالمه) بالهلاك (حتى يكافئه) أي يقابله في ثقل المظلمة (ثم يبقى للظالم فضل) أي زيادة (عنده) أي المظلوم (يطالبه به) أي يطلب الظالم من المظلوم ذلك الفضل (يوم القيامة وطوّل بعض الناس لسانه على الحجاج) بن يوسف الثقفي وهو أمير عام لكنه ظالم (فقال بعض السلف) الصالح وهو الامام محمد بن سيرين امام المعبرين نهيا عن تطويل الكلام على الحجاج (ان الله لينتقم) أي ليعاتب (للحجاج) أي لاجله (ممن تعرض له) أي الحجاج (بلسانه) فقوله ممن معمول لينتقم والضمير المجرور باللام يعود اليه كالضمير المستتر في ظلم (كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه) أي لاجل من ظلمه فانه قتل وصلب سيدنا عبد الله بن الزبير وهو صحابي ثم لما قتل سعيد بن جبير أحد اكابر التابعين والعلماء العاملين لم يزل دمه يغلي حتى ملأ أثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره ولم يخمد في نفسه ولم ير شيئا أكثر دماء من الانسان فلم يزل الحجاج بذلك فزعا حتى

منع

منع منها النوم فيقول مالي ولك يا سعيد بن جبير ستة أشهر ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الارض وبقي بعد سعيد بن جبير ستة أشهر ونقل أن المسجونين قد وجدوا بعد موته ثلاثة وثلاثين ألفا من المظلومين وقد أحصى من قتله الحجاج صبرا فوجد مائة ألف وعشرين ألفا كذا في شرح الشفاء (الثامن) وهو تمام ما يطلب حفظ اللسان منه (المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس) والمراد بالمزاح هنا الهزل المذموم ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة (فاحفظ لسانك منه) أي المذكور من المزاح وما بعده (في الجد) بكسر الجيم (والهزل فانه) أي المذكور (يريق ماء الوجه ويسقط المهابة) أي الاجلال والمخافة (ويستجر الوحشة) أي الهم والخوف والخلوة (ويؤذي القلوب) أي قلوب الاقران (وهو مبدأ اللجاج) أي الخصومة (والغضب والتصارم) أي التقاطع في الصحبة (ويغرس) بكسر الراء أي يثبت (الحقد) أي الاحتواء على العداوة (في القلوب فلا تمازح أحدا) أبدا (فان مازحك أحد فلا تجبه) وفي بعض النسخ وان مازحوك فلا تجبهم (وأعرض) أي تول (عنهم) أي المازحين (حتى يخوضوا) أي يدخلوا (في حديث) أي خبر (غيره) أي المزاح (وكن من الذين اذا مروا باللغو) أي الذي ينبغي أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كراما) أي آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ان تعلق بهم أمر أو نهي اشارة أو عبارة على حسب ما يرونه نافعا فان لم يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكف عما يستهجن التصريح به كذا في السراج المنير وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح وتحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال أي الصالحين (فهذه) أي الثمانية المذكورة (مجامع آفات اللسان ولا يعينك) أي لا يساعدك (عليه) أي اللسان (الا العزلة) أي عن الناس (أو ملازمة الصمت الا بقدر الضرورة) أي الحاجة قال صلى الله عليه وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت وفي الحكمة لسانك أسدك ان أطلقته فرسك وان أمسكته حرسك (فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يضع حجرا في فيه ليمنعه) أي أبا بكر (ذلك) أي الحجر (من الكلام بغير ضرورة) أي في غير ما ينفع في الدنيا والآخرة (ويشير الى لسانه) وفي رواية يمسك لسانه (ويقول) أي عند الاشارة (هذا) أي اللسان (الذي أوردني الموارد) أي أحضرني المحال فلما مات رضي الله عنه رؤي في المنام فقيل له ما الذي أوردك لسانك قال قلت لا اله الا الله فأوردني الجنة (فاحترز منه) أي آفات اللسان (بجهدك) بفتح الجيم أي طاقتك (فانه) أي اللسان (أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة) وفي الحديث طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وروي عن الاوزاعي أنه قال المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل وقد قال أبو بكر بن خلف النعمي نظما من بحر الطويل

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمي برأسه * وعثرته بالرجل تبرى على مهل

(وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة) فالحرام المحض ما يكون به علمك وغالب ظنك بكونه منهيا عنه في الشرع واذا تساوت الامارتان الدالتان على الحل والحرمة حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة يشبه أنه حلال ويشبه أنه حرام فتشابه أمره عليك كذا في منهاج العابدين

الثامن المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فاحفظ لسانك منه في الجد والهزل فانه يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجر الوحشة ويؤذي القلوب وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم ويغرس الحقد في القلوب فلا تمازح أحدا فان مازحك أحد فلا تجبه وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكن من الذين اذا مروا باللغو مروا كراما فهذه مجامع آفات اللسان ولا يعينك عليه الا العزلة أو ملازمة الصمت الا بقدر الضرورة فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يضع حجرا في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ويشير الى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد فاحترز منه بجهدك فانه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة

وقال ابراهيم الشبرخيتى وقد اختلفوا فى الشبهة على أقوال فقيل هو ما اختلف فيه العلماء كالخيل فانها محرمة عند مالك ومباحة عند غيره وقيل هو المكروه وبه قال الماوردى لانه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه وقيل هو معاملة الانسان من فى ماله شبهة أو من خالط ماله الحرام وبه قال الخطابى وقيل هو مالم يرد فيه نص من الشارع بتحليل ولا تحريم كنبات غير مألوف لم تعرف العرب هل هو مضر أم لا (واحرص) أى اجتهد (على طلب الحلال) فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود والحلال فسره الامام مالك والشافعى بما لم يرد بتحريمه دليل وأبو حنيفة بما دل دليل على حله وتظهر ثمرة الخلاف فى المسكوت عنه الذى جهل أصله فعند مالك والشافعى هو من الحلال اذ هو الاشبه بيسر الدين وعند الحنفى هو من الحرام (فاذا وجدته) أى الحلال (فاحرص على أن تقتصر منه على مادون الشبع) ومراتب الاكل سبعة الاول أن يأكل ما تحصل به الحياة فقط الثانى ان يزيد على ذلك مقدار ما تحصل له به قوة على أداء الفرائض الخمس من قيام دون النوافل وهذان واجبان ومثلهما أكل ما يقويه على صوم واجب الثالث أن يأكل ما تحصل له به قوة على صيام النفل وصلاة النافلة من قيام وهذا مستحب الرابع أن يأكل ما يقيم به صلبه للكسب والعمل وهذا هو الشبع الشرعى الخامس ان يملأ ثلث بطنه ومن ستة أشبار لان مصران الانسان طوله ثمانية عشر شبرا وهذا هو الشبع المعتاد وهذا لا كراهة فيه ان أكل من طعام نفسه وأما ان أكل على مائدة الغير فقال القرافى ان ذلك حرام فان الزيادة على الشبع الشرعى لا تجوز الا أن يعلم رضا الداعى بأكل الزائد فله أن يأكل ما شاء السادس أن يأكل زيادة على قدر ثلث المصران وهو مكروه وبه يحصل للانسان الثقل والنوم وعلى هذا القسم غالب عادة الناس السابع أن يأكل زيادة على ذلك الى أن يتضرر وهو البطنة وهذا حرام كذا فى شرح المنظومة لابن العماد (فان الشبع) أى المعتاد (يقسى القلب) الفاء للتعليل (ويفسد الذهن) أى الفطنة (ويبطل الحفظ) أى التيقظ (ويثقل الاعضاء عن العبادة والعلم) أى الاشتغال بهما (ويقوى الشهوات) وهى اشتياق النفس الى الشئ (وينصر جنود الشيطان) وهى عشرة الظلم والخيانة والكفر وترك حفظ الامانة والنميمة والنفاق والخديعة والشك فى الواحد الخلاق والخالفة لما أمر به ذو الاجلال والاكرام والتغافل عن سنة النبى صلى الله عليه وسلم كذا أفاده الهمدانى قال لقمان لابنه يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة قال بعض الحكماء من كثر أكله كثر شربه ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه كثر لحمه ومن كثر لحمه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق فى الآثام (والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام) قال الشعرانى فان أكل الحرام أو الشبهة يظلم القلب ويحجبه عن دخول حضرة الله تعالى ويخلق الثياب (وطلب الحلال فريضة على كل مسلم) وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهما وأثقلها على الجوارح فعلا اذا ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن سبيل الوصول اليه مسدود وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات كذا فى الاحياء (والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين) بكسر السين أى الزبل وقال ابراهيم ابن أدهم طيب مطعمك وما عليك بعد ذلك أن لا تصوم النهار ولا تقوم الليل يعنى نفلا (فاذا قنعت) بكسر النون أى رضيت (فى السنة بقميص خشن وفى اليوم والليلة برغيفين من الخشكار) أى الردىء من كل شئ أو من شعير (وتركت التلذذ بأطيب الادم) بضمتين جمع ادام ككتب وكتاب وهو ما يسيغ الطعام الى الحلق كاللحم مثلا فانه ادام للخبز مثلا (لم يعوزك) أى لم يحوجك (من الحلال ما يكفيك) أى من اللباس

واحرص على طلب الحلال فاذا وجدته فاحرص على أن تقتصر منه على مادون الشبع فان الشبع يقسى القلب ويفسد الذهن ويبطل الحفظ ويثقل الاعضاء عن العبادة والعلم ويقوى الشهوات وينصر جنود الشيطان والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام وطلب الحلال فريضة على كل مسلم والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين فاذا قنعت فى السنة بقميص خشن وفى اليوم والليلة برغيفين من الخشكار وتركت التلذذ بأطيب الادم لم يعوزك من الحلال ما يكفيك

والقوت والادام (والحلال كثير) فليس الامر كما قال الجهال لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت فى الموات وما عداه فقد أخبثته الايدى العادية وأفسدته المعاملات الفاسدة (وليس عليك أن تتيقن) وفى نسخة أن تتق أى تفتش (بواطن الامر بل عليك) أى الزم (أن تحترز مما تعلم) أى تتيقن (أنه) أى هذا المال (حرام) وهو ما منع منه شرعا اما لصفة فى ذاته ظاهرة كالسم والخمر أو خفية كذكى المجوسى واما لخلل فى تحصيله كالربا والغصب والسرقة (أو تظن أنه) أى المال (حرام ظنا) غالبا (حصل من علامة ناجزة) أى ظاهرة (مقرونة بالمثال) وفى نسخة مقدرة بالمثال وهذا من الحرام المحض على ما حسنه الغزالى لان غلبة الظن مما تجرى مجرى العلم فى كثير من الاحكام وقيل ان هذا من الشبهات لانه لم يوجد منه يقين فى الحرمة (أما المال (المعلوم) أى المتيقن حرمته أو حله (فظاهر) أى متضح فى الحرمة كالمذكور قريبا ومنكشف فى الحل كالمأخوذ بالتراضى اما بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما بغير عوض كالهبة والصدقة والوصية والمأخوذ كرها اما لسقوط عصمة المالك كالغنائم وسائر أملاك الكفار الذين ليس لهم أمان وعهد وذمة فهذا حلال اذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل أو لاستحقاق الآخذ كالزكاة من الممتنعين والنفقات الواجبات هذا كله مأخوذ من المالك والمأخوذ من غير مالك كالاشياء المباحة التى لم يسبق عليها ملك لاحد كالاصطياد والاحتطاب والاحتشاش والاستقاء من الانهار واحياء الموات وهذا كله مأخوذ بالاختيار والمأخوذ بغير الاختيار كالارث فهذا كله حلال اذا روعيت شروط الشرع فى تحصيله (وأما) المال (المظنون) فى حرمته (بعلامة فهو مال السلطان و) مال (عماله) أى السلطان وهو جمع عامل وهو من يتولى على البلاد كالباشا والقائم مقامه لعدم تيقن حرمته واختلف العلماء فى جوائزهم فى هذا الزمان فقيل يجوز لنا أخذها لعدم تيقن حرمتها وقيل لا يحل لان الاغلب فى هذا الزمان على أموالهم الحرمة وقيل ان صلاتهم تحل للغنى والفقير اذا لم يتحقق أنها حرام وانما التبعة على المعطى وقيل لا يحل من أموالهم شىء لغنى ولا لفقير اذ هم موسومون بالظلم والغالب على مالهم الحرام والحكم للغالب وقيل تحل ذلك للفقير فقط الا أن يعلم أنه عين الغصب فليس له أن يأخذ مالا الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير أن يأخذ من أموال السلطان لانها ان كانت ملكه فلا ريب فى حل أخذ الفقير وان كانت من فىء أو عشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل العلم قال على ابن أبى طالب من دخل الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله فى بيت مال المسلمين كل سنة مائتا درهم ان لم يأخذها فى الدنيا أخذها فى الآخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذان حقهما قال العلماء واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه أو غصبا لا يمكن رده على صاحبه وذريته فلا خلاص للسلطان منه الا بأن يتصدق به فاذن للفقير أن يأخذ الا عين الغصب والحرام فليس له أخذه وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتحقيق هذا التحصيل فى منهاج العابدين (ومال من لا كسب له الا من النياحة) بكسر النون أى من أجرة البكاء على الميت (أو بيع الخمر) ونحوها من المحرمات (أو) من تحصيل (الربا أو) من اللهو كـ(المزامير وغير ذلك من آلات اللهو المحرمة فان من علمت ان أكثر ماله) أى من لا كسب له الا ذلك (حرام قطعا) أى جزما لا شك (فما تأخذه من يده وان أمكن أن يكون) أى المأخوذ (حلالا نادرا) أى فى النادر أى قليل (فهو حرام لانه الغالب على الظن) قال الشبرخيتى فى الفتوحات الوهبية نقلا عن مختصر احياء علوم الدين ومن جملة الشبهات أن يكون الشىء مما تقدم اشترى فى الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا أن يكون تسلم قبل دفع الثمن بطيب نفس البائع وأكل قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا يتركه ... المال فى مقابلته من الحرام حراما وغيره شبهة لا تبرأ ذمته ... الثمن ...

والحلال كثير وليس عليك أن تتيقن بواطن الامور بل عليك أن تحترز مما تعلم أنه حرام أو تظن أنه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقدرة بالمثال أما المعلوم فظاهر وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله ومال من لا كسب له الا من النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المزامير وغير ذلك من آلات اللهو المحرمة فان من علمت ان أكثر ماله حرام قطعا فما تأخذه من يده وان أمكن ان يكون حلالا نادرا فهو حرام لانه الغالب على الظن

يحرمها أكله (ومن الحرام المحض) أى الخالص الذى لايخالطه حلال (مايؤكل من الاوقاف من غير شرط الواقف) لقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عند شروطهم (فمن لم يشتغل بالفقه فما يأخذه من المدارس) أى من الاموال الموقوفة على من اشتغل بمحال درس العلم (حرام) لانه لم يستحق المأخوذ لان الموقوف على مشتغل العلم يحمل على مشتغل الفقه لان العلم الشرعى ثلاثة الفقه والحديث والتفسير (ومن ارتكب) أى أتى (معصية ترد بها الشهادة) كقتل وزنا وقذف وشهادة زور وكاصرار على صغيرة (فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أوغيره) كصدقة معينة على الصوفية (فهو حرام) لانه لم يستحق ذلك لان الصوفية هم الذين وقفوا مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا (وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام) وأصنافها ودرجاتها (فى كتاب مفرد) وهو كتاب الحلال والحرام (من كتب احياء علوم الدين فعليك بطلبه) أى الكتاب المفرد لكن تلخيصه مسطور فى هذا الشرح (فان معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس) لقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال واجب على كل مسلم رواه الديلمى عن أنس أى طلب معرفة الحلال من الحرام واجب أو المعنى طلب الكسب الحلال واجب كذا نقل العزيزى عن المناوى وقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة رواه الطبرانى عن ابن مسعود أى الكسب الحلال لمؤنة النفس والعيال فرض بعد الايمان والصلاة أو بعد جميع مافرض الله فطلب مايحتاجه لنفسه وعياله واجب دون مازاد على الكفاية كما قاله العزيزى وقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال جهاد رواه القضاعى عن ابن عباس أى ثوابه كثواب الجهاد * (وأما الفرج فاحفظه عن كل ماحرم الله تعالى) كالزنا واللواط والمساحقة للمرأة مع مثلها والمفاخذة للرجل مع مثله والاستمناء باليد والوطء فى الحيض وفى الطهر قبل الغسل منه واتيان البهيمة (وكن كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم) فى الجماع ومقدماته (حافظون) أى دائما لايتبعون بها شهوتها والفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (الا على أزواجهم) اللاتى استحقوا ابضاعهن بعقد النكاح (أوماملكت أيمانهم) رقابه من الاماء (فانهم غير ملومين) على ذلك اذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المأتى وفى حال الحيض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الامة قبل الاستبراء فانه حرام ومن فعله فانه ملوم (ولاتصل الى) حقيقة (حفظ الفرج الا بحفظ العين عن النظر) فيما لايجوز شرعا (وحفظ القلب عن التفكر) فى محاسن مايشتهى (وحفظ البطن عن الشبهة) وعن الحرام بطريق الاولى (وعن الشبع) كما مر تفصيله (فان هذه) أى الاربعة التى هى النظر والفكر والشبهة والشبع (محركات الشهوة ومغارسها) أى اصولها (وأما اليدان فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلما) أو ذميا بغير مسوغ شرعى كالضرب فى الوجه أو تقتله بهما بمباشرة أو بسبب كحفر البئر عدوانا قال صلى الله عليه وسلم لو أن أهل السماء وأهل الارض اشتركوا فى دم مؤمن لاكبهم الله فى النار (أو تتناول بهما مالا حراما) كالحاصل بتطفيف الكيل والوزن وبالسرقة (أو تؤذى بهما أحدا من الخلق) كالدعة والدفع (أو تخون بهما فى أمانة أو وديعة) فالامانة هى مايستحفظ عند الامين والوديعة مايكون عندك من مال الغير (أو تكتب بهما مالايجوز النطق به فان القلم أحد اللسانين فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان منه) كما قال ذو النون المصرى تقدما من بحر الوافر

ومامن كاتب الاسيبلى * ويبقى الدهر ماكتبت يداه
فلاتكتب بكفك غيرشئ * يسرك فى القيامة أن تراه

(وأما الرجلان فاحفظهما عن أن تمشى بهما الى حرام) كالمشى لاجل غيبة أو لتجسس عورات المسلمين

من الاوقاف من غير شرط الواقف فمن لم يشتغل بالفقه فما يأخذه من المدارس حرام ومن ارتكب معصية ترد بها شهادته فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أوغيره فهو حرام وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام فى كتاب مفرد من كتب احياء علوم الدين فعليك بطلبه فان معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس (وأما الفرج) فاحفظه عن كل ماحرم الله تعالى وكن كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ولاتصل الى حفظ الفرج الا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكر وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع فان هذه محركات الشهوة ومغارسها وأما اليدان فاحفظهما عن ان تضرب بهما مسلما أو تتناول بهما مالا حراما أو تؤذى بهما أحدا من الخلق أو تخون بهما فى أمانة أو وديعة أو تكتب بهما مالايجوز النطق به فان القلم أحد اللسانين فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه وأما الرجلان فاحفظهما عن ان تمشى بهما الى حرام

أوتسعى بهما الى باب سلطان ظالم فان المشي الى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وارهاق معصية كبيرة فانه تواضع واكرام لهم على ظلمهم وقد أمر الله تعالى بالاعراض عنهم في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية وهو تكثير لسوادهم وان كان ذلك لسبب طلب مالهم فهو سعى الى حرام وقد قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني صالح لغناه ذهب ثلثا دينه وهذا في غني صالح فما ظنك بالغني الظالم وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك فلا تحرك شيأ منها في معصية الله تعالى أصلا واستعملها في طاعة الله تعالى واعلم انك ان قصرت فعليك وباله وان شمرت فاليك تعود ثمرته والله غني عنك وعن عملك وانما كل نفس بما كسبت رهينة واياك أن تقول ان الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاة فان هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها ملقب بالحماقة بتلقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني (واعلم) أن قولك هذا يضاهي قول من يريد أن يصير فقيها في علوم الدين من غير أن يدرس علما واشتغل بالبطالة وقال ان الله كريم رحيم قادر على أن يفيض على قلبي من العلوم ما أفاضه على قلوب أنبيائه وأوليائه من غير جهد وتكرار وتعلم

(أوتسعى) أي تذهب (بهما الى باب سلطان ظالم) مع الرضا بظلمه كذا قاله ابن حجر (فان المشي الى السلاطين الظلمة) بفتحات (من غير ضرورة) أي حاجة شرعية (وارهاق) بالراء أي اتيان (معصية كبيرة) قوله فان المشي تعليل للنهي عن السعي الى باب السلطان وفي نسخة فالمشي وقوله كبيرة خبره (فانه) أي المشي اليهم (تواضع واكرام لهم) على ظلمهم (وقد أمر الله تعالى بالاعراض عنهم) أي الظلمة (في قوله تعالى ولا تركنوا) أي لا تميلوا ولا تسكنوا (الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية وهو) اى المشي اليهم (تكثير لسوادهم) اى لجماعتهم واعانة لهم على ظلمهم وفي الخبر خير الامراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الامراء وفي الخبر العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم وقال أبو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم ومثل السلاطين عمالهم قال الاوزاعي ما من شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا (وان كان ذلك) أي المشي اليهم (لسبب طلب مالهم فهو سعي الى حرام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني صالح لغناه ذهب ثلثا دينه) قيل والمراد بالدين هنا الادب والمعنى ان الآداب ثلاثة أدب مع الله وأدب مع رسول الله وأدب مع عامة الناس فاذا تواضع لغني ذهب الادبان وهما الادب مع الله والادب مع رسوله وبقي أدب واحد (وهذا) أي حصول ذهاب ثلثي الدين (في غني صالح فما ظنك بالغني الظالم وعلى الجملة) أي أقول قولا كائنا على الجملة (فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك فلا تحرك شيأ) أي جزأ (منها) أي الاعضاء (في معصية الله تعالى أصلا) أي بالكلية (واستعملها) أي الاعضاء (في طاعة الله تعالى) أي لتؤدي شكرها (واعلم أنك ان قصرت) أي توانيت في الطاعة (فعليك وباله) أي شدة تقصيرك (وان شمرت) أي اجتهدت وأسرعت فيها (فاليك تعود ثمرته) أي فائدة تشميرك (والله غني عنك وعن عملك) فلا ينتفع الله بذلك (وانما كل نفس بما كسبت) أي تصرفت وعملت (رهينة) عند الله تعالى وقال علي رضي الله عنه من ظن أنه بدون الجهد يصل الى الجنة فهو متمن ومن ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو متعن (واياك أن) تترك العمل فقد قال الحسن البصري طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب واحذر أن (تقول ان الله كريم) أي متفضل يعطي من غير مسئلة ولا وسيلة (رحيم يغفر الذنوب للعصاة) أي بكرمه ورحمته (فان هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها) أي هذه الكلمة (ملقب بالحماقة) أي الفساد في العقل (بتلقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس) أي الظريف (من دان) أي أذل وقهر (نفسه) أي الامارة أو اللوامة (وعمل لما بعد الموت) من أنواع الطاعات (والاحمق من أتبع نفسه هواها) أي ميلها (وتمنى على الله الاماني) أي الاكاذيب فقوله نفسه مفعول أول وهواها مفعول ثان وفي ذلك قال الحسن البصري ان أقواما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس وليست لهم حسنة يقول أحدهم اني أحسن الظن بربي وكذب لانه لو أحسن الظن بربه لاحسن العمل له (واعلم أن قولك هذا يضاهي) بالهمز وتركه أي يشابه (قول من يريد أن يصير فقيها في علوم الدين من غير أن يدرس) بضم الراء أي يقرأ (علما) من علوم الدين (واشتغل بالبطالة) أي التعطل (وقال ان الله كريم رحيم قادر على أن يفيض) أي يظهر (على قلبي من العلوم ما أفاضه) أي أظهره (على قلوب أنبيائه وأوليائه من غير جهد) أي مشقة (وتكرار) أي الدرس (وتعلم) وفي بعض النسخ وتعلق أي استمساك للعلوم قال يحيى بن معاذ من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط وقد نظم هذا المعنى من بحر البسيط

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس

وهو كتقول من يريد مالا فيترك الحراثة والتجارة والكسب ويتعطل وقال ان الله كريم رحيم وله خزائن السموات والارض وهو قادر على أن يطلعني على كنز من الكنوز أستغني به عن الكسب فقد فعل ذلك لبعض عباده فأنت اذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقتهما وسخرت منهما وان كان ماوصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا وحقا فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر فى الدين اذا طلبت المغفرة بغير سعى لها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان الاماسعى ويقول انما تجزون ما كنتم تعملون ويقول ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاذالم تترك السعى فى طلب العلم والمال اعتمادا على كرمه فكذلك لاتترك التزود للآخرة ولاتفتر فان رب الدنيا والآخرة واحد وهو فيهما كريم رحيم وليس يزيد له كرم بطاعتك وانما كرمه فى أن ييسرك طريق الوصول الى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل وهذا نهاية الكرم فلاتحدث نفسك بتهويسات البطالين واقتد بأولى العزم والنهى من الانبياء والصالحين ولاتطمع فى أن تحصد مالم تزرع وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غفرله فهذه جمل مما ينبغى أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة وأعمال هذه الجوارح انما تترشح من صفات القلب فان أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب فهو التقوى الباطن والقلب هو المضغة

(وهو كتقول من يريد مالا فيترك الحراثة) أى الزراعة (والتجارة) أى التصرف فى البيع والشراء (والكسب) أى طلب الرزق بصناعة ونحوها (ويتعطل) أى يبقى بلاعمل (وقال ان الله كريم رحيم وله خزائن السموات والارض وهو قادر على أن يطلعنى على كنز من الكنوز) التى فى الارض (أستغنى به) أى بذلك الكنز (عن الكسب فقد فعل) أى الله سبحانه وتعالى (ذلك) أى الاطلاع على الكنز (لبعض عباده) ممن يشاء الله تعالى (فأنت اذا سمعت كلام هذين الرجلين) من يريد علما ومن يريد مالا (استحمقتهما) أى عددتهما أحمقين (وسخرت) بكسر الخاء أى هزأت (منهما وان كان ماوصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا) أى غير كذب (وحقا) أى صحيحا ثابتا فى نفس الامر وذلك لان الله تعالى أجرى لكل شئ يحتاج اليه الشخص سببا وطريقا يوصل لمراده ولولا ذلك لما قال الله تعالى لسيدتنا مريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فان الله تعالى قادر أن يسقط رطبا على سيدتنا مريم من غير تحريك الجذع من مريم الا أن الله تعالى أجرى كل شئ على طريقة ولذا قال بعضهم من بحر الطويل

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع تساقط الرطب
ولوشاء أحنى الجذع من غير هزها * ولكن هز الجذع كان هو السبب

(فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر) أى أصحاب المعارف (فى الدين اذا طلبت المغفرة) من الله تعالى (بغير سعى) أى كسب (لها) أى المغفرة وذلك خطأ وضلال (والله تعالى يقول) فى سورة النجم (وأن ليس للانسان الاماسعى) أى ماعمل (ويقول انما تجزون ما كنتم تعملون ويقول ان الابرار) أى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم بأداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (لفى نعيم) أى محيط بهم أبد الآبدين (وان الفجار) أى الذين من شأنهم الخروج عن رضاء الله تعالى الى سخطه (لفى جحيم) أى نار محرقة تتوقد غاية التوقد (فاذالم تترك السعى فى طلب العلم والمال اعتمادا على كرمه) سبحانه وتعالى (فكذلك لاتترك التزود للآخرة) من الاعمال الصالحات (ولاتفتر) بضم التاء بعد الفاء أى لاتمل فى العمل بعد شدتك وفى بعض النسخ ولاتفتر أى لاتغفل عن العمل (فان رب الدنيا والآخرة واحد وهو) أى الرب (فيهما كريم رحيم وليس يزيد له كرم بطاعتك) وفى نسخة بتمنيك (وانما كرمه) سبحانه وتعالى (فى أن ييسرك طريق الوصول الى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل) أى مدة حياتك فى الدنيا (وهذا) أى التيسير (نهاية الكرم فلاتحدث نفسك) أى قلبك (بتهويسات البطالين) أى باعتمادات من لاعمل لهم (واقتد) فى اكثار العبادات (بأولى العزم) أى الصريمة فى الامر (والنهى) أى العقول وهو بضم النون وفتح الهاء جمع نهية وسمى العقل بها (من الانبياء والصالحين ولاتطمع فى أن تحصد مالم تزرع) فان ذلك أمنية وليس برجاء قال تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (وليت من صلى وصام وجاهد واتقى) الله تعالى بترك المعاصى (غفرله) قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا أى فمن كان يخاف المصير اليه تعالى أو من كان يأمل رؤية ربه فليعمل عملا يرتضيه الله تعالى ولو قليلا (فهذه) أى المذكورات فى القسم الثانى (جمل مما ينبغى أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة) أى السبعة المتقدمة وغيرها (وأعمال هذه الجوارح انما تترشح) أى تنشأ (من صفات القلب فاذا أردت حفظ الجوارح) أى الظاهرة (فعليك بتطهير القلب فهو التقوى الباطن) قال أحمد بن حضرويه القلوب أوعية فاذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح واذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح (والقلب هو المضغة) أى قطعة لحم قدر ما يمضغ

في

التى اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد فاشتغل باصلاحه لتصلح به جوارحك وصلاحه يكون بملازمة المراقبة (القول فى معاصى القلب) اعلم ان الصفات المذمومة فى القلب كثيرة وطريق تطهير القلب من رذائلها طويلة وسبيل العلاج فيها غامض وقد اندرس بالكلية علمه وعمله لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا وقد استقصينا ذلك كله فى كتاب احياء علوم الدين فى ربع المهلكات وربع المنجيات

فى الفم لكنها وان صغرت فى الصورة عظمت فى الرتبة (التى اذا صلحت) أى بالايمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها والفتح أفصح وأشهر (صلح بها) أى بالمضغة (سائر الجسد) بالاعمال والاخلاص والاحوال (واذا فسدت) أى بالجحود والكفران وهو بفتح السين وضمها والفتح أفصح وأشهر (فسد بها سائر الجسد) بالفجور والعصيان ومن ثم قيل ان القلب كالملك والجسد والاعضاء كالرعية ولاشك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا هو كالارض وحركات الجسد كالنبات والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا وأيضا هو كالعين والجسد كالزرع ان عذب ماء العين عذب الزرع وان ملح ملح ولما سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من رعيته كيف حال أميركم فقال له يا أمير المؤمنين اذا طابت العين عذبت الانهار واذا كان الامر كذلك (فاشتغل باصلاحه) أى القلب (لتصلح به جوارحك) أى الظاهرة (وصلاحه يكون بملازمة المراقبة) وهى استحضار القلب مع الله تعالى وانصراف الهمم اليه وقال بعضهم صلاح القلب فى خمسة أشياء كثرة الجوع وقراءة القرآن بتدبر المعنى والتضرع بالبكاء عند السحر والصلاة فى الليل ومجالسة الصالحين ونظمها بعضهم من بحر البسيط فقال

دواء قلبك خمس عند قسوته * فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه * وان تجالس أهل الخير والخبر

وزاد بعضهم أشياء أخر ونظمها من البسيط بقوله

أكل الحلال وصمت عزلة وكذا * ترك الخوض بما للناس من سير

(القول فى معاصى القلب)

الخصال المذكورة تحت هذه الترجمة داخلة تحت القسم الثانى الذى هو اجتناب المعاصى لانها ظاهرة وباطنة والمذكورة هنا الباطنة (اعلم أن الصفات المذمومة فى القلب كثيرة) لان الانسان اجتمع عليه أربعة أنواع من الاوصاف وهى السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية وكل ذلك مجموع فى القلب فيجتمع فى الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة والكلب هو الغضب والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان فطاعة خنزير الشهوة يصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها وطاعة كلب الغضب تنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وطاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب يحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجرأة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها ولو قهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هى عليه (وطريق تطهير القلب من رذائلها) أى خسائسها أى الصفات المذمومة (طويلة وسبيل العلاج) أى المداومة (فيها) أى تلك الصفة (غامض) أى صعب (وقد اندرس) أى انمحى (بالكلية علمه) أى العلاج (وعمله لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا) أى بزينتها وهذا من عطف السبب على المسبب (وقد استقصينا ذلك) أى المذكور (كله) من الصفات المذمومة وطريق تطهير القلب منها أى ذكرنا ذلك حتى بلغ بعده (فى كتاب احياء علوم الدين فى ربع المهلكات وربع المنجيات) فالمهلكات هى فى الربع الثالث والمنجيات هى فى الربع الرابع

ولكنا نحذرك الآن ثلاثا من خبائث القلب وهي الغالبة على متفقهة العصر لتأخذ منها حذرك فانها مهلكات في أنفسها وهي أمهات لجملة من الخبائث سواها وهي الحسد والرياء والعجب فاجتهد في تطهير قلبك منها فان قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر من بقيتها من ربع المهلكات فان عجزت عن هذا فأنت عن غيره أعجز ولا تظنن انك تسلم بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك شئ من الحسد والرياء والعجب وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه اما الحسد فهو متشعب من الشح فان البخيل هو الذي يبخل بما في يده على غيره والشحيح هو الذي يبخل بنعمة الله تعالى وهي في خزائن قدرته تعالى لا في خزائنه على عباد الله تعالى فشحه أعظم والحسود هو الذي يشق عليه انعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس أو حظ من الحظوظ حتى انه ليحب زوالها عنه وان لم يحصل بذلك شئ من تلك النعمة فهذا منتهى الخبث فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والحسود هو المعذب الذي لا يرحم ولا يزال

(ولكنا نحذرك) أي نخوفك (الآن ثلاثا من خبائث القلب وهي الغالبة على متفقهة العصر) أي هذا الزمن (لتأخذ منها حذرك) أي لتبعد عنها بتيقظك (فانها) أي الثلاث (مهلكات في أنفسها وهي) أي الثلاث (أمهات) أي أصول (لجملة من الخبائث سواها وهي) أي الثلاث (الحسد والرياء والعجب فاجتهد في تطهير قلبك منها) أي من هذه الثلاث (فان قدرت عليها) أي على تطهيرها (فتعلم كيفية الحذر) أي الاحتراز (من بقيتها) أي الخبائث (من ربع المهلكات) أي الذي هو الربع الثالث (فان عجزت عن هذا) أي تطهير القلب من هذه الثلاث (فأنت عن غيره) أي عن غير هذا من تطهير القلب عن جميع الخبائث (أعجز) أي أشد عجزا (ولا تظنن أنك تسلم) أي من الاثم (بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك شئ من الحسد والرياء والعجب وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث) أي من الخصال منجيات خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وثلاث (مهلكات شح مطاع) أي بخل يطيعه الانسان فلا يؤدي ما عليه من حق الحق وحق الخلق (وهوى) بالقصر (متبع) أي بأن يتبع ما يأمره به هواه (واعجاب المرء بنفسه) أي تحسينه فعل نفسه على غيره وان كان قبيحا وهو فتنة العلماء فأعظم بها من فتنة وقال أيضا ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة واسباغ الوضوء في السبرات أي شدة البرد ونقل الاقدام الى الجماعات وأما الدرجات فاطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وقال أيضا ثلاث لم تسلم منها هذه الامة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها قالوا أنبئنا قال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض أي متوكلا على الله (أما الحسد فهو متشعب) أي متفرع (من الشح) والحقد والغضب (فان البخيل هو الذي يبخل بما في يده) من مال واجب بالشرع وبالمروءة (على غيره) وكان ذلك الغير محتاجا (والشحيح هو الذي يبخل بنعمة الله تعالى وهي في خزائن قدرته تعالى لا في خزائنه على عباد الله تعالى فشحه أعظم) أي من البخل لان الشح هو ان يمنع أحدا عن اعطاء شخص كما يمنع نفسه عن الاعطاء (والحسود هو الذي يشق عليه) أي على نفسه (انعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس) ككثرة الاتباع (وحظ من الحظوظ) كحصول المنصب ككونه واليا أو قاضيا أو مفتيا (حتى أنه) أي الحسود (ليحب زوالها) أي تلك النعمة (عنه) أي ذلك العبد (وان لم يحصل له) أي للحسود (بذلك) أي الحب والتمني (شئ من تلك النعمة) أي لم ينتقل اليه شئ من المحبوب زواله والمتمنى حصوله (فهذا) أي حب زوال النعمة عن العبد (منتهى الخبث) أي غاية القبح وهذا أحد مراتب الحسد والمرتبة الثانية أن يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة من الرزق نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها والمرتبة الثالثة أن لا يشتهي عين تلك النعمة لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها عن المنعم عليه كي لا يظهر التفاوت بينه وبين غيره فالشق الاول غير مذموم وهو المسمى غبطة ومنافسة والشق الثاني مذموم والمرتبة الرابعة أن يشتهي لنفسه مثل تلك النعمة فان لم تحصل فلا يحب زوالها عن المنعم عليه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين (فلذلك) أي لاجل كون الحسد غاية الخبث (قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) رواه ابن ماجه أي لما فيه من نسبة الرب الى الجهل والسفه ووضع الشئ في غير محله (والحسود هو المعذب) أي في قلبه (الذي لا يرحم ولا يزال) أي الحسود

(فى عذاب دائم فى الدنيا) والحسد يهيج خمسة أشياء أحدها افساد الطاعات والثانى فعل المعاصى والشرور والثالث التعب والهم من غير فائدة والرابع عمى القلب حتى لايكاد يفهم حكما من أحكام الله تعالى والخامس الحرمان ولايكاد يظفر بمراده (فان الدنيا) أى دارها (لاتخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه) أى قدر (فلا يزال) أى الحسود (فى عذاب دائم فى الدنيا) وهو حصول الغم والهيام فى العقل والوزر (الى موته ولعذاب الآخرة أشد وأكبر) من العذاب الحاصل فى الدنيا (بل لايصل العبد الى حقيقة) كمال (الايمان مالم يحب لسائر المسلمين مايحب لنفسه) من الطاعات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك فى الامور الحسية كالغنى أو المعنوية كالعلم (بل ينبغى أن يساهم) أى يشارك (المسلمين فى السراء والضراء) أى فى حال الخصب والجدب (فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال ابن بطال وغيره المحبة على ثلاثة أقسام محبة اجلال وتعظيم كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس (فان كنت لاتصادف) أى لاتجد (هذا) أى الحب (من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص عن الهلاك أهم) أى أحق بالاعتناء (من اشتغالك بنوادر الفروع) وهى الزائدة من الفرائض (وعلم الخصومات) أى علم مايقطعها (وأما الرياء فهو الشرك الخفى) قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (وهو أحد الشركين) أى الخفى والجلى (وذلك) أى أصل الرياء (طلبك المنزلة فى قلوب الخلق) باراءتهم خصال الخير (لتنال بها) أى المنزلة (الجاه) أى القدر (والحشمة) أى الاستحياء أى لتكون معظما بينهم (وحب الجاه من الهوى المتبع وفيه) أى بسبب حب الرياسة (هلك أكثر الناس فما أهلك الناس الا الناس) أى بسبب طلبهم القدر من الناس (ولو أنصف) أى عدل (الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ماهم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن أعمال العادات ليس يحملهم) أى يبعثهم (عليها) أى العلوم والعبادات وأعمال العادات (الامراآة الناس وهى) أى المراآة (محبطة للاعمال) أى لثوابها كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر ياغادر ياخاسر ضل سعيك وبطل أجرك فلاخلاق لك اليوم التمس الاجر ممن كنت تعمل له (كما ورد فى الخبر أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة الى النار فيقول يارب استشهدت) بالبناء للمفعول أى قتلت شهيدا (فى سبيلك) أى لاعلاء دينك (فيقول الله تعالى) كذبت (بل أردت أن يقال انك) وفى بعض النسخ فلان (شجاع وقد قيل ذلك) لك (وذلك) أى المقول لك (أجرك وكذلك يقال للعالم والحاج والقارئ) كما روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من يدعى يوم القيامة رجل قد جمع القرآن ورجل قد قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ ألم أعلمك ماأنزلت على رسولى فيقول بلى يارب فيقول ماذا عملت فيما علمت فيقول يارب قمت به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله سبحانه بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد فيقول بلى يارب فيقول فماذا عملت فيما آتيتك فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله سبحانه بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول الله ماعملت فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت

دائم فى الدنيا الى موته ولعذاب الآخرة أشد وأكبر بل لايصل العبد الى حقيقة الايمان مالم يحب لسائر المسلمين مايحب لنفسه بل ينبغى ان يساهم المسلمين فى السراء والضراء فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد فان كنت لاتصادف هذا من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص عن الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات وأما الرياء فهو الشرك الخفى وهو أحد الشركين وذلك طلبك المنزلة فى قلوب الخلق لتنال بها الجاه والحشمة وحب الجاه من الهوى المتبع وفيه هلك أكثر الناس فما أهلك الناس الا الناس ولو أنصف الناس حقيقة لعلموا ان أكثر ماهم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن أعمال العادات ليس يحملهم عليها الامراآة الناس وهى محبطة للاعمال كما ورد فى الخبر ان الشهيد يؤمر به يوم القيامة الى النار فيقول يارب استشهدت فى سبيلك فيقول الله تعالى بل أردت ان يقال انك شجاع وقد قيل ذلك وذلك أجرك وكذلك يقال للعالم والحاج والقارئ

فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت ان يقال فلان جرىء وشجاع فقد قيل ذلك واعلم أن المرآ به كثير يجمعه خمسة أقسام الاول الرياء فى الدين بالبدن كاظهار النحول والصفار وتشعيث الشعر ليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وعظيم الحزن على الدين وبالتشعث على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر والثانى الرياء بالهيئة والزى كاطراق الرأس فى المشى والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا ولبس المرقعة والثالث الرياء بالقول كالنطق بالحكمة وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصى وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن والرابع الرياء بالعمل كمرآة المصلى بطول القيام والسجود والركوع وترك الالتفات واظهار السكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك فى الصوم والحج والصدقة واطعام الطعام والخامس المرآة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذى يتكلف أن يستزير عالما أو عابدا أو ملكا أو عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته فى الدين وكالذى يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقى شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيتباهى بشيوخه (وأما العجب والكبر والفخر) أى التعاظم (فهو الداء العضال) بضم العين أى الشديد الذى أعيى الاطباء والعجب هو استعظام العمل الصالح والكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق فى النفس وهو الاسترواح الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح واذا ظهر خلق الكبر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر والكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وأما العجب فلا يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره (وهو) أى الكبر (نظر العبد الى نفسه بعين العز والاستعظام والى غيره بعين الاحتقار والذل) ولذلك يسمى الكبر أيضا عزة وتعظما أما لو استعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يكون متكبرا عليه ولو استحقر غيره ومع ذلك رأى أن نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل المتكبر أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره (ونتيجته) أى الكبر (على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال ابليس اللعين أنا خير منه) أى آدم (خلقتنى من نار وخلقته) أى آدم (من طين) ومن قال أنا وقع فى العنا (وثمرته) أى الكبر (فى المجالس الترفع والتقدم) على عباد الله تعالى (وطلب التصدر) أى الارتفاع (فيها) أى المجالس (وفى المحاورة) أى المجاوبة (والاستنكاف) أى الامتناع (من أن يرد كلامه عليه والمتكبر هو الذى ان وعظ) بالبناء للمفعول أى أمر بالطاعة (أنف) بكسر النون أى استنكف من القبول (وان وعظ) بالبناء للفاعل (عنف) بضم النون أى فى النصح وان رد عليه بشئ من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا (فكل من رأى) أى ظن (نفسه خيرا من أحد من خلق الله فهو متكبر بل ينبغى) أى يجب (لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله فى دار الآخرة وذلك غيب) عن الخلق (وهو موقوف على الخاتمة) أى خاتمة الامر حالة الموت وهو موت السعادة فاعتقادك فى نفسك أنك خير من غيرك جهل محض بل ينبغى) أى يندب (أن لا تنظر الى أحد الا وترى أنه خير منك وأن الفضل له على نفسك) فسبيلك فى اكتساب التواضع أن تتواضع للاقران ولمن

وأما العجب والكبر والفخر فهو الداء العضال وهو نظر العبد الى نفسه بعين العز والاستعظام والى غيره بعين الاحتقار والذل ونتيجته على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال ابليس اللعين أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وثمرته فى المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فيها وفى المحاورة والاستنكاف من أن يرد كلامه عليه والمتكبر هو الذى ان وعظ أنف وان وعظ عنف فكل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر بل ينبغى لك أن تعلم ان الخير من هو خير عند الله فى دار الآخرة وذلك غيب وهو موقوف على الخاتمة فاعتقادك فى نفسك انك خير من غيرك جهل محض بل ينبغى أن لا تنظر الى أحد الا وترى أنه خير منك وان الفضل له على نفسك

دونهم حتى يخف عليك التواضع في محاسن العادات ليزول به الكبر عنك فان خف عليك ذلك فقد حصل لك خلق التواضع وان كان يثقل عليك ذلك وأنت تفعل ذلك فأنت متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنك الفعل بسهولة من غير ثقل واعلم أن الخلق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسؤا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسؤ فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وأحب الامور الى الله تعالى أوساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيأ من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه سوقي مثلا فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه فقد تخاسأ وتذلل وهو غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فينبغي أي يتواضع بمثل هذا لاقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره (فان رأيت صغيرا قلت) في قلبك (هذا) اي الصغير (لم يعص الله تعالى وأنا عصيته فلا شك أنه خير مني وان رأيت كبيرا) اي شخصا اكبر منك في السن وهو متعبد (قلت هذا قد عبد الله تعالى قبلي فلا شك أنه خير مني) لان العبادة المتوالية تتضاعف فان الصلاة الاولى مثلا لها أجر واحد والثانية لها أجران والثالثة لها ثلاثة أجور وهكذا أفاده بعضهم (وان كان) أي الشخص الكبير (عالما قلت هذا قد أعطى مالم أعط) من العلم (وبلغ مالم أبلغ) من الرتبة العالية (وعلم ما جهلت) من الاحكام (فكيف اكون مثله) في الدرجة وأفاد بعضهم أن من انتسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أولاد سيدنا الحسن أو الحسين وهو غير عالم يفوق على غيره ممن يساويه في الرتبة بستين درجة وأن العالم الذي لم ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم يفوق على غير العالم ممن انتسب اليه صلى الله عليه وسلم بستين درجة (وان كان) أي الشخص الكبير في السن (جاهلا) وعاصيا (قلت) في قلبك (هذا قد عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله على آكد) أي أشد وأقوى (وما أدري بم يختم لي وبم يختم له) أي الجاهل من السعادة أو من الشقاوة (وان كان) أي الشخص الكبير في السن (كافرا قلت) في نفسك (لا أدري) ما يفعل به في المستقبل (عسى أن يسلم) أي الكافر غدا (ويختم له) أي الكافر (بخير العمل وينسل) أي يخرج (باسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلني الله تعالى) عن دين الاسلام (فأكفر فيختم لي بشر العمل فيكون هو) أي الكافر (غدا) أي في الآخرة عند الله خيرا مني ويكون (من المقربين) قربا معنويا بأن يكون في أعلى الدرجات (وأنا أكون) أنا (من المبعدين) من رحمة الله تعالى وفي نسخة من المعذبين (فلا يخرج الكبر من قلبك الا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك) أي هذا العرفان (موقوف على الخاتمة) الحسنى (وهي مشكوك فيها) عندك (فيشغلك خوف الخاتمة) السوء (عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى) والجار والمجرور الاول متعلق بيشغلك والثاني متعلق بتتكبر والظرف متعلق بمحذوف حال من خوف الخاتمة أي مصحوبا بالشك فيها (فيقينك) في نفسك وفي غيرك بالخير أو الشر (وايمانك في الحال لا يناقض تجويزك التغير في الاستقبال) أي في آخر العمر (فان الله تعالى مقلب القلوب يهدي من يشاء) فيختم له بخاتمة السعادة (ويضل من يشاء) فيختمه بخاتمة الشقاوة قال بعضهم في شرح وصية الشيخ الكامل ابراهيم الدسوقي وبجملة فالتواضع لا يحصل الا بشهود العبد في نفسه أنه دون كل أحد من المسلمين وأنه ليس على وجه الارض أحد أكثر عصيانا ولا أقل أدبا وحياء منه على سبيل اليقين لا على سبيل الظن فمن رأى نفسه فوق أحد من العصاة على غير وجه الشكر لله تعالى فقد شرع في درجات الكبر وقد أجمع العارفون على أن من عنده شيء من كبر لا يصح

فان رأيت صغيرا قلت هذا لم يعص الله وأنا عصيته فلا شك أنه خير مني وان رأيت كبيرا قلت هذا قد عبد الله قبلي فلا شك أنه خير مني وان كان عالما قلت هذا قد أعطى مالم أعط وبلغ مالم أبلغ وعلم ما جهلت فكيف أكون مثله وان كان جاهلا قلت هذا قد عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله علي آكد وما أدري بم يختم لي وبم يختم له وان كان كافرا قلت لا أدري عسى أن يسلم ويختم له بخير العمل وينسل باسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلني الله فأكفر فيختم لي بشر العمل فيكون غدا هو من المقربين وأنا أكون من المبعدين فلا يخرج الكبر من قلبك الا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك موقوف على الخاتمة وهي مشكوك فيها فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى فيقينك وايمانك في الحال لا يناقض تجويزك التغير في الاستقبال فان الله مقلب القلوب يهدي من يشاء ويضل من يشاء

المداومة على دخول حضرة الله تعالى أبدا ولو عبد الله تعالى فى الظاهر عبادة الثقلين انتهى واعلم أن الانسان لايستعظم نفسه الا وهو يعتقد أن لها صفة من صفات الكمال دينية أو دنيوية فأسباب الكبر سبعة الاول العلم قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء والعلم الحقيقى هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم والثانى العمل والعبادة فالعلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات الاولى أن يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية الثانية أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر فى حقه وأدنى ذلك فى العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفى العابد أن يعبس وجهه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم الثالثة أن يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة وتزكية النفس كأن يقول العابد لغيره من هو وما عمله ومن أين زهده ويقول انى لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وكان يقول العالم أنا متفنن فى العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذى سمعت من الحديث * والسبب الثالث النسب فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان أرفع منه عملا وعلما * والرابع الجمال وذلك أكثر ما يجرى بين النساء ويدعو ذلك الى الغيبة وذكر عيوب الناس * والخامس المال وذلك يجرى بين الملوك فى خزائنهم وبين التجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى أراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم * والسادس القوة والتكبر به على أهل الضعف * والسابع الاتباع والتلامذة والاقارب ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بالجنود وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالا وان لم يكن فى نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى أن الفاسق قد يفتخر بكثرة الفجور بالنسوان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وان كان مخطئا فيه (والاخبار فى الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة ويكفيك فيها) أى هذه الاربعة (حديث واحد جامع) لتلك الاربعة (فقد روى) القاضى المروزى عبد الله (بن المبارك) رحمهما الله تعالى (باسناده) أى ابن المبارك (عن رجل) وهو خالد بن معدان (أنه قال لمعاذ) بن جبل رضى الله عنه الذى قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل (يامعاذ حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) فحفظته وذكرته فى كل يوم من شدته ودقته (قال) أى ذلك الرجل (فبكى معاذ) بكاء طويلا (حتى ظننت أنه لايسكت ثم سكت ثم قال) أى معاذ تلهفا (واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم قال) أى معاذ (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحمد لله الذى يقضى فى خلقه ما يشاء وهو راكب وقد أردفنى خلفه رافعا بصره الى السماء ثم (يقول لى يامعاذ انى محدثك بحديث) أى واحد جامع (ان أنت حفظته نفعك عند الله) أى فى الدارين (وان أنت ضيعته) أى نسيته (ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة يامعاذ ان الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض) ثم خلق السموات (فجعل لكل سماء من السبع ملكا بوابا) خازنا (عليها) أى كل سماء فكان كل ملك على قدر الباب وجلالته (فتصعد الحفظة بعمل العبد) الكائن (من حين يصبح الى حين يمسى له) أى لذلك العمل (نور كنور الشمس حتى اذا صعدت) أى الحفظة (به) أى بذلك العمل (الى السماء الدنيا) أى القربى من الارض وانتهى الى الباب وله مصراعان من ذهب ومغاليقهما من نور ومفاتيحها اسم الله الاعظم (زكته) أى مدحته (وكثرته) أى عدته كثيرا (فيقول الملك الموكل بها) أى بالسماء الدنيا (للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا) ملك (صاحب الغيبة

و الاخبار فى الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة و يكفيك فيها حديث واحد جامع فقد روى ابن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ يامعاذ حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لايسكت ثم سكت ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى يامعاذ انى محدثك بحديث ان أنت حفظته نفعك عند الله وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة يامعاذ ان الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبع ملكا بوابا عليها فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين يصبح الى حين يمسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك الموكل بها للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة

أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد له نور فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله عرض الدنيا أنا ملك الفخر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتفخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يتبهج نورا من صدقة وصلاة وصيام قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كما يزهو الكوكب الدري وله دوي من تسبيح وصلاة وصيام وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فيه قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزون به الى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى بعلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة كان يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء الشمس من صلاة وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من

أمرني ربي أن لا أدع) أي أترك (عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري) من بوّاب آخر (قال) صلى الله عليه وسلم (ثم تأتي الحفظة) من الغد (بعمل صالح) أي خال من اثم الغيبة (من أعمال العبد له نور فتزكيه وتكثره حتى) تجاوز السماء الاولى و (تبلغ به) أي بذلك العمل (الى السماء الثانية) واسمها الماعون وهي من حديد أو صخرة بيضاء (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء الثانية واسمه روبائيل (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه) أي صاحب هذا العمل (أراد بعمله عرض الدنيا) أي منفعتها (أنا ملك الفخر) أي أنا الملك الموكل باحراز الفخر (أمرني ربي أن لا أدع عمله) أي هذا المفتخر (يجاوزني الى غيري) من بوّاب آخر (انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم) فتلعنه الملائكة حتى يمسي (قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد يتبهج) أي يضيء (نورا من صدقة وصلاة وصيام) وكثير من البر (قد أعجب) أي ذلك العمل (الحفظة فيجاوزون به) السماء الاولى والثانية وانتهوا به (الى السماء الثالثة) وهي من نحاس وقيل من حديد ويقال لها هاروت وتسبيح أهلها سبحان الحي الذي لا يموت ومن قالها كان له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء الثالثة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر) أي ملك صاحب الكبر (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) أي من بوّاب بعدي (انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو) أي يضيء (كما يزهو الكوكب الدري) بضم الدال وكسرها أي المضيء (وله دوي) أي حفيف كحفيف النحل وحفيف جناح الطائر وحفيف الريح (من تسبيح وصلاة وصيام وحج وعمرة حتى يجاوزوا به) السماء الثالثة وانتهوا به (الى السماء الرابعة) وهي من نحاس وقيل من فضة ويقال لها الزاهر وتسبيح أهلها سبحان الملك القدوس من قالها كتب له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء الرابعة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه أنا) ملك (صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) من بوّاب بعدي (انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فيه) أي في ذلك العمل (قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد) من جهاد وحج وعمرة له ضوء كضوء الشمس (حتى يجاوزوا به) من السماء الرابعة (الى السماء الخامسة) وهي من فضة وقيل من ذهب ويقال لها المسهرة وذلك العمل زف (كأنه العروس المزفوفة الى بعلها) أي زوجها (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي السماء الخامسة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه) وهو محل الرداء وهو ما بين المنكب والعنق (أنا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ) أي يعمل (فضلا من العبادة كان يحسدهم ويقع) أي يغتاب (فيهم) وفي منهاج العابدين فيقول الملك أنا ملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) من بعد هذه السماء (قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء الشمس من) وضوء تام و (صلاة) كثيرة (وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزون به) أي بذلك العمل من السموات الخمسة (الى السماء السادسة) وهي من ذهب وقيل من جوهر ويقال لها الخالصة (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء السادسة واسمه طوطئيل (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من

عباد الله أصابه بلاء أو مرض بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد
من صوم وصلاة ونفقة وجهاد وورع له دوي كدوي النحل وضوء كضوء الشمس ومعه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به
الى السماء السابعة فيقول
لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه واضربوا جوارحه
واقفلوا به على قلبه فاني
أحجب عن ربي كل عمل لم يرد
به وجه ربي انه انما أراد
بعمله غير الله تعالى انه أراد به
رفعة عند الفقهاء وذكرا
عند العلماء وصيتا في المدائن
أمرني ربي أن لا أدع عمله
يجاوزني الى غيري وكل عمل
لم يكن لله تعالى خالصا فهو
رياء ولا يقبل الله عمل المرائي
قال وتصعد الحفظة بعمل
العبد من صلاة وزكاة وصيام
وحج وعمرة وخلق حسن
وصمت وذكر لله تعالى فتشيعه
ملائكة السموات السبع
حتى يقطعوا به الحجب كلها
الى الله تعالى فيقفون بين
يديه ويشهدون له بالعمل
الصالح الخالص لله تعالى
فيقول الله تعالى أنتم
الحفظة على عمل عبدي وأنا
الرقيب على ما في قلبه انه لم
يردني بهذا العمل وانما أراد
به غيري فعليه لعنتي فتقول
الملائكة كلها عليه لعنتك
ولعنتنا فتلعنه السموات
السبع ومن فيهن ثم بكى
معاذ وانتحب انتحابا شديدا
وقال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ فكيف لي بالنجاة والخلاص من ذلك قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن خاصة واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تراء بعملك

عباد الله أصابه بلاء أو مرض بل كان يشمت به) بفتح الميم أي يفرح بمصيبة نزلت بالانسان (أنا ملك الرحمة) أي أنا ملك صاحب الرحمة (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) من خازن بعدي (قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة ونفقة) أي كثيرة في سبيل الله (وجهاد) لاعلاء دين الله (وورع) أي نقاء من الحرام والشبهة (له) أي لذلك العمل (دوي) أي صوت خفي (كدوي النحل وضوء كضوء الشمس) وفي منهاج العابدين له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق (ومعه) أي ذلك العمل (ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به) من السموات الستة (الى السماء السابعة) وهي من ياقوتة حمراء ويقال لها اللابية وتسبيح أهلها سبحان خالق النور ومن قالها كان له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بتلك السماء السابعة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا جوارحه) أي أعضاءه التي يكتسب بها (واقفلوا) أي اغلقوا واضربوا (به) أي بذلك العمل (على قلبه أنا صاحب الذكر) أي السمعة والصيت في الناس (فاني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد) أي لم يقصد (به وجه ربي انه انما أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد به) أي بذلك العمل (رفعة عند الفقهاء) وعند القرناء (وذكرا) في المجالس (عند العلماء) وجاها عند الكبراء (وصيتا) بكسر الصاد أي ذكرا جميلا بين الناس منتشرا (في المدائن) أي البلدان (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) من الحجب التي بعد هذا الباب (وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت) أي سكوت عما لا ينفع في الدنيا والآخرة (وذكر لله تعالى) في السر والجهر (فتشيعه) أي تتبعه (ملائكة السموات السبع حتى يقطعوا) أي يجاوزوا (به) أي بذلك العمل (الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه) جل جلاله (ويشهدون له) أي لذلك العبد (بالعمل الصالح الخالص لله تعالى) أي بحسب علمهم (فيقول الله تعالى) لهم (أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب) أي الحافظ (على ما في قلبه انه لم يردني بهذا العمل وانما أراد به غيري) ولا أخلصه لي وأنا أعلم بما أراد من عمله عليه لعنتي غر الآدميين وغركم ولم يغرني وأنا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب لا تخفى علي خافية ولا تعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما يكون وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي بالآخرين أعلم السر وأخفى فكيف يغرني عبدي بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون الغيب وأنا علام الغيوب (فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها) أي ملائكة السموات السبع المشيعون يا ربنا (عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن ثم بكى معاذ) رحمه الله (وانتحب) أي رفع صوته بالبكاء (انتحابا شديدا وقال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله) اي أنت معصوم من الذنوب (وأنا معاذ) بن جبل أي لست بمعصوم (فكيف لي بالنجاة والخلاص من ذلك) أي المذكور من الغيبة والفخر والكبر والعجب والحسد والسمعة والرياء (قال) صلى الله عليه وسلم يامعاذ (اقتد بي) أي في اليقين (وان كان في عملك نقص) أي قصور (يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة) أي الغيبة (في اخوانك من حملة القرآن خاصة) أي وفي الناس عامة (واحمل ذنوبك عليك) وفي نسخة على عاتقك (ولا تحملها) أي الذنوب (عليهم) أي الاخوان (ولا تزك نفسك) متلبسا (بذمهم) أي الاخوان (ولا ترفع نفسك عليهم) بوضعهم على سبيل التكبر (ولا تدخل عمل الدنيا) كطلب منفعتها (في عمل الآخرة) من نحو طلب العلم (ولا تراء بعملك) كي تعرف في الناس بل أره ليقتدى

ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة
ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار يوم القيامة فى النار قال الله تعالى والناشطات نشطا هل تدرى ماهن يامعاذ قلت ماهى

بأبى أنت وأمى يارسول الله قال كلاب فى النار تنشط اللحم من العظم قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يامعاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك أن تحب الناس ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك فاذن أنت يامعاذ قد سلمت قال خالد بن معدان فمارأيت أحدا اكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم فتأمل أيها الراغب فى العلم هذه الخصال واعلم ان أعظم الاسباب فى رسوخ هذه الخبائث فى القلب طلب العلم لاجل المباهاة والمنافسة فالعامى بمعزل عن اكثر هذه الخصال والمتفقه مستهدف لها وهو متعرض للهلاك بسببها فانظر أى أمورك أهم أتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك أم الاهم أن تخوض مع الخائضين فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين * واعلم أن هذه الخصال

الثلاث من أمهات خبائث القلب ولها مغرس واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ومع هذا فالدنيا مزرعة للآخرة فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة ليستعين بها على الآخرة فالدنيا مزرعته ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته

بك ولا تدخل فى الدنيا دخولا ينسيك أمر الآخرة (ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك) وفى منهاج العابدين ولا تفحش فى مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمن على الناس (ولا تناج رجلا) وفى نسخة خدلا بكسر الخاء أى صديقا (وعندك آخر) أى رجل واحد فقط (ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة) من نحو المال والعلم لتجنبهم عنك ولعدم تواضعك (ولا تمزق الناس بلسانك) أى لاتغتب ولاتشتم (فتمزقك كلاب النار) أى جهنم (يوم القيامة فى النار قال الله تعالى والناشطات نشطا هل تدرى ماهن) أى الناشطات (يامعاذ قلت ماهى بأبى أنت وأمى) أى أنت مفدى بأبى وأمى فالباء للتفدية (يارسول الله قال) صلى الله عليه وسلم هن (كلاب فى النار تنشط اللحم) أى تنزعه (من العظم قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال) صلى الله عليه وسلم (يامعاذ انه) أى الذى وصفت لك (ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك) أى المذكور (أن تحب الناس) من الامور الاخروية (ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك فاذن أنت يامعاذ قد سلمت) ونجوت (قال خالد بن معدان) رحمه الله (فمارأيت أحدا اكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم) نبوءًا لكبير خطره الاليم أثره الذى تطير له القلوب وتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتجزع لهوله النفوس (فتأمل أيها الراغب فى العلم لهذه الخصال) واعتصم بمولاك الله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء آناء الليل وأطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فانه لانجاة من هذا الامر الا برحمته ولاسلامة من هذا البحر الا بعنايته فجاهد نفسك فى هذه العقبة المخوفة لعلك لاتهلك مع الهالكين (واعلم أن أعظم الاسباب فى رسوخ) أى ثبوت (هذه الخبائث) أى التى هى الغيبة والفخر والكبر والعجب والحسد والسمعة والرياء (فى القلب طلب العلم لاجل المباهاة) أى المفاخرة (والمنافسة) بالسين المهملة أى الرغبة فى كون العلم لنفسه خاصة دون غيره لانه نفيس (فالعامى) أى الذى لم يتفقه (بمعزل) أى ببعد (عن اكثر هذه الخصال والمتفقه مستهدف) أى منتصب (لها) أى هذه الخصال (وهو متعرض) أى مقبل (للهلاك بسببها) أى هذه الخصال (فانظر) أى فكر (أى أمورك أهم أتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك أم الاهم أن تخوض) أى توجد الكلام الذى هو فى غير موقعه (مع الخائضين) أى مع المتكلمين بما لا ينفع (فتطلب من العلم ماهو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلب) وعد المصنف الكبر والعجب خصلة واحدة لما بينهما من التلازم والتقارب ولذلك لم يذكر الكبر فى أول الباب (ولها) أى لهذه الثلاثة (مغرس) أى أصل (واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة) فانه يوقع فى الشبهات ثم فى المكروهات ثم فى المحرمات وكما أن حبها رأس كل خطيئة فبغضها رأس كل حسنة روى هذا الحديث البيهقى عن الحسن البصرى مرسلا كذا فى الجامع الصغير وشرحه وقال الزرقانى وهذا من كلام مالك بن دينار كما رواه ابن أبى الدنيا أو من كلام عيسى عليه السلام كما رواه البيهقى فى الزهد وقال فى شعب الايمان هذا لا أصل له عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه من مراسيل الحسن البصرى (ومع هذا فالدنيا) أى دار الدنيا (مزرعة) دار (الآخرة فمن أخذ من الدنيا) شيأ (بقدر الضرورة) أى الحاجة (ليستعين بها) أى بالدنيا وفى بعض النسخ به أى بالقدر المأخوذ (على الآخرة فالدنيا مزرعته ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته) فان بعضهم طلب الكسب

لازم وهو أربعة أنواع فرض وهو كسب أقل الكفاية لنفسه وعياله ودينه ومستحب وهو الزائد على ذلك ليواسي به فقيرا أو يصل به رحما وهو أفضل من نفل العبادة ومباح وهو كسب الزائد على ذلك للتنعم والتجمل وحرام وهو كسب ما أمكن للتكاثر والتفاخر أي ادعاء العظم والشرف (فهذه) أي المذكورة من أول الكتاب (نبذة يسيرة) أي شيء قليل (من ظاهر علم التقوى وهي بداية الهداية فان جربت) أي اختبرت مرة بعد أخرى (بها) أي بهذه البداية (نفسك) أي الامارة وغيرها (وطاوعتك) أي انقادت لك (عليها) أي على أداء مقتضاها (فعليك) أي الزم وتمسك (بكتاب احياء علوم الدين لتعرف كيفية الوصول الى باطن التقوى) وانقل منه الآن شيأ مما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة * وهو فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوأ بالاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى واذا أتيت بالطهارة فلا تغفل عن قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت * وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك بعورات باطنك وفضائح سرائرك فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها ولا يكفرها الا الندم والحياء والخوف * وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سواه * وأما الاعتدال قائما فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك مطرقا تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله تعالى في هول القيامة عند العرض للسؤال * وأما النية فاعزم على اجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة واتمامها والكف عن مفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه * وأما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو أكبر من الله فالله يشهد انك لكاذب * وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله يتقدس عن أن تحده الجهات وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه أمتوجه الى همه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل الى فاطر السموات * واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا واذا قلت وما أنا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي وكن حذرا من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده * واذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله تعالى حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها * واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو بها التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم أن معناها أن الامور كلها بالله وأن المراد بالاسم هنا المسمى ومعنى الحمد لله أن الشكر لله اذ النعم من الله * واذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته ثم استثر من قلبك التعظيم لله والخوف لهول يوم الحساب بقولك مالك يوم الدين ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز

فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى وهي بداية الهداية فان جربت بها نفسك وطاوعتك عليها فعليك بكتاب احياء علوم الدين لتعرف كيفية الوصول الى باطن التقوى

والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك واياك نستعين ثم اطلب أهم حاجتك وقل اهدنا الصراط المستقيم ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الصلاة أي قراءتها بيني وبين عبدي نصفين أي نصفها لى ونصفها لعبدي ولعبدي ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي فاذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدي فاذا قال العبد مالك يوم الدين قال مجدني عبدي فاذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل فاذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ماسأل وأما دوام القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور * وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله تعالى وترفع يديك مستجيرا بعفو الله تعالى من عقابه * وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وأحضر فى قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم ثم تأمل أن يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله تعالى باعادة كلمتى الشهادة ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع وصدق الرجاء بالاجابة واشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واضمر فى قلبك شكر الله تعالى على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذلك ظاهرا وباطنا فترد صلاتك فى وجهك وارج مع ذلك أن يقبلها الله تعالى بكرمه وفضله وكان بعضهم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذى يسر له منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتلهف وفى مداومة ذلك ينبغي أن يجتهد (فاذا عمرت) أى ملأت (بالتقوى باطن قلبك) كما وصف لك (فعند ذلك ترتفع الحجب) أى الموانع للشهود (بينك وبين ربك) تعالى (وتنكشف لك أنوار المعارف وتنفجر) أى تنبجس (من قلبك ينابيع الحكم) أى عيون العلوم النافعة (وتتضح لك أسرار الملك والملكوت) الملك ما تشهده بعين بصرك والملكوت ما تدركه بعين بصيرتك (ويتيسر لك من) حصول (العلوم) اللدنية من الاسرار والمكاشفات والمعارف من غير كسب وتعب والجار والمجرور بيان لما بعده (ما تستحقر به هذه العلوم المحدثة) أى المؤلفات للعلماء (التى لم يكن لها) أى لهذه المحدثة (ذكر فى زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين) كالفقه والنحو واللغة وغيرها من المؤلفات * حكى أن الامام الغزالى صار اماما فى مسجده وله أخ اسمه أحمد لم يقتد به فقال الامام لأمه يا أمى مرى أخى أحمد بالاقتداء بى فى الصلاة لئلا يتهمنى الناس على سوء فعلى فأمرته بذلك فاقتدى به فرأى أن فى بطن الامام دما ففارقه ثم لما فرغ من الصلاة سأله الامام عن سبب مفارقته فى الصلاة فقال له أخوه انى رأيت بطنك مملوأ بالدم وقد كان الامام حالة الصلاة يتذكر مسئلة المتحيرة فقال له الامام من أين أخذت العلم فقال أخذته من الشيخ العتقى بضم العين وفتح التاء وهو الذى يخيط النعال القديمة ويصلحها فذهب الامام الى الشيخ الخرازى فقال له يا سيدى أريد أن آخذ العلم منك فقال لعلك لا تطيق اطاعة أمرى فقال ان شاء الله تعالى أطيق ذلك فقال اكنس هذه الارض فلما أراد الامام أن يكنسها بالمكنس أمره بكنسها باليد فكنسها بيده ثم رأى عذرة كثيرة جدا فى الارض فقال ذلك الشيخ اكنس هذه العذرة فلما أراد الامام أن يفسخ ثيابه قال له الشيخ اكنسها مع ما أنت عليه من اللباس فلما أراد أن يكنسها برضاه قلبا نهاه الشيخ عن الكنس وأمره بالرجوع الى بيته فلما رجع الامام وتعدى الى مدرسته وهو محل تعليم العلوم للطلبة فقال الناس فى هذا المحل تلاعب مع الصبيان وقد أعطاه الله تعالى العلوم

فاذا عمرت بالتقوى باطن قلبك فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك وتنكشف لك أنوار المعارف وتنفجر من قلبك ينابيع الحكم وتتضح لك أسرار الملك والملكوت ويتيسر لك من العلوم ما تستحقر به هذه العلوم المحدثة التى لم يكن لها ذكر فى زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين

الدنيا وصار حينئذ يرى أن جميع العلوم التي علمها الناس حقيرة بالنسبة لهذه العلوم التي أفاضها الله تعالى على قلبه من غير كسب وتعب منه رضي الله عنه (وان كنت تطلب العلم من القيل والقال) أي المخاصمة (والمراء والجدال فما أعظم مصيبتك) أي شدتك النازلة عليك (وما أطول تعبك وما أعظم حرمانك) أي امتناعك من الخير (وخسرانك فاعمل ماشئت) من المنهيات ان لم تخف الهلاك (فان الدنيا) أي متاعها (التي تطلبها بالدين لاتسلم) أي تلك الدنيا (لك والآخرة تسلب) أي تذهب (منك فمن طلب الدنيا بالدين خسرهما) بتشديد السين أي أهلكهما (جميعا ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعا) أي استنشقهما فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاوليائه وعدوة لاعدائه أما عداوتها لله تعالى فانها تقطع الطريق عن أوليائه وأما عداوتها لاوليائه تعالى فلانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها فتجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وأما عداوتها لاعداء الله تعالى فلاستدراجها لهم بمكرها حتى عولوا عليها (فهذه) أي المذكورات كلها (جمل الهداية الى بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالى باداء أوامره واجتناب نواهيه) وفي بعض النسخ مناهيه وهو أولى (وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ) أي لتحاسب وتداوي (نفسك) القبيحة (بها) أي بتلك الجمل (في مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم في الدنيا) فالادب هو استعمال مايحمد قولا وفعلا أي بحسن الاحوال والاخلاق واجتماع الخصال الجيدة من بسط الوجه وحسن اللقاء وحسن التناول والاخذ وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات وقيل الاخذ بمكارم الاخلاق وقيل هو تعظيم من فوقه والرفق بمن دونه قال بعض المتقدمين كما أن قوت الاجساد بالاطعمة المصنوعة كذا قوت العقل بالآداب المسموعة وقال بعضهم من بحر المتقارب

وما كل وقت ترى مسعفا * فكن حافظا لطريق الادب
ترى الله يكشف ما قد خفي * فتحظى بأجر ونيل الرتب

(القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق عز وجل ومع الخلق)

وهذه الترجمة بيان القسم الثالث الذي وعد المصنف بذكره في قوله وألحق قسما ثالثا (اعلم أن صاحبك الذي لايفارقك في حضرك) أي بلدك (وسفرك ونومك ويقظتك بل في حياتك وموتك هو ربك) أي مصلحك (وسيدك) أي مالكك (ومولاك) أي ناصرك (وخالقك ومهما) أي في أي وقت (ذكرته) بلسانك أو بقلبك أو بهما (فهو جليسك) أي مجالسك فلا تنساك (اذ قال الله تعالى) في الحديث القدسي (أنا جليس من ذكرني) وقال الله تعالى عبدي أنا عند ظنك بي وأنا معك أي بالتوفيق أو أنا معك بعلمي اذا ذكرتني أي اذا دعوتني فاسمع ماتقول فأجيبك هذا وما أشبهه في ذكر عن يقظة لاعن غفلة وقال الله تعالى ياابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منه وان دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وان أتيتني تمشي أتيتك أهرول والمعنى ان ذكرتني سرا اخلاصا وتجنبا للرياء أسرع بثوابك على منوال عملك وان ذكرتني في جماعة افتخارا بي واجلالا بين خلقي ذكرتك في الملائكة المقربين وأرواح المرسلين مباهاة بك واعظاما لقدرك وان تقربت مني بالاجتهاد والاخلاص في طاعتي قربتك بالهداية والتوفيق وان تزدت زدت كذا أفاده العزيزي (ومهما انكسر قلبك) أي ذل (حزنا على تقصيرك في حق) أي جنب (دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال الله تعالى) في الحديث القدسي (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي) أي أنا مع الخاشعين بالتوفيق من أجل التقصير في الطاعة ومن أجل حصول المصيبة (فلو عرفته) تعالى أيها الغافل (حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا) كما قال الشاعر من بحر الخفيف

وان كنت تطلب العلم من القيل والقال والمراء والجدال فما أعظم مصيبتك وما أطول تعبك وما أعظم حرمانك وخسرانك فاعمل ماشئت فان الدنيا التي تطلبها بالدين لاتسلم لك والآخرة تسلب منك فمن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعا ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعا فهذه جمل الهداية الى بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالى باداء أوامره واجتناب نواهيه وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ نفسك بها في مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم في الدنيا

(القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق عز وجل ومع الخلق)

اعلم أن صاحبك الذي لايفارقك في حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل في حياتك وموتك هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك اذ قال الله تعالى أنا جليس من ذكرني ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك في حق دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال الله تعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا

مذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ماخشيت افتراقا * وأنا اليوم واصل مجموع

وكما قال الشاعر من بحر البسيط

لكل شئ اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

(فان لم تقدر على ذلك) أى اتخاذ الله صاحبا وترك الناس جانبا بملازمة الطاعة واكثار الذكر واجتناب المعاصى (فى جميع أوقاتك فاياك) أى احذر (أن تخلى) بتشديد اللام أى تترك (ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه) أى تنفرد فى ذلك الوقت (لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك له) بصلاة النفل وغيرها (فعند ذلك) أى أى الخلوة (فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى) فان الله تعالى أمرنا بالآداب (وآدابها) أى الصحبة مع الله تعالى أربعة عشر الاول (اطراق الرأس وغض الطرف) أى خفضه (و) الثانى (جمع الهم) أى القصد مع الاعتماد على الله (و) الثالث (دوام الصمت) أى عما لا يفيد فى الدين لقوله صلى الله عليه وسلم عليك بطول الصمت فانه مطرد للشيطان (و) الرابع (سكون الجوارح) عن الملاغات لانه يستلزم الخشوع والخضوع وحضور القلب مع الله تعالى (و) الخامس (مبادرة) امتثال (الامر) أى من الواجب والمندوب (و) السادس (اجتناب النهى) أى المحرم والمكروه (و) السابع (قلة الاعتراض) أى عدم الاعتراض (على القدر) بتحريك الدال أى على تقدير الله الامور وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير وقال أيضا قال الله تعالى أنا الله لا اله الا أنا فمن لم يصبر على بلائى ولم يشكر لنعمائى ولم يرض بقضائى فليطلب ربا سوائى وقال أبو على الدقاق رحمه الله تعالى ليس الرضا أن لا يحس بالبلاء انما الرضا أن لا يعترض على الحكم والقضاء وحكى عن الشيخ عفيف الدين الزاهد أنه كان بمصر فبلغه ما وقع ببغداد من قتل التتار أهلها فانكره وقال يارب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب له فرأى فى المنام رجلا فى يده كتاب فاذا فيه بيتان من بحر المتقارب وهما

دع الاعتراض فما الامر لك * ولا الحكم فى حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله * فمن خاض لجة بحر هلك

(و) الثامن (دوام الذكر) أى باللسان والقلب (و) التاسع (ملازمة الفكر) فى نعمة الله تعالى وفى جلاله تعالى (و) العاشر (ايثار الحق) أى اختياره وتقديمه (على الباطل) وفى بعض النسخ سقوط هذا الجار والمجرور والمعنى تقديم الله تعالى فى الرجوع اليه على الخلق وعلى كل ما سواه والمراد بالحق على هذا هو الله تعالى (و) الحادى عشر (الاياس) أى قطع الرجاء (عن الخلق) أى عدم الاعتماد على الخلق فى حاجتك فى السفر والحضر لان الخلق لا تنفع ولا تضر (و) الثانى (عشر الخضوع) أى التواضع بالقلب (تحت الهيبة) مع الله تعالى (و) الثالث عشر (الانكسار) أى فى القلب (تحت الحياء) من الله تعالى لتقصيرك فى العبادة (و) الرابع عشر (السكون عن حيل الكسب ثقة) أى ائتمانا (بالضمان) أى بضمان الله تعالى لك فى رزقك قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (والتوكل) أى الاعتماد (على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار) اى اختياره تعالى فان الله تعالى هو المدبر لعبده (وهذا) الآداب (كله ينبغى) أى يطلب (أن يكون) أى يصير هو (شعارك) أى ثيابك الملاصقة ببدنك (فى جميع ليلك ونهارك فانه) أى هذه الآداب المذكورة (آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك) أى بعلمه وتوفيقه فى جميع أوقاتك (والخلق كلهم يفارقونك فى بعض أوقاتك) قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم (وان كنت عالما فآداب العالم) سبعة عشر الاول (الاحتمال) أى قبول ما جاء به تلامذته من المسئلة وما يتبعه أى الصبر على ذلك (و) الثانى (لزوم الحلم)

فان لم تقدر على ذلك فى جميع أوقاتك فاياك أن تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك له وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى وآدابها اطراق الرأس وغض الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الامر واجتناب النهى وقلة الاعتراض على القدر ودوام الذكر وملازمة الفكر وايثار الحق على الباطل والاياس عن الخلق والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت الحياء والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان والتوكل على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار وهذا كله ينبغى أن يكون شعارك فى جميع ليلك ونهارك فانه آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك والخلق كلهم يفارقونك فى بعض أوقاتك وان كنت عالما فآداب العالم الاحتمال ولزوم الحلم

بكسر الحاء أي الاناءة في الامور (و) الثالث (الجلوس بالهيبة) أي اجلال لجلسائه (على سمت الوقار) أي صفة الضعف (مع اطراق الرأس) أي استرخاء العين (و) الرابع (ترك التكبر على جميع العباد الا على الظلمة) المتجاهرين بظلمهم (زجرا لهم عن الظلم) فان التكبر على المتكبرين صدقة كالتواضع مع المتواضعين (و) الخامس (ايثار التواضع) أي تقديمه (في المحافل) أي مجامع الناس (والمجالس و) السادس (ترك الهزل) أي اللعب (والدعابة) بالدال المهملة ثم الباء الموحدة أي المزاح (و) السابع (الرفق بالمتعلم) في تعليمه (والتأني بالمتجرف) أي الذي لا يحسن السؤال ويدعي العلم ولا يعلمه بأن تحسن عليه أحوالك وأقوالك (و) الثامن (اصلاح البليد) أي غير الفطن (بحسن الارشاد) أي التعليم (و) التاسع (ترك الحرد) أي الغضب والتعريض (عليه) أي البليد (و) العاشر (ترك الأنفة) أي الاستكبار والامتناع والاستحياء (من قول لا أدري) أو من قول والله أعلم اذا لم تظهر لك المسئلة أو لم تعلم لما روي في الحديث أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي البلاد أشر فقال صلى الله عليه وسلم لا أدري حتى أسأل جبريل فسأله فقال لا أدري حتى أسأل رب العزة (و) الحادي عشر (صرف الهمة) أي القلب (الى السائل) لاجل اخلاصه (وتفهم سؤاله) لتجيب مسئلته (و) الثاني عشر (قبول الحجة) أي الدليل المصدق للقائل واستماعها وان كانت من الخصم لان اتباع الحق واجب (و) الثالث عشر (الانقياد للحق بالرجوع اليه) أي الحق (عند الهفوة) أي الزلة في القول والاعتقاد وان صدر ممن هو أسفل منك (و) الرابع عشر (منع المتعلم عن كل علم يضره) في الدين كعلم السحر والنجوم والرمل (و) الخامس عشر (زجره) أي نهي المتعلم (عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى) وغير الدار الآخرة (و) السادس عشر (صد المتعلم) أي منعه وصرفه (عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين وفرض عينه اصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى) أي بأداء عبادة ظاهرة وباطنة وباجتناب معصية ظاهرة وباطنة كما هو مذكور في هذا الكتاب والله الهادي (و) السابع عشر (مؤاخذة) أي مداواة (نفسه) أي العالم (أولا) أي قبل الامر للناس بفعل الخير وقبل النهي لهم عن اجتناب الشر (بالتقوى) أي بامتثال أمر الشرع واجتناب نهيه (ليقتدي المتعلم أولا بأعماله ويستفيد) أي المتعلم (ثانيا من أقواله) فان دلالة الاحوال أقوى من دلالة المقال كما قال أبو الاسود من بحر الكامل

واذا عتبت على الصديق ولمته * في مثل ما تأتي فأنت مليم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(وان كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم) ثلاثة عشر الاول (أن يبدأه بالتحية والسلام) وطلب الاذن في الدخول (و) الثاني (أن يقلل بين يديه) أي في حضرته (الكلام) أي المباح (و) الثالث أن (لا يتكلم ما لم يسأله استاذه و) الرابع أن (لا يسأل) شيأ (ما لم يستأذن) استاذه (أولا) أي قبل السؤال (و) الخامس أن (لا يقول في معارضة قوله) أي لاستاذه (قال فلان بخلاف ما قلت) وما أشبه ذلك (و) السادس أن (لا يشير عليه) أي أستاذه (بخلاف رأيه) أي بمخالفة قول أستاذه (فيرى) أي يظن المتعلم (أنه أعلم بالصواب) في تلك المسئلة (من أستاذه) فذلك يخل بالادب للاستاذ وينقص البركة (و) السابع أن (لا يسأل) وفي بعض النسخ لا يشاور (جليسه في مجلسه) أي الاستاذ ولا يتبسم عند مخاطبته (و) الثامن أن (لا يلتفت الى الجوانب) يمينا وشمالا في حضرته (بل يجلس مطرقا) عينه (ساكنا متأدبا) بلا عبث بنحو اليد (كأنه في الصلاة و) التاسع ان (لا يكثر عليه) أي الاستاذ (السؤال عند ملاله) أي الاستاذ أي عند سأمه وقلقه من الغم ولو

والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع اطراق الرأس وترك التكبر على جميع العباد الا على الظلمة زجرا لهم عن الظلم وايثار التواضع في المحافل والمجالس وترك الهزل والدعابة والرفق بالمتعلم والتأني بالمتجرف واصلاح البليد بحسن الارشاد وترك الحرد عليه وترك الانفة من قول لا أدري وصرف الهمة الى السائل وتفهم سؤاله وقبول الحجة والانقياد للحق بالرجوع اليه عند الهفوة ومنع المتعلم عن كل علم يضره وزجره عن ان يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى وصد المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين وفرض عينه اصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ومؤاخذة نفسه أولا بالتقوى ليقتدي المتعلم أولا بأعماله ويستفيد ثانيا من أقواله وان كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم أن يبدأه بالتحية والسلام وان يقلل بين يديه الكلام ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ولا يسأل ما لم يستأذن أولا ولا يقول في معارضة قوله قال فلان بخلاف ما قلت ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه ولا يسأل جليسه في مجلسه ولا يلتفت الى الجوانب بل يجلس مطرقا ساكنا متأدبا كأنه في الصلاة ولا يكثر عليه السؤال عند ملاله

بالتوهم

بالتوهم القوي (و) العاشر (اذا قام) أي الاستاذ (قام) أي المتعلم (له) أي لاجله تعظيما له ولا يأخذ بثوبه
اذا قام (و) الحادي عشر أن (لا يتبعه) عند القيام من المجلس (بكلامه وسؤاله و) الثاني عشر أن (لا يسأله
في طريقه) بل ينتظر (الى أن يبلغ الى منزله) أي بيته أو محل قعوده (و) الثالث عشر ان (لا يسيء الظن
به) أي الاستاذ (في أفعال ظاهرها منكرة) أي غير مرضية لله تعالى (عنده) أي المتعلم (فهو) أي الاستاذ
الفاء للتعليل أي لانه (أعلم بأسراره) أي الافعال (وليذكر عند ذلك) أي عند ارادة اساءة الظن (قول موسى
للخضر) واسمه بليا بن ملكان (عليهما السلام) منكرا لما في ظاهره الفساد باتلاف السفينة المؤدي الى
اهلاك النفوس وسمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء والفروة قطعة نبات
مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله (أخرقتها) أي السفينة أي قلعت لوحا من
ألواحها (لتغرق أهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المؤدي الى غرق أهلها (لقد جئت شيأ امرا)
أي عظيما منكرا فان ذلك منكر في الظاهر ولذلك أنكره موسى أولا ولكنه في الحقيقة موافق لباطن
الشريعة فلذلك صدقه موسى آخرا (و) ليذكر (كونه) أي المتعلم (مخطئا في انكاره) أي على الاستاذ
(اعتمادا على الظاهر) وليذكر كون الاستاذ عالما بالاسرار كما روي ان ابن عربي كان يصلي فرآه تلامذته
يحرك رجله مرارا في الصلاة وسألوه بعدها لم حركتها فقال ان الفخر الرازي احتضر فاحتاطت به الشياطين
لتسلبه الايمان فطردتهم عنه برجلي فمات على الايمان (وان كان لك والدان فآداب الولد مع الوالدين)
أي المسلمين اثنا عشر الاول (أن يسمع كلامهما) ولو شتما من غير جواب لهما (و) الثاني ان (يقوم لقيامهما)
توقيرا لهما وحفظا لحرمتهما وان كانا دونه في المرتبة (و) الثالث أن (يمتثل لامرهما) فيما أمرانه
أو أحدهما ولو فيما يضره اذا لم يكن الامر في معاصي الله تعالى (و) الرابع ان (لا يمشي أمامهما) تعاظما
عليهما بل يمشي بازائهما أو خلفهما فان مشى أمامهما لامر اقتضاه الحال فلا بأس حينئذ (و) الخامس أن
(لا يرفع صوته فوق أصواتهما) أو أصوات أحدهما ساو كان للادب معهما وهذا أوكد الآداب كما قاله الرملي
في عمدة الرابح (و) السادس أن (يلبي دعوتهما) أي يجيب نداءهما بجواب لين يدل على تعظيمهما كقوله
لبيك أو نعم أو سيدي أو سيدتي (و) السابع أن (يحرص) أي يحافظ (على) طلب (مرضاتهما) بالاحوال
والاقوال (و) الثامن ان (يخفض لهما جناح الذل) أي جناحه الذليل وذلك كناية عن التواضع واللين
كأن يخدمهما بنفسه ويطعمهما بيده لعجزهما ويؤثرهما على نفسه وأولاده (و) التاسع (أن لا يمن عليهما
بالبر لهما ولا بالقيام لامرهما) كأن يقول أعطيتكما كذا وكذا وفعلت كذا وكذا لكما فان المن يكسر
القلوب ومن ذلك قيل المن أخو المن أي الامتنان بتعديد الصنائع أخو القطع (و) العاشر أن (لا ينظر اليهما
شزرا) بفتح الشين وسكون الزاي وهو نظر الغضبان بمؤخر العين أو هو النظر عن يمين وشمال أو هو نظر فيه
اعراض كما في القاموس (و) الحادي عشر أن (لا يقطب) بكسر الطاء أي يجمع أو بضم الباء وتشديد
الطاء أي يعبس (وجهه في وجههما و) الثاني عشر أن (لا يسافر الا باذنهما) سفرا لجهاد وحج تطوع وزيارة
أنبياء وأولياء وسفرا لم تغلب فيه السلامة لتجارة فان ذلك يحرم اذا لم يكن باذن أصل أب وأم وان عليا وان
أذن من هو أقرب منه الا سفرا لتعلم فرض ولو كفاية كطلب النحو ودرجة الافتاء فلا يحرم عليه وان لم يأذن
أصله كذا في فتح المعين وأما الوالدان الكافران فأدب الولد معهما مصاحبتهما في الامور التي لا تتعلق بالدين
ما دام حيا ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الاخلاق والشيم (واعلم أن الناس بعد هؤلاء)
أي المذكورين من العالم والمتعلم والوالدين (في حقك ثلاثة أصناف) أي أنواع (اما أصدقاء واما معاريف
واما مجاهيل فان بليت) بالبناء للمفعول (بالعوام المجهولين) أي امتحنك الله بصحبة العوام الذين هم ليسوا

واذا قام قام له ولا يتبعه
بكلامه وسؤاله ولا يسأله في
طريقه الى أن يبلغ الى منزله
ولا يسيء الظن به في أفعال
ظاهرها منكرة عنده فهو
أعلم بأسراره وليذكر عند
ذلك قول موسى للخضر
عليهما السلام أخرقتها
لتغرق أهلها لقد جئت شيأ
امرا وكونه مخطئا في
انكاره اعتمادا على الظاهر
وان كان لك والدان فآداب
الولد مع الوالدين أن يسمع
كلامهما ويقوم لقيامهما
ويمتثل لامرهما ولا يمشي
أمامهما ولا يرفع صوته فوق
أصواتهما ويلبي دعوتهما
ويحرص على مرضاتهما
ويخفض لهما جناح الذل
ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا
بالقيام لامرهما ولا ينظر
اليهما شزرا ولا يقطب وجهه
في وجههما ولا يسافر الا
باذنهما واعلم أن الناس بعد
هؤلاء في حقك ثلاثة أصناف
اما أصدقاء واما معاريف
واما مجاهيل فان بليت
بالعوام المجهولين

أصدقاءك ولا معاريفك (فآداب مجالستهم) خمسة الاول (ترك الخوض) أى الدخول معهم (فى حديثهم و) الثانى (قلة الاصغاء) أى عدم امالة السماع (الى أراجيفهم) أى كثرة أخبارهم السيئة واختلاف أقوالهم الكاذبة (و) الثالث (التغافل) أى الترك بالاعراض (عما يجرى) أى يسبق (من سوء ألفاظهم و) الرابع (الاحتراز) أى التجنب (عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم و) الخامس (التنبه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم) فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح فالاعراض أولى (وأما الاخوان والاصدقاء فعليك فيهم وظيفتان احداهما ان تطلب أولا) أى قبل المعاشرة مع من تريد معاشرتهم (شروط الصحبة والصداقة) لانه لا يصلح للصحبة كل انسان (فلا تؤاخ الا من يصلح للاخوة والصداقة ولا بد أن يتميز بصفات يرغب بسببها فى صحبته وتشترط بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط فليس ما يشترط للصحبة فى مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة للآخرة فان الاخوة ثلاثة أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به ولم تجتمع هذه المقاصد فى واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) وقال أيضا المرء مع من أحب وله ما اكتسب رواه الترمذى عن أنس وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين (فاذا طلبت رفيقا) أى من يرافقك (ليكون شريكك فى التعلم وصاحبك فى أمر دينك ودنياك فراع) أى انظر (فيه) أى الرفيق (خمس خصال الاولى العقل) فانه رأس المال وهو الاصل (فلا خير فى صحبة الاحمق) أى فاسد العقل (فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها) أى الصحبة وان طالت فانك لست منه على شئ (وأحسن أحواله) أى الاحمق (أن يضرك وهو يريد أن ينفعك) ويعينك من حيث لا يدرى لحماقته (والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق) ولذلك قال الشاعر من بحر الكامل

انى لآمن من عدو عاقل * وأخاف خلا يعتريه جنون

فالعقل فيه واحد وطريقه * أدرى فأرصد والجنون فنون

وكذا قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله والمراد بالعاقل هو الذى يفهم الامور على ما هى عليه (قال) أمير المؤمنين (على) بن أبى طالب (رضى الله عنه) تضامن بحر الوافر المعصوب الاجزاء فى ست أبيات مجزوءة وبعض أجزائها منقوص

(فلا تصحب أخا الجهل * واياك واياه *

فكم من جاهل أردى * حليما حين واخاه

يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ما شاه

كحذو النعل بالنعل * اذا ما النعل حاذاه

* وللشئ من الشئ * مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه)

ومعنى أردى أهلك وفى نسخة اذا ما هو ساواه وقال بعضهم من بحر المواليا وأجزاؤه مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعل بسكون آخره

عاشر ذوى الفضل واحذر عشرة السفل * وعن عيوب صديقك كف وتغفل

وصن لسانك اذا ما كنت فى محفل * ولا تشارك ولا تضمن ولا تكفل

(الثانية حسن الخلق) فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هى عليه ولكن اذا غلبه غضب أو شهوة

فآداب مجالستهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم والتنبه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم واما الاخوان والاصدقاء فعليك فيهم وظيفتان احداهما ان تطلب أولا شروط الصحبة والصداقة فلا تؤاخ الا من يصلح للاخوة والصداقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل فاذا طلبت رفيقا ليكون شريكك فى التعلم وصاحبك فى أمر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال الاولى العقل فلا خير فى صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها وأحسن أحواله ان يضرك وهو يريد أن ينفعك والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق قال على رضى الله عنه فلا تصحب أخا الجهل واياك واياه فكم من جاهل أردى حليما حين واخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه كحذو النعل بالنعل اذا ما النعل حاذاه والشئ من الشئ * مقاييس واشباه والقلب على القلب * دليل حين يلقاه الثانية حسن الخلق

فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة وقد جمعه علقمة العطاردي رحمه الله
تعالى في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال يا بني اذا أردت صحبة انسان فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت أمرا أمرك وان تنازعتما في شيء آثرك وقال علي رضي الله عنه رجزا
ان أخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك
الثالثة الصلاح فلا تصحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الاحوال والاعراض قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا فاحذر صحبة الفاسق فان مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية ويهون عليك أمرها ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لالفهم لها ولو رأوا خاتما من ذهب أو ملبوسا من حرير على فقيه لاشتد انكارهم عليه والغيبة أشد من ذلك

أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فذلك سيء الخلق (فلا تصحب من ساء خلقه) فانه لا خير في صحبته (وهو الذي لا يملك) أي لا يتمالك (نفسه) أي الامارة أو اللوامة (عند الغضب والشهوة) والبخل والجبن (وقد جمعه) أي حسن الخلق (علقمة العطاردي) نسبة الى عطارد رجل من تميم رهط أبي رجاء عمران بن ملحان (رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما) أي حين (حضرته الوفاة فقال يا بني اذا أردت صحبة انسان فاصحب من اذا خدمته) أي بالقول أو بالفعل (صانك) عن عرضك ونفسك ومالك (وان صحبته زانك) أي يصحبه (وان قعدت بك مؤنة) بالقاف ثم العين المهملة أي تأخرت وحبست (مانك) أي احتمل مؤنتك وقام بكفايتك (اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها) أي اذا أعطيت شيأ جازاك أو اذا أتيت خصلة من أنواع الطاعات أعانك (وان رأى منك حسنة عدها) وان قلت (وان رأى منك سيئة سدها) وان كثرت اصحب من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك (اصحب من اذا قلت صدق قولك) أي لا يعترض عليك (واذا حاولت) أي عالجت (أمرا أمرك) تشديد الميم أي جعلك أميرا وفي نسخة أعانك ونصرك (وان تنازعتما) أي اختلفت أنت وهو (في شيء آثرك) أي قدمك على نفسه فكأن هذا اجمع جميع حقوق الصحبة قال المأمون فأين هذا فقيل له أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لانه أراد أن لا يصحب أحدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك في الرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك (وقال) أمير المؤمنين (علي) بن أبي طالب (رضي الله عنه رجزا) أي نظما من بحر الرجز

(ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك)

أي ان أخاك الصحيح من كان يصاحبك في حالتي الرخاء والشدة والصحة والمرض ومن يتعب نفسه لاجل نفعك واذا فرقك حوادث الدهر وصروفه فرق لاجل ذلك ما اجتمع من أمره لتكون مجتمعا على حالة حسنة وفي بعض النسخ شتت فيك أي من أجلك أو في شأنك (الثالثة الصلاح) أي الخير والصواب في الاحوال (فلا تصحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة) لانه لا فائدة في صحبته (لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن) غائلته أي شره ولا يوثق بصداقته (بل يتغير) أي من لا يخاف الله (بتغير الاحوال) من العلانية والخلوة ونحو ذلك (والاعراض) من مرض ونحوه (قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع) بأشرف الخلق (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا واتبع هواه أي في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) أي اسرافا وباطلا وهذا يدل على أن أشر أحوال الانسان أن يكون قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوأ من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق لان ذكر الله تعالى نور وذكر غيره ظلمة كذا قاله الشربيني وقال الغزالي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق (فاحذر صحبة الفاسق) فانه يبيعك بأكلة أو بالطمع فيها ثم لا ينالها (فان مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية) وقوع (المعصية ويهون) أي يسهل (عليك أمرها) أي المعصية وتبطل نفرة القلب عنها (ولذلك) أي المذكور (هان على القلوب معصية الغيبة لالفهم) أي أنسهم وحبهم (لها ولو رأوا خاتما) بفتح التاء (من ذهب أو ملبوسا من حرير على فقيه لاشتد انكارهم عليه) أي الفقيه (والغيبة أشد) أي أعظم ذنبا (من ذلك) أي استعمال الذهب والحرير كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية أنها كذا وكذا أي انها قصيرة فقال عليه الصلاة والسلام لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته رواه الترمذي ومعنى مزجته خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها قال العلماء وهذا الحديث

الرابعة أن لايكون حريصا على الدنيا فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى فمجالسة الحريص تزيد فى حرصك ومجالسة الزاهد تزيد فى زهدك

الخامسة الصدق فلاتصحب كذابا فانك منه على غرور فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال فى سكان المدارس والمساجد فعليك بأحد أمرين اما العزلة والانفراد ففيها سلامتك واما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم ان الاخوة ثلاثة أخ لآخرتك فلاتراع فيه الا الدين وأخ لدنياك فلاتراع فيه الا الخلق الحسن وأخ لتأنس به فلا تراع فيه الا السلامة من شره وفتنته وخبثه والناس ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذاء لايستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لايحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لاأنس فيه ولا نفع فتجب مداراته الى الخلاص منه وفى مشاهدته فائدة عظيمة ان وفقت لها وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ماتستقبحه فتجتنبه فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن وقيل لعيسى عليه السلام من أدبك فقال ماأدبنى أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته ولقد صدق على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلواجتنب الناس مايكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم

من أبلغ الزواجر عن الغيبة كذا فى قمع النفوس لابى بكر بن الحصنى (الرابعة أن لايكون) أى الرفيق (حريصا) أى أجشع (على الدنيا) وفى بعض النسخ لاتصحب حريصا (فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة) أى مخلوقة (على التشبه والاقتداء) بمن يقارنه (بل الطبع) السليم (يسرق من الطبع) الفاسد (من حيث لايدرى) الانسان وعبارة الاحياء من حيث لايدرى صاحبه (فمجالسة الحريص) على الدنيا تحرك الحرص و(تزيد فى حرصك ومجالسة الزاهد) أى المعرض عن الدنيا تزهد فى الدنيا و(تزيد فى زهدك) أى فى اعراضك عن الدنيا وتركك لها وتقليلك منها فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة قال على رضى الله عنه أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيى منه وقال أحمد بن حنبل ماأوقعنى فى بلية الاصحبة من لاأحتشمه وقال لقمان يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب لتحيى بالحكم كماتحيى الارض الميتة بوابل القطر (الخامسة الصدق) فى المقال والاعتقاد (فلاتصحب كذابا) أى كثير الكذب فى المقال (فانك منه على غرور) أى جهل فى الامور وغفلة عنها (فانه مثل السراب) بفتح الميم والثاء أى لان الكذب صفته كصفة السراب الذى تراه نصف النهار كأنه ماء (يقرب) أى الكذاب (منك البعيد ويبعد منك القريب) ولاتصحب المبتدع فصحبته خطر لسراية البدعة اليك ولاتصحب البخيل فانه يقطع بك أحوج ماتكون اليه ولاتصحب الجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة (ولعلك تعدم) بفتح الدال أى تفقد (اجتماع هذه الخصال) المذكورة (فى سكان المدارس) وهم العلماء والطلبة (والمساجد) وهم العباد (فعليك) أى الزم (باحد أمرين اما العزلة والانفراد ففيها) أى العزلة (سلامتك) من الاثم (واما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم أن الاخوة) أى الاصحاب (ثلاثة) كمانقله الغزالى عن بشر (أخ لآخرتك فلاتراع) أى لاتلاحظ (فيه الا الدين وأخ لدنياك فلاتراع فيه الا الخلق الحسن) والاحوال المؤدية الى الخيرات (وأخ لتأنس) بفتح النون أى ليسكن قلبك (به فلاتراع فيه الا السلامة من شره) أى ظلمه (وفتنته) أى امتحانه (وخبثه) أى خديعته قال أبوذر رضى الله عنه الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة (والناس) الذين تتخذهم اخوانا (ثلاثة) كما نقله الغزالى عن المأمون (أحدهم مثله مثل الغذاء) بكسر الغين أى صفته وشأنه صفة الطعام والشراب وشأنهما (لايستغنى عنه) وهم العلماء (والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لايحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به) أى يمتحن بالاجتماع مع من هو كصفة الداء (وهو الذى لاأنس فيه ولانفع) وهو الفاسق والمبتدع والكذاب والجبان (فتجب مداراته) أى ملاينته ومجاملته ومداعبته (الى الخلاص منه) دفعا لشره كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة الناس صدقة رواه ابن حبان والطبرانى والبيهقى عن جابر بن عبد الله اى ملاطفة الناس بالقول والفعل يثاب عليها ثواب الصدقة (وفى مشاهدته) أى الذى هو كصفة الداء (فائدة عظيمة ان وفقت) بالبناء للمجهول أى ان وفقك الله (لها وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ماتستقبحه) وفى نسخة ماتستقبحه (فتجتنبه فالسعيد من وعظ) بالبناء للمفعول (بغيره) والشقى من غلب شره على خيره (والمؤمن مرآة المؤمن) فيقيس نفسه بغيره فى الاحوال والمقال مما يعجبه ويكرهه (وقيل لعيسى عليه السلام من أدبك) أى من علمك الادب فانك ولدت من غير أب (فقال ماأدبنى أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته ولقد صدق) أى سيدنا عيسى فى مقالته (على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلو) الفاء للتعليل أى لانه لو (اجتنب الناس مايكرهونه) من الاقوال والافعال اللتين صدرتا (من غيرهم لكملت

آدابهم واستغنوا عن المؤدبين) فان العاقل ينظر تقلب الازمنة ويتأدب بحسبها ومثل جملة الناس كمثل النبات والاشجار فمنها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل الذى ينتفع به فى الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له ظل وهو مثل الذى يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعا ومنها ماليس له واحد منهما فالاقسام أربعة

(الوظيفة الثانية مراعاة حقوق الصحبة) والاخوة (فمهما انعقدت الشركة) أى ارتبطت بين الشخصين كالنكاح بين الزوجين (وانتظمت) أى استقامت (بينك وبين شريكك الصحبة فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة) كما يوجب النكاح حقوقا (وفى القيام بها) أى الحقوق (آداب) كثيرة (وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين) بفتح الميم والثاء (تغسل احداهما الاخرى) وانما شبههما رسول الله باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم أخوتهما اذا ترافقا فى مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المال والحال (ودخل رسول الله) صلى الله عليه وسلم (أجمة) بفتح الاحرف الثلاثة أى غيضة بفتح الغين وهى مجتمع الشجر (فاجتنى) أى أخذ (منها سواكين أحدهما معوج) بسكون العين وفتح الواو وتشديد الجيم (والآخر مستقيم وكان معه) صلى الله عليه وسلم (بعض أصحابه) وهو عبد الرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان على اختلاف الروايات (فأعطاه) أى بعض أصحابه (المستقيم منهما (وأمسك لنفسه المعوج فقال) له صلى الله عليه وسلم (يارسول الله أنت) والله (أحق منى بالمستقيم فقال) رسول الله (صلى الله عليه وسلم مامن صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا ويسئل عن صحبته هل أقام فيها) أى الصحبة (حق الله تعالى أو أضاعه) أى أهلكه وهذا الحديث يدل على ان الايثار هو القيام بحق الله فى الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة الثوب وقام يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأمى يارسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام الا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (وقال) رسول الله (صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان أحبهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه وآداب الصحبة) اثنا عشر الاول (الايثار) أى الاكرام (بالمال) على وجه تقديم صاحبه على نفسه (فان لم يكن هذا) أى الايثار (فبذل الفضل) أى اعطاؤه (من المال) ولو قليلا (عند الحاجة) أى حاجة صاحبه والحاصل أن المواساة بالمال مع الاخوة على ثلاثة مراتب أدناها أن تنزل صاحبك منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا كانت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان أحوجته الى ذلك فهو غاية التقصير فى حق الاخوة الثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك فى مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال والثالثة وهى العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك عند تساويهما فى الحاجة وهذه رتبة الصديقين ومنتهى رتبة المتحابين أما القرب فيكره الايثار بها (و) الثانى (الاعانة بالنفس فى) قضاء (الحاجات) والقيام بها (على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس) أى طلب وتقديمها على الحاجات الخاصة فان ذلك أبلغ فى التواضع وهذه أيضا لها درجات كالمواسات بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة (و) الثالث (كتمان السر) الذى بثه صاحبه اليه ولا يبثه الى غيره ألبتة ولا الى أخص أصدقائه ولا يكشفه ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن (وستر العيوب) التى علمها فى غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه وان تعلق بها حد الله تعالى طلبا

آدابهم واستغنوا عن المؤدبين الوظيفة الثانية مراعاة حقوق الصحبة فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة وفى القيام بها آداب وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى ودخل صلى الله عليه وسلم أجمة فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وامسك لنفسه المعوج فقال يارسول الله أنت أحق منى بالمستقيم فقال صلى الله عليه وسلم مامن صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا ويسئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان أحبهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه وآداب الصحبة الايثار بالمال فان لم يكن هذا فبذل الفضل من المال عند الحاجة والاعانة بالنفس فى الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس وكتمان السر وستر العيوب

الستر المستحب ولو مع المصادمة (والسكوت على تبليغ مايسوءه) أي يحزنه (من مذمة الناس اياه) فان الذي سبك من بلغك وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أونهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق (و) الرابع (ابلاغ مايسره من ثناء الناس عليه) مع اظهار الفرح فان اخفاء ذلك محض الحسد وقد قال عليه السلام اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره (وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه) وترك التجسس والسؤال عن أحواله واذا رآه في طريق أوحاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأل فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج الى أن يكذب فيه (و) الخامس (أن يدعوه بأحب أسمائه اليه) في غيبته وحضوره (وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه) أي محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من أعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله حتى على علمه وتصنيفه وجميع مايفرح به وذلك من غير كذب وافراط (وان يشكره على صنيعته) أي فعله الحسن (في حقه) وهو موافق للاحياء وفي نسخة في وجهه بل يشكره على نيته وان لم يتم ذلك قال علي رضي الله عنه من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة (وأن يذب) أي يدفع (عنه في غيبته اذا تعرض) بالبناء للمفعول (لعرضه) بكسر العين أي قصد بسوء بكلام صريح أو تعريض (كما يذب عن نفسه) وهذا أعظم تأثيرا في جلب المحبة فان حق الاخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه (وأن ينصحه باللطف والتعريض) فيما فيه صلاح شأنه ويتأكد عليه (اذا احتاج اليه) أي النصيحة بأن يذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه ويخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليزجر عنه وينبهه على عيوبه ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه (و) السادس (أن يعفو عن زلته وهفوته) في دينه بارتكاب معصية أو في حقه بتقصير في الاخوة ولو مع القدرة على الانتقام منه اذ هو أعظم في الاجر (ولا يعتب) أي لا يلوم (عليه) بسخط أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية أو الاصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يعيد الى الصلاح وأما زلته في حقه فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال فقد قيل ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر اليك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكونن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا ان لم تقبل (و) السابع (أن يدعوله في خلوته في حياته وبعد مماته) بكل ما يحبه لنفسه ولاهله فتدعوله كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك أبدا وفي الحديث يستجاب للرجل في أخيه مالا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الرجل لاخيه في ظهر الغيب لاترد (و) الثامن (أن يحسن الوفاء) وهو الثبات على الحب وادامته الى الموت (مع أهله) أي أي أولاده (وأقاربه) أي اصدقائه (بعد موته) كالذي قبله فان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي (و) التاسع (أن يؤثر) أي يختار (التخفيف عنه فلا يكلفه شيأ من حاجاته) أي لا يكلف أخاه مايشق عليه (فيروح سره) أي قلبه كما في نسخة (من مهماته) أي أموره الشديدة فلا يستمد

منه

والسكوت على تبليغ مايسوءه من مذمة الناس اياه وابلاغ مايسره من ثناء الناس عليه وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه وان يدعوه بأحب أسمائه اليه وان يثني عليه بما يعرف من محاسنه وان يشكره على صنيعه في حقه وان يذب عنه في غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه وان ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه وان يعفو عن زلته وهفوته ولا يعتب عليه وان يدعوله في خلوته في حياته وبعد مماته وان يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته وان يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيأ من حاجاته فيروح سره من مهماته

منه من جاه ومال دفعا للسآمة المقتضية للتنافر ولا يكلفه التواضع له بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته (وان يظهر الفرح بجميع ما يرتاح) أي ينشط (له من مساره) جمع مسرة بمعنى فرح (و) يظهر (الحزن) بفتحتين مصدر قياسي أو بضم فسكون اسم مصدر (على ما يناله من مكارهه وان يضمر في قلبه مثل ما يظهره فيكون صادقا في وده) بفتح الواو وضمها وكسرها أي محبته (سرا وعلانية) فان الاخلاص في الاخاء استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق في الصحبة ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى من المؤاخاة قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكمون الحقد واذا أراد شخص أن يعرف محبة صاحبه له فلينظر محبته له كما قال بعضهم من بحر الطويل

سلوا عن مودات الرجال قلوبكم * فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسألوا عنها العيون لانها * تشير لشيء ضد ما أضمر الحشا

(و) العاشر (أن يبدأه بالسلام عند اقباله) وفي نسخة اذا لقيه وكذا يفعل لمن لا يعرفه (وان يوسع له في المجلس) قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه اذا لقيته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه (و) الحادي عشر (أن يخرج له من مكانه وأن يشيعه) بتشديد الياء أي يتبعه (عند قيامه) اكراما له الا أن يمنعه (و) الثاني عشر (أن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه ويترك المداخلة في كلامه) وان يجيبه اذا دعاه ولو الى كراع وان يعوده ولو مرة اذا مرض أو رمد ويشهد جنازته اذا مات وان لم يصل عليه بحيث صلى عليه غيره ويبر قسمه اذا أقسم عليه في مباح (وعلى الجملة) أي أقول قولا على الجملة (فيعامله بما يحب أن يعامل به) من طاعة ومباح وقول وفعل فان ذلك من كمال الايمان وكان سهل بن عبد الله يقول من كف أذاه عن الخلق مشى على الماء أي عند ارادة اظهار كرامته للحاجة اذ قد يجب على الولي اخفاء الكرامة الاولوية الا لحاجة كما نقله الرملي عن الشيخ خليل (فمن لا يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه فاخوته نفاق وهي) أي الاخوة (عليه وبال) أي ثقل (في الدنيا والآخرة) وحق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق ولا شك أن أجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال عليه السلام أبا ذر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا (فهذا) أي المذكور كله (أدبك في حق العوام المجهولين) أي الذين لا تعرفهم (وفي حق الاصدقاء المؤاخين) أي العاقدين عقد الاخوة (وأما القسم الثالث وهم المعارف) أي غير الاصدقاء (فاحذر منهم فانك لا ترى) أي لا تجد (الشر الا ممن تعرفه أما الصديق) وهو الصادق في المودة (فيعينك) في شأنك (وأما المجهول فلا يتعرض لك) بشيء (وانما الشر كله) حاصل (من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم) ويخفون العداوة في بواطنهم (فاقلل من المعارف ما قدرت فاذا بليت بهم) أي بالمخالطة معهم (في مدرسة) للعلماء وهو محل درس العلوم (أو مسجد) وهو محل اقامة الجمعة (أو سوق أو بلد فيجب) عليك (أن لا تستصغر) أي تستحقر (منهم أحدا) ولو أقل الخلق صورة (فانك لا تدري لعله خير منك) عند الله تعالى وفي الحديث بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك) بسبب حبك الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه (لان الدنيا صغيرة) أي حقيرة (عند الله تعالى صغير ما فيها) لان الله تعالى لم ينظر اليها منذ خلقها (ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى) أي عين المحبة لان الدنيا عدوة لله تعالى ولاوليائه وفي الحديث حب المال والسرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء

وان يظهر الفرح بجميع ما يرتاح له من مساره والحزن على ما يناله من مكارهه وان يضمر في قلبه مثل ما يظهره فيكون صادقا في وده سرا وعلانية وان يبدأه بالسلام عند اقباله وان يوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه وان يشيعه عند قيامه وان يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه ويترك المداخلة في كلامه وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به فمن لا يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه فاخوته نفاق وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة فهذا أدبك في حق العوام المجهولين وفي حق الاصدقاء المؤاخين وأما القسم الثالث وهم المعارف فاحذر منهم فانك لا ترى الشر الا ممن تعرفه أما الصديق فيعينك وأما المجهول فلا يتعرض لك وانما الشر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم فاقلل من المعارف ما قدرت فاذا بليت بهم في مدرسة أو مسجد أو جامع أو سوق أو بلد فيجب أن لا تستصغر منهم أحدا فانك لا تدري لعله خير منك ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك لان الدنيا صغيرة عند الله تعالى صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى

وايالئ أن تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم فلا يفعل ذلك أحد الاصغر فى أعينهم ثم حرم ماعندهم وان عادوك فلا تقابلهم بالعدواة فانك لاتطيق الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك فى عداوتهم ويطول عناؤك معهم ولاتسكن اليهم فى حال اكرامهم اياك وثنائهم عليك فى وجهك واظهارهم المودة لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد المائة واحدا ولاتطمع أن يكونوا لك فى السر والعلن واحدا ولاتعجب ان ثلبوك فى غيبتك ولاتغضب منه فانك ان أنصفت وجدت من نفسك مثل ذلك حتى فى أصدقائك واقاربك بل فى أستاذك ووالديك فانك تذكرهم فى الغيبة بما لاتشافههم به فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم فان الطامع فى الاكثر خائب فى المآل وهو ذليل لامحالة فى الحال واذا سألت واحدا حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى واشكره وان قصر فلاتعاتبه ولاتشكه فتصير عداوة له وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب وقل لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه ولاتعظن أحدا منهم مالم تتوسم فيه أولا

البقل (واياك) أى احذر (ان تبذل لهم) أى تعطيهم (دينك لتنال به) أى ببذل الدين (من دنياهم) فذلك خسران عظيم (فلايفعل ذلك أحد الاصغر فى أعينهم ثم حرم) أى منع (ماعندهم) من الاموال كما هو المشاهد بين الناس قوله فلايفعل الفاء للتعليل (وان عادوك فلاتقابلهم بالعداوة فانك) الفاء للتعليل أى لانك (لاتطيق الصبر على مكافأتهم) أى مساواتهم فى العداوة (فيذهب دينك فى عداوتهم) وفى نسخة فيهم (ويطول عناؤك) أى تعبك ومشقتك (معهم) بالمقابلة (ولاتسكن) أى لا تمل بقلبك (اليهم فى حال اكرامهم اياك) بالمال والفعل والقول (وثنائهم عليك فى وجهك) وفى غيبتك (واظهارهم المودة) أى المحبة (لك) بالقول وباتيان ماتحبه (فانك ان طلبت حقيقة ذلك) أى المذكور من الاكرام والثناء والمودة (لم تجد فى المائة) من الاشخاص (واحدا) قال بعضهم من بحر الكامل المجزوء

خذ من خليلك ماصفا * ودع الذى فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا * تبة الخليل على الغير

(ولاتطمع) أى لاتامل (أن يكونوا لك فى السر والعلن واحدا) أى على حال واحدة من الثناء ونحوه (ولا تعجب ان ثلبوك) أى عابوك (فى الغيبة) وفى بعض النسخ فى غيبتك (ولا تغضب منه) لاجل ذلك (فانك ان أنصفت) أى عاملت بالعدل (وجدت من نفسك مثل ذلك) أى مثل فعل أخيك (حتى) انك قد فعلت مثل ذلك (فى أصدقائك وأقاربك بل فى أستاذك ووالديك فانك تذكرهم فى الغيبة) أى فى غيبتهم (بما لاتشافههم) أى لاتخاطبهم من فيك الى فيهم (به واقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم) بأبدانهم (فان الطامع فى الاكثر) أى الغالب (خائب) أى غير نائل لما يطلبه (فى المآل) أى عاقبة أمره (وهو) أى الطامع (ذليل لامحالة) بفتح الميم أى لابد (فى الحال) أى فى ذلك الوقت كما قال بعضهم من بحر الكامل المضمر فى الاكثر المجزوء

العبد حر ان قنع * والحر عبد ان قنع
فاقنع ولا تقنع فما * شئ يشين سوى الطمع

الماضى الاول مكسور عينه والثانى مفتوحه وفعل الامر والنهى مفتوحة عين كلتيهما لان قنع يقنع بفتح العين فى الماضى والمضارع هو بمعنى سأل وتذلل ومصدره قنوعا وان قنع يقنع بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع هو بمعنى رضى بالقسم ومصدره قنعا وقناعة وقال لبيد من بحر الطويل

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه * ومنهم شقى بالمعيشة قانع

(واذا سألت واحدا) من الناس (حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى) على قضاء حاجتك (واشكره) فانه لايكمل الشكر لله تعالى الا مع الشكر للوسيلة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى أى شكرا كاملا وقال أيضا من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا على مكافأته فادعوا له وقال أيضا من أسدى الى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب له (وان قصر) أى الواحد فى حقك (فلاتعاتبه) قال أبو سليمان الدارانى لاحمد بن أبى الحوارى اذا واخيت أخا فى هذا الزمان فلاتعاتبه على ماتكرهه فانك لاتأمن من أن ترى فى جوابك ماهو شر من الاول قال أحمد فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة (ولا تشكه) أى لاتخبر الناس بسوء فعله بك (فتصير عداوة) له (وكن كالمؤمن يطلب المعاذير) جمع معذرة (ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب وقل) فى نفسك اذا قصر صاحبك (لعله قصر) فى حقى (لعذر له لم أطلع عليه) أى العذر (ولاتعظن أحدا منهم) أى المعارف (مالم تتوسم) أى تتفطن بقلبك (فيه) أى الاحد (أولا) أى

مخايل القبول والالم يستمع منك وصار خصما عليك فاذا أخطؤا فى مسئلة وكانوا يأنفون من التعلم منك فلا تعلمهم فانهم يستفيدون
منك علما ويصبحون لك
أعـداء الااذا تعلق ذلك
بمعصية يقارفونها من جهل
منهم فاذكر الحق بلطف من
غير عنف واذا رأيت منهم
كرامة وخـيرا فاشكر الله
الذى حببك اليهـم واذا
رأيت منهم شرا فكلهم الى
الله تعالى واستعذ بالله من
شرهم ولا تعاتبهم ولا تقل
لهم لم تعرفوا حقى وأنا فلان
ابن فلان وانا الفاضـل فى
العلوم فان ذلك من كلام
الحمق وأشد الناس حماقة
من يزكى نفسه ويثنى عليها
واعلم ان الله تعالى لا يسلطهم
عليك الالذنب سبق منك
فاستغفر الله من ذنبك واعلم
أن ذلك عقوبة من الله
تعالى وكن فيما بينهم سميعا
لحقهم أصم عن باطلهـم
نطوقا بمحاسنهم صموتا عن
مساويهم واحذر مخالطة
متفقهة الزمان لاسيما المشتغلين
بالخلاف والجدال واحذر
منهم فانهـم يتربصون بك
لحسـدهم ريب المنون
ويقطعون عليك بالظنون
ويتغامزون وراءك بالعيون
ويحصون عليك عثراتك فى
عشرتهم حتى يجبهوك بها
فى حال غيظهم ومناظرتهم
لا يقبلون لك عثرة ولا
يغفرون لك زلة ولا يسترون
لك عورة يحاسبونك على
النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ويحرضون عليك الاخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان ان رضوا

قبل الوعظ (مخايل القبول) أى دلائله (والا) يكن الامر كذلك بأن تعظه قبل ثبوت دلائل القبول (لم يستمع) أى الاحد (منك) أى سماع قبول (وصار خصما عليك فاذا أخطؤا فى مسئلة وكانوا يأنفون) أى يستنكفون ويمتنعون (من التعلم أى) الاستفادة (منك) وفى نسخة من كل أحد (فلا تعلمهم لانهم يستفيدون منك علما ويصبحون) اى يصيرون (لك أعداء الااذا تعلق ذلك) أى الخطأ فى المسئلة (بمعصية يقارفونها) أى المعصية أى يفعلونها وفى نسخة يأتونها عن جهل منهم فاذكر الحق (وجوبا بالطف من غير عنف واذا رأيت منهم) أى المعارف (كرامة وخيرا) أى أكراما واحسانا بمال وافعال (فاشكر الله الذى حببك اليهم) أى صيرك محبوبا عندهم (واذا رأيت منهم شرا) فى الاقوال والافعال (فكلهم) أى فوض وسلم أمورهم (الى الله تعالى) واكتف به تعالى (واستعذ) أى اعتصم (بالله من شرهم ولا تعاتبهم) العتاب فى السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل (ولا تقل لهم لم تعرفوا حقى وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل فى العلوم فان ذلك) أى القول (من كلام الحمق) أى الذين قلت عقولهم (وأشد الناس) أى أعظمهم (حماقة) أى فسادا فى العقل (من يزكى نفسه) أى يمدحها فى كثرة خيراته (ويثنى عليها) بكثرة العلم وبالانتساب الى الفضلاء والعلماء (واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم) أى لا يجعلهم قادرين (عليك) بذلك الشر (الالذنب سبق منك) ولو بعد سنين (فاستغفر الله من ذنبك) كل وقت وفى رواية ابن حبان انا كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم مائة وقال الشاذلى رحمه الله تعالى وعليك بالاستغفار وان لم يكن هنالك ذنب (واعلم أن ذلك) أى الشر الذى جاءك منهم (عقوبة من الله تعالى) لك فى الدنيا (وكن فيما بينهم سميعا لحقهم) أى لكلامهم الحق (أصم عن باطلهم) بان لا تذيعه بين الناس اما أن تنصحهم بطريق اللطف واما أن تهمله مرة واحدة (نطوقا بمحاسنهم) بأن تشيعها بين الناس مع اظهار الفرح بها (صموتا عن مساويهم) أى معايبهم ومعاصيهم سترا لهم فرحم الله امرأ رأى سيئة لاخيه فسترها (واحذر مخالطة متفقهة الزمان لاسيما المشتغلين بالخلاف) أى بعلم الخلاف بين العلماء (والجدال) أى العلم المؤدى الى المجادلة (واحذر منهم فانهم يتربصون) أى ينتظرون (بك لحسدهم ريب المنون) أى حوادث الدهر (ويقطعون عليك) فى كل شئ (بالظنون) أى انهم يعلمون ظنونهم السيئة وان اكثر الظنون ميون (ويتغامزون) أى يشيرون (وراءك بالعيون) مستهزئين بك (ويحصون) بضم الياء والصاد أى يعدون (عليك عثراتك) أى زلاتك (فى عشرتهم) بكسر فسكون أى فى وقت مخالطتهم بعضهم مع بعض (حتى يجبهوك) بتشديد الموحدة بعد الجيم أو بسكون الجيم وفتح الموحدة (بها) أى حتى يستقبلوك بتلك العثرات كأنهم ضربوك بحجر فى جبهتك (فى حال) أى وقت (غيظهم) أى غضبهم المحيط بالكبد عليك (ومناظرتهم) اى مجادلتهم معك (لا يقبلون) اى لا يرفعون (لك عثرة) أى سقطة (ولا يغفرون لك زلة) أى خطأ فى منطقك وفعلك (ولا يسترون لك) وفى نسخة عليك (عورة) اى عيبا (يحاسبونك على النقير والقطمير) وهذا كناية عن أدنى الاشياء فكيف بما فوقه والاشياء التى يضرب بها المثل فى القلة أربعة النقير وهو النكتة التى فى ظهر النواة والقطمير وهو القشرة الرقيقة التى بين النواة والتمر والفتيل وهو ما يكون فى شق النواة والزرقوق وهو ما بين القمع والنواة (ويحسدونك على القليل والكثير) من النعمة (ويحرضون) أى يحثون (عليك الاخوان بالنميمة) أى السعى بالحديث لايقاع فتنة أو وحشة وفى الحديث لا يدخل الجنة قتات أى نمام (والبلاغات) بفتح الباء ثم باللام أى الوشايات وهو الكلام الكذب أو السعى بالكلام عند نحو السلطان (والبهتان) أى بالقول عليك بما لم تفعله (ان رضوا) عنك

(فظاهرهم الملق) أي اللطف الشديد (وان حفظوا) عليك (فباطنهم الحنق) بالحاء المهملة والنون المفتوحتين ثم القاف أي الغيظ (ظاهرهم ثياب) تنتفع بها (وباطنهم ذئاب) تهلكك (هذا) أي المذكور (حكم ما قطعت) أي جاوزت (به المشاهدة) أي المعاينة (في أكثرهم الامن عصمه الله تعالى) أي وقاه فلا يتصف بهذه الصفة الرذيلة (فصحبتهم) أي هؤلاء الموصوفين بما ذكر (خسران) أي هلاك في دينه ودنياه (ومعاشرتهم) أي مخالطتهم (خذلان) أي عدم حصول النصرة (هذا) أي المذكور (حكم من يظهر لك الصداقة) بلسانه (فكيف من يجاهرك بالعداوة قال القاضي ابن معروف) تظلما من الكامل المجزوء المرفل في الضرب

(فاحذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة)

(وكذلك قال ابن تمام) في معنى ذلك وفي نسخة أبو تمام تظلما من بحر الوافر

(عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب)

وكان أبو سعيد الثوري يقول اذا أردت أن تؤاخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك الا معصوما ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عند أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف الاحوال كما قال بعضهم من بحر الكامل

وترى الكريم اذا تصرم وصله * يخفي القبيح ويظهر الاحسانا

وترى اللئيم اذا تقضى وصله * يخفي الجميل ويظهر البهتانا

و (كن) أيها الطالب الخير (كما قال هلال بن العلاء الرقي) تظلما من بحر البسيط والرقة اسم موضع

(لما عفوت ولم أحقد على أحد * أرحت نفسي من هم العداوات

اني أحيي عدوي عند رؤيته * لأدفع الشر عني بالتحيات)

أي من السلام والبشر والتبسم والجروران والظرف متعلقات بأحيي ويحسن أن يتعلق المجرور الاخير بأدفع وفي نسخة حين أنظره بدل عند رؤيته

(وأظهر البشر للانسان أبغضه * كأنه قد ملا قلبي مسرات

ولست أسلم ممن لست أعرفه * فكيف أسلم من أهل المودات)

البشر بكسر الباء هو طلاقة الوجه وفي نسخة وأحسن البشر

(الناس داء دواء الناس تركهم * وفي الجفاء لهم قطع الاخوات

فسالم الناس تسلم من غوائلهم * وكن حريصا على كسب التقيات)

وفي نسخة على كسب المودات والمراد بقوله تركهم عدم تعبيرهم عن حالهم وليس المراد به اجتنابهم بدليل قوله وفي الجفاء الى آخره أي وفي الاعراض عنهم بالكلية قطع الاخوات وقوله تركهم بضم الميم للوزن وقوله من غوائلهم أي شرورهم

(وخالق الناس واصبر ما بليت بهم * أصم أبكم أعمى ذا تقيات)

قوله وخالق الناس أي كن معهم موافقا في أحوالهم كما قيل خالطوا الناس بأبدانكم وزايلوهم بقلوبكم

فظاهرهم ملق وان تحفظوا فباطنهم الحنق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم الامن عصمه الله تعالى فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهرك بالعداوة قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى

فاحذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضرة

وكذلك قال ابن تمام

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي

لما عفوت ولم أحقد على أحد * أرحت نفسي من هم العداوات * اني أحيي عدوي عند رؤيته * لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للانسان أبغضه * كأنه قد ملا قلبي مسرات

ولست أسلم ممن لست أعرفه * فكيف أسلم من أهل المودات

الناس داء دواء الناس تركهم * وفي الجفاء لهم قطع الاخوات * فسالم الناس تسلم من غوائلهم

وكن حريصا على كسب التقيات وخالق الناس واصبر ما بليت بهم * أصم أبكم أعمى ذا تقيات

وفي

وفي نسخة تخالط الناس وفي نسخة ابقيت بهم وقوله أصم أبكم أعمى ذا تقيات كل منها حال من فاعل خالق أو خالط وأشار هلال بهذه الابيات السبعة الى أن شأن الناس صعب جدا كما قال الشافعي نظما من البسيط

النـاس داء دفين لادواء لهم * تحير العقل منهم فهو منذهل
ان كنت منبسطا سموك مسخرة * أو كنت منقبضا قالوا به ثقـل
وان تخالطهـم قالوا به طمع * وان تجانبهـم قالوا به ملل
وان تعففت عن أموالهم كرما * قالوا غني وان تسألهم بخلوا
اني تحيرت في أمري وأمرهم * شبه النعامة لا طير ولا جمـل

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق (وكن) أيها المريد للخير (أيضا) ملازما لآداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق وهي (كما قال بعض الحكماء) وهم من عندهم علم وحكمة (الق صديقك وعدوك بوجه الرضا) أي بوجه دال على الرضا وهو طلق الوجه (من غير مذلة لهما ولا هيبة) أي خوف (منهما وتوقر) أي كن حليما عند اللقاء (من غير كبر وتواضع) عند اللقاء (من غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلا طرفي قصد الامور) أي وسطها (ذميم) أي مذموم عند الله وعند الناس (كما قيل) من بحر الطويل

(عليك بأوساط الامور فانها * طريق الى نهج الصراط قويم
ولا تك فيها مفرطا أو مفرطا * فان كلا حال الامور ذميم)

ومعنى مفرطا بسكون الفاء أي مسرفا مجاوزا الحد ومفرّطا بتشديد الراء أي مقصرا وناقصا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها (ولا تنظر) على سبيل الاعجاب (في عطفيك) بكسر العين أي جانبيك يمينا وشمالا بأن تنظر شيأ بلحاظ عينيك (ولا تكثر الالتفات) الى ورائك وفي نسخة اذا مشيت بدل وراءك (ولا تقف على الجماعات) أي الجالسين اذا مشيت من غير حاجة دينية أو دنيوية (واذا جلست) مع الناس (فلا تستوفز) أي فلا ترفع رجليك غير مطمئن (وتحفظ من تشبيك أصابعك) أي ادخال بعضها في بعض فانه يورث النعاس وانه من الشيطان (و) من (العبث) بفتح العين والباء أي اللعب (بلحيتك وخاتمك) بفتح التاء (و) من (تخليل أسنانك وادخال اصبعك في أنفك) ومن (كثرة بصاقك) بالصاد وقد يبدل بالزاي واذا بصقت فابصق في جهة يسارك (وتنخمك) أي رمي نخامتك وهي ما يخرج من الحلق من مخرج الخاء المعجمة وما يخرج من الخيشوم عند التنخع (و) من (طرد الذباب عن وجهك و) من (كثرة التمطي) أي مد البدن واليدين (والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها) واذا تثاءبت فغط فمك بظهر يدك اليسرى دفعا للشيطان لان التثاؤب من الشيطان (وليكن مجلسك هادئا) أي ساكنا من الاصوات (وحديثك منظوما) أي مجتمعا في خصلة واحدة (مرتبا واصغ) بفتح الغين أي مل (الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط) أي كثير (ولا تسأله) أي من حدثك (اعادته) أي الحديث الا ان كان في الاعادة مصلحة (واسكت عن المضاحك) أي الامور المضحكة (والحكايات) أي لا تضحك من ذلك وفي نسخة ولا تستكثر الحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك) ولا بجاريتك (و) لا (شعرك) وهو النظم الموزون وحده ما تركب تركيبا متقاصدا وكان مقفى مقصودا به ذلك فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شعرا ولا يسمى قائله شاعرا (و) لا (كلامك و) لا (تصنيفك) في العلوم (وسائر ما يخصك ولا تتصنع) أي لا تتكلف لاجل الناس حسن هيئة أهل الخير (تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل) أي لا تمتهن في الثياب (تبذل العبد وتوق) أي تجنب (كثرة) استعمال

وكن أيضا كما قال بعض الحكماء الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة لهما ولا هيبة منهما وتوقر من غير كبر وتواضع من غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلا طرفي قصد الامور ذميم كما قيل

عليك باوساط الامور فانها * طريق الى نهج الصراط قويم * ولا تك فيها مفرطا أو مفرطا * فان كلا حال الامور ذميم

ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة

(الكحل) والتكحل مطلوب كل ليلة (و) توق (الاسراف) أى الزيادة عن التوسط (فى الدهن) لجميع البدن والتدهين للبدن مطلوب وقتادون وقت (ولاتلح) أى لا تواظب مقبلا (فى الحاجات) أى فى طلبها من الناس (ولاتشجع) أى لاتغر (أحدا على) اتيان (الظلم) لاحد فمن أعان على معصية كان شريكا فيها (ولاتعلم أحدا من أهلك) أى زوجتك (وولدك فضلا عن غيرهم) أى عدم اعلامك غيرهم أولى بالانتفاء (مقدار ما) ثبت (لك) أى من المرتبة (فانهم ان رأوه) أى المقدار (قليلا هنت) أى حقرت (عليهم وان رأوه كثيرا لم تبلغ قط رضاهم) وجعل ما موصولة أو نكرة موصوفة هو ماعليه شيخنا يوسف السنبلاوينى ويصح أن يكون قوله مالك بكسر اللام مضاف ومضاف اليه كما عليه الشيخ عبد الصمد والضميران اللذان بعده عائدان اليه (واجفهم) اى تباعد عنهم اذا أخطؤا وفى الاحياء وخوفهم (من غير عنف) وهو ضد الرفق (ولن) اى تلطف (لهم من غير ضعف ولاتهازل) أى لاتمازح (أمتك ولاعبدك فيسقط وقارك) أى تعظيمك (من قلوبهم) وفى نسخة فى قلوبهم وفى نسخ فسقوطك وكذا لبقية الناس ولذا قيل لاتظهر بياض أسنانك للانسان فيظهر لك سواد دبره (واذا خاصمت) مع الناس (فتوقر) أى فكن حليما أو بجل نفسك ليكون الناس تابعين لقولك كذا قاله الشيخ عبد الصمد (وتحفظ) عند المخاصمة (من جهلك) بأن تفعل أو تقول ما يخالف الشرع (وعجلتك) أى اسراعك فى الجواب وفى الغضب وفى الاحياء وتجنب عجلتك (وتفكر فى حجتك) أى فى جوابك (ولاتكثر الاشارة بيدك) أى فى حال المخاصمة (ولاتكثر الالتفات الى من) أى شخص (وراءك ولاتجث) أى لاتجلس (على ركبتيك) أى حال الخصام (واذا هدأ) أى سكن (غضبك فتكلم) بل ينبغى لك ان تسكت حتى تتوضأ (واذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان) أى السيف فان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفق الصبى وكلمه بما يشتهيه ما لم يكن معصية ولايحملنك لطفه بك ان تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لاتنعش وزلة لاتقال (واياك وصديق العافية) أى احذر تلاقيك والصاحب الذى يصاحبك فى وقت صحتك وغناك ولايصاحبك حاله مرضك وفقرك (فانه) أى من ذكر (أعدى الاعداء ولاتجعل مالك أكرم من عرضك) بكسر العين أى نفسك ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبى صلى الله عليه وسلم من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك (فهذا القدر) أى المذكور فى هذا الكتاب (يافتى) أى يامن يبتدى فى علم التصوف (يكفيك من بداية الهداية فجرب بها) أى بالبداية (نفسك) أى الامارة واللوامة (فانها) أى تلك البداية (ثلاثة أقسام قسم فى آداب الطاعات) أى الظاهرة والباطنة (وقسم فى ترك المعاصى) كذلك (وقسم فى مخالطة الخلق) كما عرفته أولا (وهى) أى بداية الهداية (جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق) عز وجل (والخلق) وهذا المجموع يسمى تقوى والدين الكامل وهو زاد الآخرة (فان رأيتها) أى بداية الهداية أى وجدتها (مناسبة) أى قريبة (لنفسك ورأيت) أى وجدت (قلبك مائلا اليها) أى البداية (راغبا) أى مريدا (فى العمل بها) أى بمطلوبها (فاعلم أنك عبد) من عباد الله تعالى (نور الله تعالى بالايمان) الكامل (قلبك) السليم (وشرح) أى كشف (به) أى بالايمان (صدرك) فاشكر الله تعالى الذى هداك الى ذلك واطلب منه تعالى استقامتك (وتحقق) بصيغة الماضى أى ثبت (ان لهذه البداية نهاية) كما علمت أولا (ووراءها) أى النهاية أى بعدها (اسرار وأغوار) أى دقائق وقد ذكرنها أولا فى هذا الشرح (وعلوما) باطنية كعلم أحوال القلب أما ما يحمد منها فهو الصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والقناعة ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الاحوال وحسن الظن

والاخلاص

تكحل والاسراف فى الدهن ولاتلح فى الحاجات ولاتشجع أحدا على الظلم ولاتعلم أحدا من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم وان رأوه كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولاتهازل أمتك ولاعبدك فيسقط وقارك من قلوبهم واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتك وتفكر فى حجتك ولاتكثر الاشارة بيدك ولاتكثر الالتفات الى من وراءك ولاتجث على ركبتيك واذا هدأ غضبك فتكلم واذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان واياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولاتجعل مالك أكرم من عرضك فهذا القدر يافتى يكفيك من بداية الهداية فجرب بها نفسك فانها ثلاثة أقسام قسم فى آداب الطاعات وقسم فى ترك المعاصى وقسم فى مخالطة الخلق وهى جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق والخلق فان رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت قلبك مائلا اليها راغبا فى العمل بها فاعلم انك عبد نور الله تعالى بالايمان قلبك وشرح به صدرك وتحقق ان لهذه البداية نهاية ووراءها أسرار وأغوار وعلوما

والاخلاص ونحو ذلك وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع ونحو ذلك (ومكاشفات) وهي غاية العلوم وهي عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا (وقد أودعناها في كتاب احياء علوم الدين فاشتغل بتحصيله) أي كتاب الاحياء لتكون من أهل الظاهر والباطن معا فقد قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال السري للجنيد جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث وأشار بذلك القول الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه (وان رأيت) أي وجدت (نفسك تستثقل العمل) أي تعتقد ثقل العمل (بهذه الوظائف) أي الاوراد التي ذكرت في هذا الكتاب (وتنكر) وفي بعض النسخ وتترك (هذا الفن) أي النوع الذي في هذا الكتاب (من العلم) أي علم التصوف (وتقول لك نفسك اني) أي كيف (ينفعك هذا العلم في محافل العلماء) أي مجامعهم (ومتى) أي في أي وقت (يقدمك هذا على الاقران) جمع قرين وهو من يعادلك في أحوالك (والنظراء) جمع نظير وهو من يساويك في الدرجة (وكيف يرفع) أي هذا العلم (منصبك) أي علوك (في مجالس الامراء والوزراء وكيف يوصلك الى الصلة) أي العطية منهم (والارزاق) أي المرتبات عندهم كل شهر أو كل سنة (وولاية الاوقاف والقضاء فاعلم أن الشيطان قد أغواك) أي أضلك (وأنساك منقلبك) بضم الميم وفتح القاف واللام أي مرجعك (ومثواك) أي منزلك وهو الآخرة (فاطلب لك شيطانا مثلك ليعلمك ما) أي علما (تظن أنه ينفعك) في الدنيا (ويوصلك الى بغيتك) بكسر الباء وضمها أي حاجتك (ثم اعلم أنه) أي الشان (قط لا يصفو لك) أي لا يخلص من الاكدار (الملك) أي العز (في محلتك) أي منزلك (فضلا عن قريتك وبلدتك ثم يفوتك الملك المقيم) أي الدائم الذي لا يعزل (والنعيم الدائم) أي المستمر الذي لا ينفد (في جوار) بكسر الجيم (رب العالمين) أي في الجنة مجاورة معنوية (والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا)

(قال الشارح) تم تأليفه بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ليلة الاحد
ثالث عشر ذي القعدة المعظم سنة ألف ومائتين وتسعة
وثمانين على يد المذنب المتقصر محمد نووي
ابن عمر بن عربي بن علي
عفا الله عنهم
آمين

قد تم بحمد الله تعالى طبع شرح بداية الهداية في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٤ وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجهة الجامع الازهر المنير قريبا من مسجد الشيخ الدردير ادارة الشيخ أحمد البابي الحلبي الضعيف المرتجي حسن الختام ورضا المولى اللطيف

ومكاشفات وقد أودعناها في كتاب احياء علوم الدين فاشتغل بتحصيله وان رأيت نفسك تستثقل العمل بهذه الوظائف وتنكر هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك انى ينفعك هذا العلم في محافل العلماء ومتى يقدمك هذا على الاقران والنظراء وكيف يرفع منصبك في مجالس الامراء والوزراء وكيف يوصلك الى الصلة والارزاق وولاية الاوقاف والقضاء فاعلم ان الشيطان قد أغواك وأنساك منقلبك ومثواك فاطلب لك شيطانا مثلك ليعلمك ما تظن انه ينفعك ويوصلك الى بغيتك ثم اعلم أنه قط لا يصفو لك الملك في محلتك فضلا عن قريتك وبلدتك ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(فهرست كتاب شرح بداية الهداية)

صحيفة

٢ خطبة الكتاب
٩ القسم الاول في الطاعات
١٠ فصل في آداب الاستيقاظ من النوم
١١ باب آداب دخول الخلاء
١٥ باب آداب الوضوء
٢٠ آداب الغسل
٢٢ آداب التيمم
٢٣ آداب الخروج الى المسجد
٢٤ آداب دخول المسجد
٣٣ آداب ما بعد طلوع الشمس
٣٨ آداب الاستعداد لسائر الصلوات
٤٣ آداب النوم
٤٦ آداب الصلاة
٥٣ آداب الامامة والقدوة
٥٥ آداب الجمعة
٦٠ آداب الصيام
٦٤ القسم الثاني في اجتناب المعاصي
٦٥ حفظ العين
٦٦ حفظ الاذن
٦٦ حفظ اللسان
٧٤ حفظ البطن
٧٦ حفظ الفرج
٧٦ حفظ اليدين
٧٦ حفظ الرجلين
٧٩ القول في معاصي القلب
٨٢ العجب والكبر والفخر
٨٤ حديث معاذ الذي أمره النبي بحفظه
٩٠ القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق عز وجل ومع الخلق
٩٣ آداب الولد مع الوالدين
٩٤ شروط الصحبة والصداقة

(تمت)